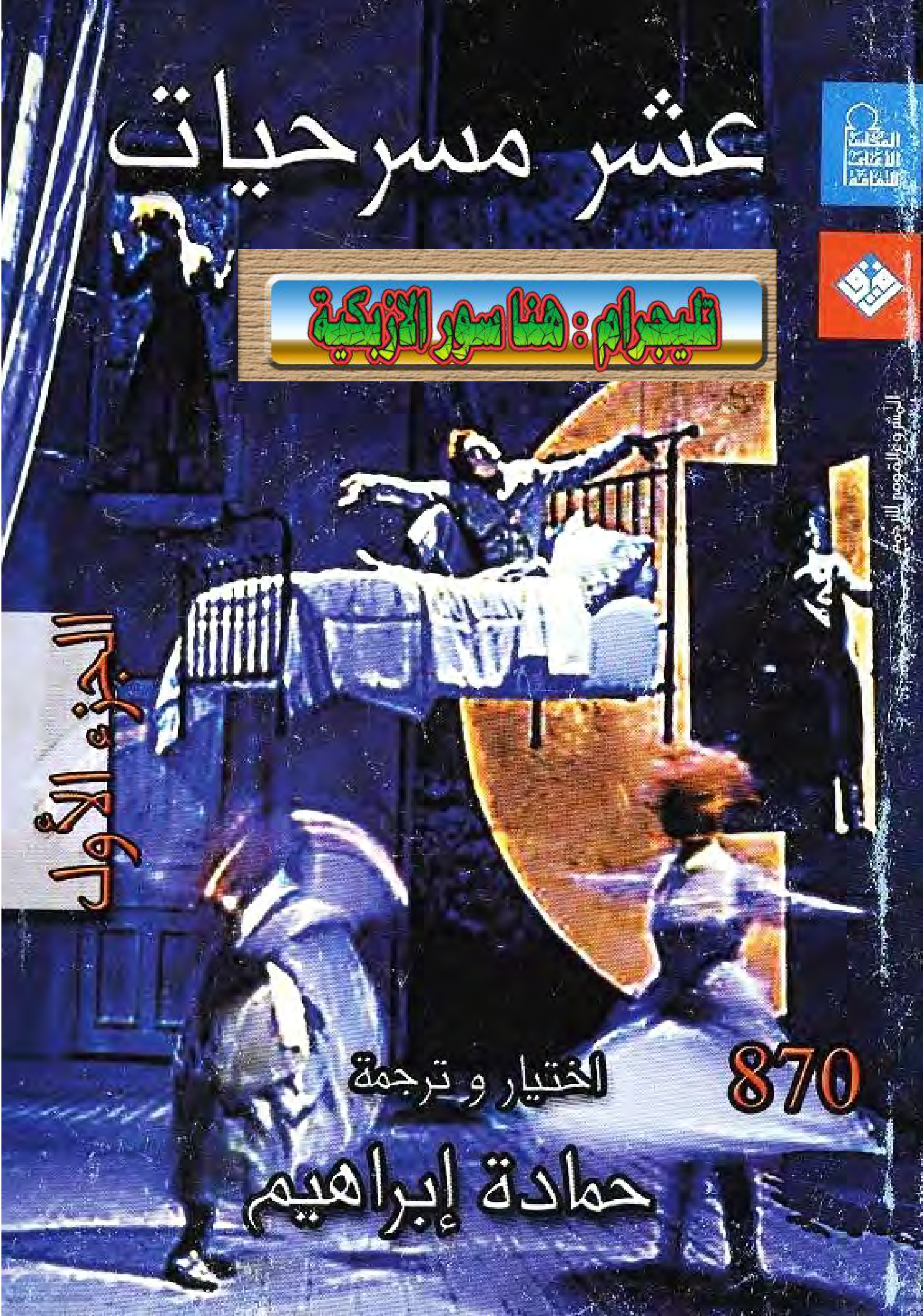

عشر مسرحيات
تليجرام : هنا سور الأزبكية
الجزء الأول
870
اختيار و ترجمة
حمادة إبراهيم


تليجرام
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون
محمد خطاب

المشروع القومى للترجمة

عشر مسرحيات

(الجزء الأول)

تأليف : مجموعة من الكُتَّاب

ترجمة : حمادة إبراهيم



المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨٧٠
- عشر مسرحيات (الجزء الأول)
- مجموعة من الكُتَّاب
- حمادة إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

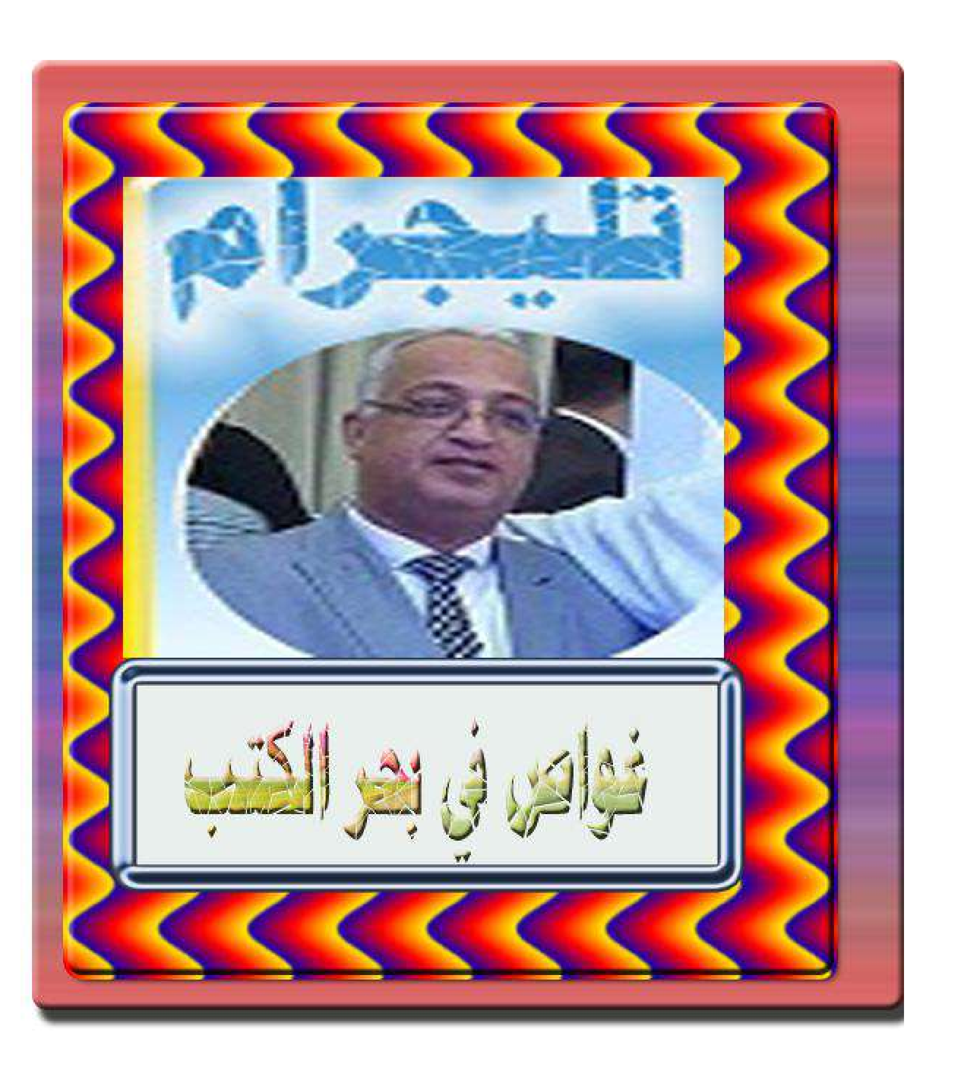
هذه ترجمة عشر مسرحيات مختارة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084


تليجرام
هنا
سور الأزبكية


تليجرام
غواص في بحر الكتب

تقديم المترجم

مشروع جرىء ، بل هو الأول من نوعه فى النشر العربى ، أن يصدر كتاب يضم عشر مسرحيات معاصرة لعشرة مؤلفين مختلفين . وهم ليسوا مختلفين فى الأسماء فقط ، بل فى البيئات أيضا . فإذا كان معظمهم فرنسيين ، فإن منهم إيطاليين وعربيا وآخر من أوراجواى .

علمًا بأن الترجمة تمت من اللغة الأصلية سواء كانت الفرنسية أو الإيطالية .

– تغطى المسرحيات مساحة زمنية تربو على ستين عامًا : فأقدمها يرجع إلى عام ١٩٢٥ ، وأحدثها صدرت عام ١٩٨٧ .

– لا تنتمى إلى نوع مسرحى محدَّد أو إلى نوع معين من الكتابة المسرحية ، بل هى تجمع بين الكوميديا والمأساة والميلودراما والدراما الشعبية ، كما ينتمى بعضها إلى مسرح العبث والمسرح الشاعرى . ومنها ما يخضع للكتابة الكلاسيكية المقننة والمنضبطة ، ومنها ما يتحرر من كل القيود والأعراف .

– معظمها فاز– أو فاز أصحابها – بجوائز عالمية ومحلية . فرومان رولان وداريو فو فازا بجائزة نوبل ، الأول عام ١٩١٦ والثانى عام ١٩٩٢

وبول جوت فاز بجائزة الأكاديمية الفرنسية . وإدواردو دي فيليبو فاز بالجائزة العالمية " أنطونيو جيلترينيللي " عام ١٩٧٢ ، وراءول داموتتي نوتال فاز بالجائزة الكبرى للأدب المسرحي في باريس عام ١٩٧٧ ، وكاتب ياسين حصل على جائزة جان أمروش لمؤتمر ثقافة البحر المتوسط عام ١٩٦٣ ، وياسمينة رضا حصلت مرتين على جائزة موليير لأفضل عمل درامي ، عام ١٩٨٧ وعام ١٩٩٥ ، أما تييري مونييه فقد حصل على عضوية المجمع الفرنسي ١٩٦٤ .



عشاق المترو

باليه كوميدى دون رقص ولا موسيقى

جان تارديو

ترجمـــة

د. حمادة إبراهيم

عرضت هذه المسرحيـة لأول مرة فى ٢٢ أبريل عام ١٩٥٢ على مسرح " لانكرى " .

قام بتصميم الديكور : جاك نوويل Jacques Noel

قام بالإخـــراج : سيلفان دوم Sylvain Dhomme

اللوحة الأولى تجرى أحداثها على رصيف إحدى محطـات المترو .

أما اللوحة الثانية فتجرى أحداثها داخل إحدى العربات فى أثناء سير المترو .



جان تارديو

يُعد " تارديو " متخصصا فى المسرحيات الطليعية ذوات الفصل الواحد . وقد أسهم مسرحه فى مولد المسرح الطليعى كما قدمت مسرحياته على مسارح العالم التجريبية .

والحقيقة أن مسرح " تارديو " فى معظمه من النوع التجريبى أو المختبرى ، وهو نفسه يعلق على هذه الحقيقة فى تقديمه لمسرحياته محددا هدفه من ولوج هذا الفن بأنه : "معالجة المسرح من خلال وسائله ، لا من خلال أغراضه وأهدافه " ، " والاهتمام بقضايا المنصة أكثر من الاهتمام بموضوعات المسرحيات " .

وقد حاول " تارديو " فى البداية أن يصنف هذه المحاولات وهذه التجارب تصنيفا فنويا مثل " كوميديا اللغة ، و " كوميديا الكوميديا " و " المونولوجات والحوارات " و " الحلم والكابوس " وذلك مع إعطاء كل مسرحية عنوانا ثانويا مثل " تعسف الألفاظ " و " تعسف الاستخدامات " و " كوميديا الدراما البرجوازية " و " المنصة الخالية " و " رقصة الموت " .

ويقول تارديو فى هذا الصدد : " لقد حاولت بهذه البحوث أن أكشف عن أسرار ذلك الجهاز الضخم ، المادى والمعنوى ، الذى يسمى المسرح فى أشكاله البالية وإمكانياته المستقبلية " .

وكان ميل تارديو إلى المسرحيات القصيرة ذوات الفصل الواحد أمرا طبيعيا ؛ فهذه المسرحيات هى التى تتلاءم مع هذه الأهداف التجريبية .

كذلك يُعد " تارديو " مؤسسا للمسرح التجريبى الإذاعى . وقد كان له دور كبير فى تطوير الوسائل الفنية الخاصة بالدراما الصوتية أو التى يعتمد فيها التلقى على عنصر السماع دون عنصر المشاهدة .

وبصفة عامة تنقسم مسرحيات " تارديو " إلى نوعين : " مسرحيات السخرية " و "مسرحيات الجزع " . أما الأولى فهى تسخر من مواقف الحياة اليومية كما فى مسرحية "شركة أبوللو " أو كيف نتحدث عن الفن " ومسرحية " عشاق المترو " وأغلب هذا النوع من المسرحيات يهدف إلى السخرية من أشكال المسرح التقليدى ومكوناته مثل الحوار المصنوع والتجنيبات أو التحدث على انفراد ، والمسرح الواقعي حيث الشخوص تتحدث فيما بينها ولا تهتم بالمشاهدين الذين لا يعرفون بالضبط عما يتحدثون ، كما يحدث في مسرحية " هم وحدهم يعرفون الموضوع " .

وأما النوع الثانى من مسرحيات " تارديو " والتي أطلق عليها " مسرحيات الجزع " فهي تكشف من خلال حادث عارض مضحك فى ظاهره عن وضع الإنسان المزرى فى عالم يعتقد أنه لم يخلق له . ويشيع فى هذه المسرحيات نوع من عقدة الذنب يشعر بها الإنسان دون سبب واضح . كما يحدث فى مسرحية " السيد أنا " ومسرحية " شباك التذاكر" أو يسود إحساس بوجود عدو لا يرحم ولا يتورع عن قتل من يصادفه مثل مسرحية " من هناك " .. ومسرحية " البيانولا " .


تليجرام
هنا
سور الأزبكية

فـى أثنـاء الـفـصـل الأول

(وذلك بالاستعانة ببعض التفصيلات السريعة مثل الشوارب وشعر الرأس والنظارات ، إلخ . وكذلك بفضل تكوينات أصوات وأوضاع)

أول رجل اجتماعى

ثاني رجل اجتماعى

المرأة المتعجلة

الرجل الذى يعرج

الرجل المدعى

حبيبة القلب

القارئ القِس

القارئ العِلمانى

الطالب

الطالبة

الفتاة العانس

الفتاة

الشيخ الأول

الشيخ الثانى

الأجنبية المتأنقة الأولى

الأجنبية المتأنقة الثانية

المترجم .

فى أثناء الفصل الثانى

قارئ الجريدة .... شاب ضئيل الجسم مدقق موسوس .

المرأة المهانة ولكنها مثيرة .... ضخمة تبعث على الازدراء .

النجمة الخيالية .... خياطة شابة ، جميلة وغريبة الأطوار .

السمكرى .... شـاب في مقتبل العمر . لئيم ، مازح .

في زى العمل . يتدلى من على كتفه

حقيبة العُدد والأدوات. يمكن أن يمسك

بيده بعض المواسير الرصاصية .

الحامي .... مجـرد " مانيكان " ممـا يعـرض في واجهـات

المحلات . شوارب مرسومة ، قبعة ، قفازات

رقيق الملامح يبدو عليه البله .

شخص فى حالة ذوبان فى الجمهور . غير محدد الأوصاف .

الشخوص

هى

هو

وثلاثة وعشرون راكبا من بينهم " مانيكان " . فيما يختص بالركاب الثلاثة والعشرين فيكفي للقيام بأدوارهم خمسة ممثلين (ثلاثة رجال وامرأتان) يتقمصون بالتوالى الشخوص الآتية :

اللوحة الأولى

على رصيف إحدى محطات المترو

(فى البداية ، أقصى المنصة يكون مشغولا بالكامل بإعلانين ضخمين مزركشين بألوان كثيرة متنافرة ، معلقين داخل بروازين خفيفين ، يحملهما من داخل المسرح شخصان لا يمكن رؤيتهما) .

(الإعلانان حافلان فى غير نظام بصور كتب وأشياء أخرى مثل الزجاجات والطيور وشعر الرأس والقاطرات ، إلخ . نطالع وسط هذه الصور العبارات التالية مكتوبة فى كل اتجاه باليد :

خذوا المشهد من الناحية الصحيحة .

اشربوا كلماتى .

إذا ضعفتم ، استردوا صحتكم .

عيشوا وصدقونى .

(يمكن أيضا تعليق بعض اللافتات الزرقاء التى تحمل أسماء بعض محطات المترو أو الاتجاهات الخيالية) .

(بعد ذلك يبتعد الإعلانان ويختفيان من ناحيتى اليمين واليسار داخل الكواليس) .

(نلمح رصيف إحدى محطات المترو والناس يروحون ويجيئون) .

(هذا الفصل يمكن أيضا أن يتم أمام الستارة . يكفى لذلك وضع ثلاث أو أربع درجات سلم على اليسار تُفضى إلى الكواليس ، ترمز إلى السلم الذى ينزل عليه الركاب إلى المحطة) .

(الشخوص الذين يمثلون تحركات الجمهور يظهرون ويختفون ويصعدون ويهبطون الدرجات . هذه التحركات ينبغى أن توحى بحركة غير عادية وغير متوقعة ، ومع ذلك فهى مضبوطة بدقة)

(فى خلال هذا الفصل كله ، بعض المشاهد القصيرة سوف تؤدى فى البعد الأول (مقدمة المسرح) بينما الركاب مستمرون فى ذهابهم وإيابهم ، بعضهم بسرعة والبعض الآخر ببطء ، كل فريق يتجنب الاصطدام بالآخر فى أداء صامت يبدو غريبا ومثيرا من هؤلاء الناس المجهولين الذين هم صورة منا جميعا حينما نلتقى فى مكان عام لمدى لحظات قصيرة)

(نفر قليل من الممثلين يؤدون هذا الدور ، فيقومون على وجه السرعة بتغيير بعض ملابسهم بحيث يصبحون فى

كل مرة شخوصا جدا ، يختلفون في نبرات الصوت أو لهجة الكلام أو الأوضاع التي يتخذونها)
(الممثلون في مجموعهم ينبغي أن يعطوا انطباعا بنوع من الباليهات مع واقعية في الإيقاع)
الرجلان الاجتماعيان يتقدمان متجاورين حتى منتصف المنصة . ثم يتوقفان فجأة)

الرجل الأول : (لطيفا للغاية)
إذن ، إلى اللقاء ، يا عزيزى .

الرجل الثانى : (أكثر لطفا)
تريد أن تقول : إلى اللقاء يا عزيزى ؟

الرجل الأول : ماذا إذن ؟ ألم أقل ذلك ؟

الرجل الثانى : بلى ، لقد قلت ذلك . لقد قلت فعلا : إلى اللقاء يا عزيزى .

الرجل الأول : أليس ذلك ما كان ينبغي أن أقول ؟

الرجل الثانى: بالضبط ، هو ما كان ينبغي أن تقول . وأنا سأجيبك ...

الرجل الأول : وأنت ستجيبنى ؟

الرجل الثانى : سأجيبك قائلا : إلى اللقاء يا عزيزى .

الرجل الأول : هيا ، هكذا كل شىء على ما يرام . إلى اللقاء .

الرجل الثانى : إلى اللقاء .

الرجل الأول : إلى اللقاء .

الرجل الثانى : إلى اللقاء .

الرجل الأول : إلى اللقاء .

(يشد كل منهما على يد الآخر عدة مرات فى حرارة وينصرفان ، الأول ناحية اليمين والآخر ناحية اليسار . ولكن قبل اختفائهما ، يتوقفان فجأة)

الرجل الأول : (متلفتا وصائحا)

ومع السلامة !

الرجل الثانى : (الأداء نفسه ،.وهو يضع يده على فمه كالبوق)

نعم ، مع السلامة !

الرجل الأول : مع السلامة !

(يصل " هو " و " هى " كل منهما يمسك يد صاحبه ، ويتقدمان بطريقة أقرب إلى الرقص . يروحان ويجيئان مرة أو مرتين على هذا النحو ، ثم يختفيان وهما يبتسمان)

هـــــو : (بإيقاع الفالس)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .

هـــــى : (الأداء نفسه)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، مرام .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، زحام .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، كلام .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، سلام .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، وئام .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، حبيبى .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، سماء .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، نصيبى .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، نداء .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، خميلة .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، حصان .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، جميلة .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، ميزان .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

(ينصرفان)

المرأة المتعجلة : (يتبعها رجل يعرج)

بسرعة يا جوستاف ... حتى لا يفوتنا المترو ... بسرعة ؟

الرجل الذى يعرج : (لاهثا)

ياه ، ياه ... كعوبى تؤلمنى ...

المرأة المتعجلة : (مغيظة)

يا الله ! ... لن نصل ... وسينتهى كل شىء !

(يصل رجل وسيدة يجتازان المنصة فى عظمة ظاهرة)

الرجل المدعى : كان عندى واحد منها . ظل عندى زمنا طويلا .

حبيبة القلب : آه ! وكيف كان ؟

الرجل المدعى : كان جميلا . جميلا جدا . جميلا جدا جدا . بحق جميلا جدا ... ولكنه كان ضعيفا جدا ... وضعيف الفهم جدا . جدا ، جدا . كان لابد من التعود عليه ... جدا !

حبيبة القلب : إلى هذه الدرجة ، يا عزيزى ، الأمر يبعث على المذلة .

أنا أيضا كان عندي واحد ، ظل عندي زمنا طويلا ، زمنا طويلا . ولكن في يوم من الأيام فى أثناء تنظيفه ، تنظيفه ...

(تأتى حركة غامضة قد تعنى موت كائن حى أو تحطيم شيء ما)

الرجل المدعى : آه ؟ وأين كان ؟

حبيبة القلب : فوق مدفأة الصالون ، مدفأة الصالون .

(الرجل والمرأة يختفيان . شخصان يظهران على جانبى المنصة ويتوجه كل منهما نحو الآخر ، دون أن يرى أحدهما الآخر ، لأن كلاهما غارق فى قراءة كتاب . زيادة على ذلك فهما متشابهان بدرجة عجيبة ، ولكن أحدهما قِس والآخر عِلمانى . يصطدم كل منهما بالآخر ويتوقفان) .

القارىء القس : أوه ، عفوا !

القارىء العلمانى : أوه ، عفوا !

القارىء القس : (يتحدث عن كتابه كأنه يقدم نفسه بانحناءة خفيفة)

القديس بطرس !

القارىء العلمانى : (الأداء نفسه)

المركيز دى ساد !

القارىء القس : معذرة !

القارىء العلمانى : العفو !

(يتبادلان التحية بكل جدية ، ويواصلان طريقهما مستأنفين القراءة)

(يصل طالب وطالبة يحملان كتبهما تحت إبطيهما)

الطالبة : (بكل جدية)

.. أرأيت ، الفتاة كاهنة في معبد فينوس . يعني ، على حد تعبيرهم ، فقد قرر أبواها أن تضع الحجاب .

الطالب : (ساخرا)

ماذا ؟ أهي في أحد الأديرة ؟

الطالبة : دعك من هذا الهراء ! إنها تعيش وحدها في برج في " سيستوس " ، مع خادمة ، على شاطئ البحر .

الطالب : وبعد ؟

الطالبة : في يوم من الأيام ، لمحت شابا في المدينة في حفل خيري . ولسوء الحظ كان يعيش في " أبيدوس " على الشاطئ الآخر من المضيق . ولكن هذا لم يُجْدِ شيئا كما تعرف ، فقد أحبته وأحبها . وقرر أن يذهب ليقابلها في المساء ، خفية .

الطالب : (مستهزئا)

خفية ممَّن ؟ من فينوس ؟

الطالبة : كلا ، أيها العبيط . من خادمة المعبد ! وعلى ذلك فقد راحت في كل مساء تلوِّح له بمصباح من أعلى البرج . حينئذ يأخذ هو في السباحة للعبور إليها مجتازا الخليج الذي يفصل بينهما . تصور يقطع خليجا كاملا لكي

يصل إليها ! ... فيقضيان الليل معا . وفى الصباح يعود من حيث أتى .

الطالب : وبعد ذلك ؟

الطالبة : بعد ذلك ، سار كل شىء على ما يرام طوال الصيف . أما فى الشتاء ، حينما تهب الريح وتعصف بالماء ...

الطالب : (ساخرا)

أيوه ، أيوه ، أعرف ، أكملى !

الطالبة : حينئذ ، فى ليلة عاصفة ، صمم بالرغم من ذلك على أن يسبح إليها ، وكان من الطبيعى أن تسوء حالته فى الماء ...

الطالب : وبعد ذلك ؟

الطالبة : بعد ذلك ، لم يعثروا إلا على جثته التى حملتها الأمواج إلى الشاطئ ... حينئذ ، شاهدت هى ذلك من أعلى البرج ، فلما رأت أنه مات ألقت بنفسها من النافذة فسقطت إلى جواره فاقدة الحياة .

الطالب : ما اسمها ؟

الطالبة : اسمها " لياندروهيرو " قصيدة جميلة . ولكن من الصعب جدا ترجمتها ! ...

(يختفيان)

(فى الحال ، ومن الجهة المقابلة يصل عاشقا المترو متشابكين ، يسيران الهوينا ، فى صمت ونشوة . يتوقفان فى أقصى المنصة ويشرعان في حديث غرامى بصوت خفيض دون أن يبرحا المكان) .

(تمر فتاة عانس وبصحبتها فتاة في مقتبل العمر)

الفتاة العانس : (صـــارمـــة ، تحــاول أن تمنع الفــتــاة من النظر إلى العاشقين)

سيسيل ، أُنظري إلى إعلان شربة ماجي .

الفــتـــاة : (متبرمة وهي تطالع العاشقين بإصرار)

ولكنني لا أشربها .

العـــانس : لا يهم ... انظري مع ذلك . يجب علينا دائما أن ننظر إلى الإعلانات . الإعلانات ، دائما يجب أن ننظر إليها .

الفــتـــاة : لقد قلت لي عكس ذلك قبل قليل .

العـــانس : لأنه كان إعلانًا لا يجب أن ننظر إليه . هيا ، تعالي .

(تختفيان بسرعة . الفتاة تخرج على مضض وهي تلقى نظرة أخيرة على العاشقين)

(العاشقان يتحولان عن مكانهما في أقصى المنصة ويَمْثُلان في المقدمة . يتحدثان بنوع من النشوة لا تبعث على السخرية ، على أكثر تقدير ، تدعو إلى الابتسام . وعلى أية حال ، ينبغي أن يكون شعورنا نحوهما هو التعاطف معهما ، بل وإذا أمكن ، التأثر) .

هـــــي : أين أنا ؟

هـــــو : بالقرب مني .

هـــــي : وأين أنت ؟

هـــــو : بالقرب منك .

هـــــي : أنت تكون ؟

هـــــــو : أنا أكون .

هـــــــي : لم أكن شيئا . أنت جئت . أنا أكون .

هـــــــو : أنا أكون معك .

هـــــــي : أنا لا أكون شيئا دونك .

هـــــــو : نحن نكون .

هـــــــي : (متضرعة)

قل : نحن سنكون !

هـــــــو : نحن سنكون .

هـــــــي : أود أن أكون أنت .

هـــــــو : أنتِ تكونين أنا .

هـــــــي : من أجلك ، من حولك .

هـــــــو : منك ، وإليك ، ومن خلالك .

هـــــــي : نكون كلٌ منا للآخر .

هـــــــو : كائن واحد .

(ينصرفان في بطء)

(يصل رجلان مسنان (شيخان) مهندمان يحملان الأوسمة والنياشين لعلهما من رجال السياسة)

الشيخ الأول : (بصوت أخنف متكسر)

وهكذا ، ذلك ما تؤيده أنت ؟

الشيخ الثاني : (مترددا في دقة ورقة)

نعم ، إذا شئت ، نعم ... على حد تعبيرك ... هو ذاك ...

الشيخ الأول : أنت إذن مؤيد ؟

الشيخ الثاني : (وقد شعر بالإهانة إلى حد ما)

أوه ، كلا ... كلا ... ، أرجوك ! لا تُقَوِّلني ما لم أقل .

الشـيخ الأول : إذن ، فـأنت تعـتـقـد أن المرء يمكن أن " يؤيد " دون أن يكون " مؤيدا " .

الشيخ الثاني : إيه ، عفـوا ... ، عفـوا ... أن تـؤيـد " هذا شـيء " ، أما أن " تكون مؤيدا " فهذا شيء آخر .

الشـيخ الأول : إذن لا تؤيد .

الشيخ الثاني : للأسف يا صديقي العزيز ، هذه مهنتي ، ماذا أصبح إذن إذا لم أؤيد ؟

الشـيخ الأول : إذن ، تصرف !

الشيخ الثاني : أتصـرف ! ولكن قـبل أن أتصـرف لابد أن أفكر . هناك نعم وهنـاك لا ، مـؤيدون ومـعـارضـون . وهنـا أتـدخـل أنا و(يأتي حركة أنيقة) وأؤيد ...

الشـيخ الأول : (بشـيء من الازدراء)

أرأيت ! في النهاية تدخل في زمرة أحد المؤيدين .

(في الوقت الذي يعـتـرض فـيـه الشـيخ الثـاني في حـدة وعنف على هذه التهمة الشنيعة ، يختفي الشيخان)

(بعد ذلك على الفور ، يظهر عـاشـقـا المترو . ولكن بعد مشهد الغرام يحل مشهد عادى) .

(يجتـازان المنصة سـريعـا إلى حد مـا ، " هـي " في وضع التـوتر والتـوبيخ ، و" هو " فـي وضـع البـريء المظلوم الذي يدافع عن نفسه معتمدا فقط على سلامة طويته الواضحة)

هــــــــى : فكر فيما كتبتَه !

هــــــــو : ولكننى أكون دائما .

هــــــــى : كلا ، أنت الآن لم تعد أنت .

هــــــــو : لا ، أنا أكون أنا .

هــــــــى : كلا .

هــــــــو : بل أنتِ لم تعودى أنت .

هــــــــى : آه ، هذا كثير . أنت الذى لم تعد تكون أنت .

وهــــــــو : ولكن كيف ؟ ولماذا ؟ لماذا ؟

هــــــــى : أنت تعرف جيداً أن !

هــــــــو : أن ماذا ؟

هــــــــى : أنت نفسك قلت ذلك .

هــــــــو : قلت ماذا ؟

هــــــــى : أنت تعرف جيدا . ما كان عليك إلا ألا !

هــــــــو : ولكننى لم أقصد أن ! لقد قلت إنَّ ! ولكنك فهمت ألا !

هــــــــى : لقد فهمت أننى فهمت .

هــــــــو : (وقد بدأ يحتد)

وأنا أكون ما أكون فى النهاية !

هــــــــى : (فى لهجة التحدى)

آه ، أنت تكون ما تكون ! حسنا ، وأنا أيضا .

هــــــــو : كلا ، ثم كلا . أنت لا يمكن أن تكونى ما أكون أنا .

هــــــــى : (بنبرة لوم عاطفى ، تكاد تجهش بالبكاء)

لقد كنتُ ذلك فعلا قبل قليل . أنا كنتُ " أنت تكون " الخاصة بك ، وأنت كنت " أنا أكون " الخاصة بي . آه ، كل شيء مختلف تماما !

هـــــو : (متضرعا)

اسمعيني !

هـــــي : (متباكية)

كلا ! تعال ! هيا بنا ! فهاهنا كنا !

هـــــو : (رقيقا)

ولكننا سنكون ، أنت تعرفين ذلك جيدا . سنكون من جديد .

ينصرفان .)

أجنبيتان أنيقتان تتقدمان . تحاولان أن تشرعا في مناقشة ، ولكن لأنهما تتكلمان لغتين مختلفتين ، فلا تستطيع إحداهما أن تفهم الأخرى)

الأجنبية الأنيقة الأولى : أما مادى باها " باريس " ؟

الأجنبية الأنيقة الثانية : (لم تفهم إلا كلمة باريس)

أوه باريس ، جوش ، جوش ، باريس !

الأجنبية الأنيقة الأولى : أويوه ببهو ؟

الأجنبية الأنيقة الثانية : (تشير بأنها لم تفهم)

باكوب ، باكوبى ، بوتوك !

(يصل الترجمان باحثا عن زبائن . لباسه المتباين يوحى بمهنته . فهو مثلا يرتدى طربوشا مغربيا ، وضفيرة شعر تتدلى على ظهره ، وتنورا جندى من نيوقوسيا ... يلحظ الأجنبيتين ويتقدم عارضا خدماته)

المتـــــرجم : مترجم ؟ مترجم ؟

الأجنبية الأولى : (بإشارة تسأل الثانية عن هذا القادم الجديد)

أويو إيبيلى ما هى ؟

الأجنبية الثانية : (بإشـارة تريد أن تقول إنهـا لم تفـهـم الأجنبيـة الأولى ولا المترجم)

باكوبى ، باتاك ، بوتوك ؟

المتـــــرجم : (وقد عرف اللغتين اللتين تتحدثان بهما . يخاطب الأولى)

مترجما هى ؟...

الأجنبية الأولى : (تشير إلى أنها فهمت وموافقة)

أو ماهو هى ... ماهوى ...

المتـــــرجم : (مخاطبا الثانية)

مترجماتوك ؟

الأجنبية الثانية : (مشيرة بأنها فهمت وموافقة بجلبة عالية)

جوش ! جوش ! مزجوك !

بيزودى بيليك ؟ بيشيه – بى ، كوتو – كوتس ؟

المتـــــرجم : (يترجم للأجنبية الأولى)

مينيه – هى ، مينيه – ها ، إيبيه – هى !

الأجنبية الأولى : (تشير بأنها فهمت)

فـيـجيه – هى ، فى – هى – هى ! (وهى تشير بالتوالى وبدلال ظاهر إلى ما ترتدى من ثياب) إيفيهيه ، ريميه – ها ، هو هاى – هو وى دو يو ، ليـمـيـه وى ! ... مـادا ... أووا ، آدا . دووا ، إيرى – وى .

المتـــــرجم : (مخاطبا الأجنبية الثانية وهو يشير
إلى ملابس الأجنبية الأولى من رأسها إلى قدميها)
جوش ! بيز ! جيجيه فيفر ، بيم ريديبن ، بأم سيكتودا ،
بأم داد ووار ! .. كوكوروكس !

الأجنبية الثانية : (ضاحكة)
أشر ! أشر ! كيدبت ! كيدبت ! آرابوراس ماجركس !

الأجنبية الأولى : (ضاحكة)
ميمى – هى ، أماماوى ! ماهووا ، ماهى !

المتـــــرجم : (ضاحكا بطريقة مبتذلة)
بروبوكس ! هو ! هو ! هو ! بوبوكس ، بوبوكس !
(الثلاثة يبتعدون ضاحكين . العاشقان يعودان . هذه
المرة منهمكان في المناقشة)

هـــــــو : (بعنف)
وأنت ، وأنت ، وأنت ، وأنت !

هـــــــى : (بالعنف نفسه)
ليس أنا ، ولكن أنت . ليس أنا ، أنت !

هـــــــو : عفوا ، أنت أنا !

هـــــــى : (غاضبة)
كيف ، أنا أنت ؟

هـــــــو : نعم ، أنا أنت !

هـــــــى : أنا أنت أبدا ، أبدا .

هـــــــو : بلى ، أنتِ أنا !

هـــــــى : أنت الذى !

هـــــــو : أنا الذى ماذا ؟

هـــــــى : أنت ، أنت ، أنت ، دائما أنت ! (ساخرة) آه حقا !
(عنيفة وعصبية) وكيف أنا الذى ؟ ولمن ؟ ولماذا ؟

هـــــــو : (مرهقا)
من أجلك ، ليس من أجلى ! أنتِ التى أنتِ ، فى حين أنا أنا !

هـــــــى : أنا أنا نعم . يا ربى ، أنا أنا ، أنا أنا دائما .

هـــــــو : (وهو يواصل مجهودا صادقا فى الشرح)
وأخيرا : أنا أنا ، لأن أنتِ أنتِ .

هـــــــى : (وقد تملكها الشيطان)
لا يوجد أنت أنت ! انتهى الأنا أنت ، انتهى الأنت ، انتهى الأنا .
(تجهش بالبكاء)

هـــــــو : (متأثرا)
ولكنك تعرفين جيدا أن أنا !

هـــــــى : كلا ، أنا لا ، أنا لا ، أبدا .

هـــــــو : (قلقا)
ألن تحاولى أنا ؟

هـــــــى : بلى سأحاول وأنت !

هـــــــو : (متضرعا)
فرنشسكا ؟

هـــــــى : (مبتعدة خطوة وهى تبكى)
كلا !
هـــــــو : (مؤثرا بعض الشيء)
أليسا !
هـــــــى : (أكثر قليلا)
كلا !
هـــــــو : (أقوى شيئا فشيئا)
جولييت ! شارلوت !
هـــــــى : (مبتعدة أكثر)
كلا ، كلا .
هـــــــو : لورا ! بياتريكس ! كليوباترا !
هـــــــى : كلا ، كلا ، كلا ، كلا .
(تخرج من المسرح وهى تجرى)
هـــــــو : (صائحا وجاريا وراءها)
إيما ! إيلووا ! هيلويزا ! ديوتينا ! جورجيا ! هيلدا !
(يختفى وهو يجرى . تظهر " هى " فى المواجهة وهى تهبط الدرجات ، بين ذهاب وإياب الجمهور . ثم تتوجه إلى الناحية المقابلة . فى الوقت الذى ستختفى فيه ، يظهر " هو " وهو يجرى وراءها ويشير إليها بالتوقف .. صائحا من بعيد)
متى إذن ؟
هـــــــى : (الأداء نفسه ، فى ألم)

أبدا .

هـــــــــو : أين إذن ؟

هـــــــــى : أبدا .

(تتكرر منهما هذه الحركات بين المنصة والكواليس مرتين أو ثلاث مرات . " هو " محاولا أن يلحق بها ومعبرا بسرعته المتزايدة عن شعوره المأساوى بفقد حبه ورغبته الحارة فى إعادته) .

(فى أثناء هذا الأداء ، يسمع صوت رتيب ، ولكن بإيقاع واضح ، يواصل تعداد أسماء إناث)

الصـــــوت : (داخل الكواليس أو من خلال مكبر للصوت)

إليزا ، إيميليا ، أنًّا ،

جوليا ، أورورا ، كاسندرا ،

هيلينا ، أرماند ، أوفيليا ،

ميلوزينا ، أرميدا ، أنيترا ،

لويزا ، جانًا ، ماريا ، كلودينا ،

سوزانا ، ريموندا ، كوليتا ، إنيكا !

(إيقاع جرى العاشقين يجب أن يزداد سرعة وكذلك نداء أسماء الإناث) .

(على حين فجأة ، المشهد يخلو . الدرجات الموجودة جهة اليسار تختفي ، قد يعود الإعلانان إلى مقدمة المسرح فى البعد الأول لإخفاء تغيير الديكور) .

فإذا بنا أمام ...

اللوحة الثانية

(تصل مقصورة إحدى عربات المترو بطول الرصيف . المقصورة مفتوحة كأنما ذلك بفعل تحطيم أحد جانبى العربة) .

(صف من تماثيل المانيكان ، نظرتهم ثابتة ، ملئوا المقصورة حتى حافتها تاركين فقط المكان لصف واحد من الركاب المضغوطين . مع الاستثناء التالى : فى البعد الأول ، مانيكان واقف (هو الذى يمثل " المحامى ") يشغل المكان السادس من الصف الأول من ناحية اليسار) .

(وراء الصفين الأول والثانى ، هياكل من الكرتون المقصوص تمثل أعماق جمهور الركاب المضغوطين بعضهم فى البعض الآخر) .

(الركاب يصلون يركض بعضهم وراء البعض الآخر ، ويصعدون بسرعة داخل المقصورة ويظلون واقفين متلاصقين مواجهين جمهور الشاهدين ، ولكن بحيث يتركون مكانا خاليا فى كل طرف من طرفى المنصة) .

(يمكنهم أيضا أن يقفوا أولا وظهورهم للجمهور . فى هذه الحالة تُثَبَّتُ نسخٌ من قناع واحد فوق أقفيتهم

جميعا كما يمكن أن يكسو ظهورهم جميعا " زى موحد " فيما بعد ، أى فى الوقت الذى يقوم فيه " البطل " بتوجيه الحديث إلى " هى " بشكل خاص ، سيقوم كل منهم بالدوران على عقبيه ليواجه الجمهور : حينئذ يقوم الراكب بالإشارة إلى وجهه هو وثيابه الخاصة . فقط ، وبطبيعة الحال ، المانيكان الذى يمثل " الحامى " سيكون منذ البداية مواجها الجمهور وحتى النهاية) .

هؤلاء الركاب هم ، تبعا لأماكنهم من اليسار إلى اليمين :

- هاوى الجرائد
- المرأة المهانة ولكن مثيرة
- العامل المتفهم
- النجمة الخيالية
- " الحامى " **(وهو مانيكان)**
- الشخوص فى حالة ذوبان فى الجمهور .

(هؤلاء الشخوص الستة ، حتى حينما يظهرون من الأمام ، سيكونون فى البداية غير محددى الهوية ، غير محددى الشخصيات ، بلا تعبيرات ، جامدين ، غائبين ، كما لو كانوا جميعا مجرد مانيكانات . يظلون كذلك طالما لم يدخلوا فى مناقشة خاصة مع الشخصية الرئيسة) .

(حينئذ يتخلون عن جمهورهم ويصبحون كائنات بشرية متميزة تفيض حياة) .

(فى البداية ، تحول الشخوص الستة بطريقة آلية رءوسها الواحد نحو الآخر كأنهم أشخاص آليين ويتناءون ويجيب بعضهم بعضا بمنتهى السرعة بطريقة موحدة ، أصواتهم بمجرد أن يتحولوا إلى كائنات بشرية متميزة) .

هاوى الجرائد : (متلفتا نحو المرأة المهانة)

هل تعرفينني ؟

المرأة المهانة : (متلفتة نحو هاوى الجرائد)

لا أعرفك . **(بعد ذلك مباشرة ، وهى تلتفت نحو النجمة الخيالية)**

هل تعرفينني ؟

النجمة الخيالية (الأداء نفسه)

لا أعرفك **(الأداء نفسه مع السمكرى)** هل تعرفنى ؟

السمكرى : لا أعرفك **(الأداء نفسه مع جاره)** هل تعرفنى ؟

الحامى : (بما أنه مانيكان لا يجيب)

السمكرى : (مشيرا إلى جاره)

لا يعرفنى ! **(منحنيا ليخاطب الراكب السادس)**

هل تعرفه ؟

الشخوص فى حالة ذوبان فى الجمهور

لا أعرفه ! لا أعرفك ! لا أعرف ! لا أعرف أحدا !

(بمجرد إنهاء هذا الأداء ، الشخوص الستة يعودون إلى جمود المانيكانات)

"(هى " تصل وهى تجرى ، وتصعد إلى المكان الذى بقى خاليا فى الطرف الأيمن من المقصورة . الشخوص الستة يتظاهرون بأنهم ينضغطون إلى أقصى حد ممكن لكى يسمحوا لها بالوقوف ، مع المحافظة على المكان الخالى الموجود فى الطرف الأيسر من المنصة) .

(بعد ذلك مباشرة " هو " يصل وهو يجرى . يحاول أن يصعد بجوارها ولكن مستحيل ، فيُرَدُّ خائبا) .

هـــــــو : لا تذهبى دونى . لا تذهبى دونى ! ... (يحاول أن " يخترق " " جبهة " الركاب فى عدة أماكن . فيفشل . فى النهاية ، يقرر أن يشغل المكان المتروك خاليا جهة اليسار . وبذلك يظل يفصله عنها الشخوص الستة الواقفون متجاورين يمثلون الجمهور . الفتاة ، جهة اليمين ، تبكى فى منديلها . " هو " ، فى الناحية الأخرى ، يجفف جبينه . بابان بارتفاع يتراوح بين أربعين إلى خمسين سنتيمترا ، يُدفع أحدهما من " كالوس " اليمين ، والآخر من " كالوس " اليسار ، ويمثلان الأبواب الآلية ، يلتقيان فى منتصف المنصة . تسمع صفارات ناظر المحطة . الركاب الثمانية يمثلون تحرك المترو وذلك بأن يميلوا جميعا فى اتجاه واحد ميلة شديدة . يعودون إلى الثبوت . ولكن من آن لآخر سيظلون خلال المشاهد التالية يذكروننا بأن العربة تسير ، وذلك عن طريق بعض الحركات من رءوسهم وأكتافهم . فى الوقت نفسه ، ينبغى أن يصدر

عنهم وأفواههم مغلقة ، نوع من الطنين يمثل حركة العجلات . هذا الطنين يتبع إيقاعا معينا (أربعة أزمنة ، الأول منها شديد) للإيحاء بتحرك العربة ، من الممكن أن تُمرر في بطء وبالتوالي من اليمين إلى اليسار الإعلانات التي ظهرت في البداية ؛ للإيحاء بأن المترو يتحرك من اليسار إلى اليمين . وأخيرا اللافتات الزرقاء التي تدل على المحطة ، تختفي . من الممكن أيضا الحصول على ضجيج مسجَّل لعربة مترو متحرك : يعرض على الأقل في بداية الفصل ثم يختفي في الوقت الذي تبدو فيه الشخوص في التحدث .

(هو ، محاولا أن يخترق له طريقا بين الجمهور وموجها الحديث إلى جاره المباشر) عفوا يا سيدى ! ...

(لا يتلقى إجابة) عفوا ، يا سيدى ! هل تسمح ! ... سيدى ، لو سمحت !

(الجار لا يتحرك)

الجمهور (في كورس ، دون أن نرى أحدا يتكلم ، مادام الشخوص يديرون لنا ظهورهم . في البداية " ميتزوفوتش " (صوت منخفض) ولكن واضح الإيقاع . أصوات رجال ونساء مختلطة)

ألفريد ، لوسيان ، فيليكس !

روبير ، مارتان ، بأزيل !

بينوا ، ريشارد ، باسكال !

هـــــــــو : سيدى ، أنا ... هل ... تسمح لى بالمرور ... من فضلك !
ممكن أمر ... يا سيدى .
(ولا حركة)

الجـمـهـور : ألبير ، جوليان ، جاكسون .
إيرنست ، آلان ، إيناس
دانيال ، سيمون ، جوستاف .

هـــــــــو : **(ملتفتا نحو الآخرين فى المقصورة)** سيدتى ، سيداتى ،
سيدى ، لو سمحتم ... يجب أن ... معى شخص هناك ،
أريد أن أذهب إليه ... من فضلكم ... هناك ... عفوا
يا سيدتى! ... يحاول بمرفقه ، يتدافع ، ولكن بلا فائدة .
يصل إلى درجة التضرع ، سيداتى ، سادتى ، أرجوكم !
أرجوكم ! دعونى أمر ... خطوة بسيطة ، شبر ! ...
(يمثل حركة من يسبح) ! ذراع واحدة لا أكثر ... حتى
الشاطئ ، حتى الشاطئ فقط .
(لا نتيجة)

الجـمـهـور : **(رافعا الصوت بإيقاع أسرع)**
ماريا ، إيناس ، هورتينس !
إيفا ، راشيل ، جوستين .
إيرين ، إيدا ، ليديك ،
آجات ، أولجا ، صوفيا .

هـــــــــو : **(يشب على أطراف أصابعه محاولا التحدث مع صديقته
من فوق رءوس الركاب . يُرى وهو يصيح ولكن صوته**

– مع أنه صياح – إلا أنه يبدو ضعيفا حيث تغطى عليه جزئيا ضوضاء الجمهور المستمرة)

هذا أنا ! ... أنا هنا ... في العربة نفسها ! ... أركب معك . انتظريني ! ... لا تنزلي قبلي ! ... ولا بعدي ...

(أصوات تتجاوب بسرعة وتطلق أسماء أشبه بكرات التنس . الرجال يطلقون أسماء إناث ... الإناث يطلقن أسماء ذكور)

صوت رجل : (صاعدا – كريشندو)

دينيس ! كوليت .

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

لوران ! إيميل .

صوت رجل : (صائحا)

كريستين ! إيديت !

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

فيكتور ! سيزار !

صوت رجل : (هابطا – ديكريشيندو)

لوسى ! مونيك !

صوت امرأة : (هابطا – ديكريشندو)

ميشيل ! فرانسوا !

(الأصوات تصبح بلا تمييز . تواصل مع ذلك بالإيقاع نفسه)

هـــــــــو : (محاولا أن يصبح رغم العجز وشبه اليأس)

هم الذين ! ... ليس واحدا ! ليس اثنين ! ليس ثلاثة ! ...

بل ثلاثة مضروبة في مائة ، مضروبة في ثلاثة ... مضروبة في ألف تربيع ، مضروبة في عشرة ، ثم في ثلاثين ، ناقص أربعة عشر ، زائد ألفين ! ليس أنا ، ليس أنت ، بل أنت زائد أنا ، زائد الجميع ... الجميع زائد الجميع يساوي جدارا ! الجميع زائد الجميع ، يساوي الرمال ، زائد الجميع يساوي البحر ، زائد الآخرين ، لا أحد ! ... **(في قمة الغيظ)** أريد أن أصل إليك ! ... لا أستطيع ! ...

(على حين فجأة ، ضجيج الركاب يتوقف)

صوت رجل : (بلهجة شبه عادية ولطيفة)

ريموند !

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

روجيه !

صوت الرجل نفسه :ريموند .

صوت المرأة نفسها :روجيه !

صوت الرجل نفسه :ريموند .

صوت المرأة نفسها :روجيه .

هـــــــــي : (تشرئب فوق الركاب وبصوت شابة عادي)

الجميع ... يساوون واحدا زائد واحد !

الجـــمـــهـــور : (في همهمة خفيفة تضعف حتى تتلاش)

واحد زائد واحد! واحد زائد واحد!... واحد زائد واحد!... واحد زائد واحد! واحد زائد واحد! واحد زائد واحد !...

العقبة الأولى أو هاوى الجرائد

هـــــــو : (بعد أن لاحظ جاره لحظات وسعل لكى يجذب انتباهه)

هوم ! هوم ! (لا إجابة) هـوم ! هـوم ! هـوم ! هـوم !

(لا إجابة . هاوى الجرائد يستدير على عقبيه ويبدو بوجهه الحقيقى ، فإذا به رجل مهندم الثياب . دون أن يتخلى تماما عن جموده السابق . وبحركات شبه آلية يخرج من جيبه جريدة ، يفضها ويشرع فى القراءة ، انتباهه بما يقرأ واضح فى حركات رأسه من أعلى إلى أسفل أو من اليمين إلى اليسار. حركاته تتحول شيئا فشيئا إلى المرونة والبشرية خلال المناقشة. أخيرا هو يقرر أن يتكلم)

نيـوم ، نيـوم ، نيـوم ، نيـوم ، نيـوم ، نيـوم ، الكلمات المتقاطعة ؟

هاوى الجرائد : (ينصرف عن قراءته ويلتفت فجأة نحوه . وبلهجة فظة وسريعة)

تيوك . تيـوك ، تيوك ، تيوك ، تيـوك ، تيوك ، بوليتيكا ، سياسة ...

هـــــــو : (بلهجة من يريد أن يستعلم ويسأل باحترام شخصا عليما)

بو ، بو ، بو ، بو ، بو ، أخبار سارة ؟

الهــــاوى : (وهو ما يزال على جموده)

داك ، داك ، داك ، داك ، داك ، داك ، أخبار سيئة !

هـــــــو : (بأسى صادق)

أوه ! دز ، دز ، دز ، دز ! **(صمت قصير ، مشيرا فجأة إلى فقرة في الجريدة بفضول مشوب بشيء من الانفعال)**

فى ، فى ، فى ، فى ، فى ، الحوادث ؟

الهــــاوى : **(موافقا)**

بوبوب ، جريمة ! بوبوبوب ، جريمة حب !

هـــــــو : دوب ، دوب ، دوب ، احكها لى !

الهــــاوى : **(وقد شعر فجأة بتعاطف نحوه)**

تهمك ؟

هـــــــو : كثيرا .

الهــــاوى : **(بعد أن طوى جريدته ووضعها فى جيبه يشرع فى رواية الحادث مع تمثيل جميع الحركات)**

زو ، زو ، زو ، زو ، فتاة ، زو ، زو ، فى البيت ، زو ، زو ، وحدها ، زو ، زو ، الأب مسافر ، زو ، زو ، الضيق ، باتا ، باتا ، أنيقة ، خرجت ، باتا ، باتا ، مهرجان ، باتا ، شاب ، بان ، بان ، أنيق ، بان ، قبعة . باتاتى ، الفتاة ، باتاتا ، والفتى ، الرقص ، باتاتا ، كأس شمبانيا ، باتاتا ، ما أراه ، باتاتا ، طول الليل . بوه ، البيت ، الأب يعود بوه ، لا توجد فتاة ، بوه ، غاضب ، بوه ، مجنون ، بادادام ، الشرطة ، بادادينج ، البحث ... دين ، دين ، دينج . **(بنغمة جرس الصلاة)** دينج ، دينج ، دينج ، الصباح ... دينج ، دينج ، الفندق ... لا ، لا ، لا ... العاشقان لا ، لا ، لا ! بوم ، بوم ، متعبان ، لا ، لا ، لا ،

نوم سعيد ! برور ، بررا الشرطة ! ررر ! الأب ! بوم ، بوم ، بحث وتفتيش ! توك ، توك ، افتح ! لا ، لا ، لا . العاشقان المسكينان ! باتاترا ، يصحوان . لا ، لا ، لا ، الفتاة : " العودة ... البيت ... أبدا ... " الفتى : " حب ... انفصال ... أبدا ..." توك ، توك ، توك، " ... القانون ! " توك ، توك ، توك ، افتح ، افتح ! هو ، هو " أبدا " بان " أحبك " بان "أقتلك " بان " واقتل نفسى " ودونج ، دونج ، دونج ، دونج ، دونج (على شاكلة رنين الكأس) الأب ، الشرطة ، العاشقان ، الموكب ! ...

هـــــــــو : **(بعد صمت وصائحا بهذه الأبيات)**

الحب ، الحب ، الحب ، نار ، نار ، نار .

بوم ، بوم ، بوم ،

الحب ، جبّار ، جبّار ، جبّار .

الهــــــاوى : أعجبتك ؟

هـــــــــو : **(بغير اهتمام)**

داب ، داب ، داب ، أنا أيضا .

الهــــــاوى **(باهتمام)**

أنت ، أنت ، أنت ، أنت ، أنت نفسك ؟

هـــــــــو : أنا نفسى . هى نفسها . أحبها ... كبير ، حب كبير ... تلك الفتاة التى هناك .

(يشير إلى الطرف الاخر من المقصورة)

الهــــــاوى : **(مشرئبا لكى يرى الفتاة)**

هون ، هون ، جميلة ، جميلة ! هون ، هون ، جميلة ، جميلة
(فجأة ، قلقا) بوه ، بوه ،لا شقاء ؟ بوه ، بوه !الا خطر ؟
لا حوادث ؟

هـــــو : بلى ! خوف شديد ، خوف شديد .

الـهـــاوى : **(وقد تملكته الشفقة)**
أوه ! كيف ؟

هـــــو : هى ، زج ، زج ، زج ، زج ، تريد أن تذهب ، أنا ، تيك ، تيك ، تيك ، الحق بها .

الـهـــاوى : **(مشيرا إلى ناحية الفتاة)**
أسرع ، زو ، زو ، إليها .

هـــــو : مستحيل ، الزحام شديد !

الـهـــاوى : خذ مكانى .

هـــــو : شكرا يا سيدى .

(هو " والهاوى ، وأذرعهما ملتصقة بطول جسديهما ، يدوران بحيطة وحذر أحدهما حول الآخر بحيث يتبادلان مكانيهما ويصبح " هو " وقد كسب درجة) .

الـهـــاوى : أتمنى لك السعادة . أيها الفتى ، والهناء فى الحب إلى الأبد .

هـــــو : أنت رجل طيب ، يا سيدى . سوف نذكرك حينما نكون " معا " .

(الهاوى وقد شغل المكان الذى كان يشغله قبلا " هو " ، أى فى أقصى يسار المقصورة ، يعود فى الحال إلى

قراءة جريدته بعد أن اكتسى وجهه وحركاته بجمود الرجل الآلي كما كان في السابق) .

العقبة الثانية

أو

المرأة المهانة ولكن مثيرة

(بمجرد أن يصل الفتى إلى جوار المرأة ، تستدير على عقبيها أشبه بآلة يتم تحريكها لتصبح في منتهى الحيوية والحركة والضوضاء . تشرع في مونولوج طويل لا يتمكن الفتى من أن يعلق خلاله بكلمة واحدة)

(يكتفي بالتعبير عن مشاعره بحركات تنم عن التعجب والسخط والسخرية والشفقة ، إلخ . في تلك الأثناء ، الركاب الآخرون يظلون بطبيعة الحال جامدين ، بلا أى تأثر ، كأنهم لا يسمعون شيئا)

المرأة المهانة ولكن مثيرة : آه ! شيء عجيب ! شيء غريب ، تتصور أنني لم أر حركاتك ! وأساليبك ! لو لم يكن من المخجل رؤية ذلك . من الأفضل ألا نرى ذلك . يجب أن نراه حتى نصدق ! فتاة مسكينة لم تعمل لك شيئا . آه ! كم عذبتها ! أشياء لا يمكن لأحد أن يعلمها . تهجرها هكذا! وحيدة وسط المترو ! بلا أحد ! وفي ساعات الذروة ! وتسيء معاملتها ! إلى أقصى حد. تسيء معاملتها . أنت سيئ المعاملة ! **(مستشهدة بالركاب الجامدين)** وبعد ذلك هاهو ذا السيد المحترم يأتي ليلاحق ضحيته هنا !

في مقصورتنا نحن . مقصورة لم تعمل له أي شيء وتخصنا نحن . نحن دافعي الضرائب ! ليس مثل هذا الوغد . هذا الوغد هو أنت أيها الفتى ! بالضبط ! لذلك فلن أتكلم معك ، لن أوجه إليك الخطاب . بالضبط ! إليك ، إليك أيها السيد لا أوجه الخطاب . كيف ؟ لماذا ؟ ماذا عملت لي ؟ آه ، يا له من وقح ! ولكن لحسن الحظ ، أنك لم تعمل لي شيئا . كلا ، ولكن من يظن نفسه ؟ ومن تظنني ؟ آه ! لو رأت شقيقتي الكبرى هذا . لا يمكن . لما تمكنت من مواصلة تسكعك حتى هنا ، ولما تحرشت بي . أيها الوغد الحقير ! آه . لو أن خالة شقيقتي الكبرى رأت هذا ! إنها سيدة بحق ، دولاب بحق ، دولاب بأدراج ، لو عادت أدراجها ، ولكنها عادت أختها المريضة . لقد ماتت منذ زمن بعيد . ماتت قبل أن تولد . لقد عرفتها دون أن أعرفها . في ذلك العصر لم يكن هناك مترو ، ولا أوغاد ، ولا سفلة . ثم إنني لا أحقد عليك فأنت غبي ! حكم السن . شقاوة أطفال . آه ، يا ربي ، لقد سقطت حقيبتي ... هل يمكن أن تساعدني وتعطيني إياها ؟

(المرأة والفتى يثنيان ركبهما بحيث ينزلان مواجهةً دون انحناء بطريقة مضحكة ، مع المحافظة على النصف العلوي مستقيما ، وذلك للبحث عن الحقيبة ، يجلسان على أعقابهما ويتحسسان بأيديهما مع المحافظة على النظر إلى الأمام)

(فى هذه الأثناء ، نشاهد " هى " تُخرج ورقة من جيبها وتخط فيها بعض الكلمات وتنقل الورقة إلى جارها وهى تميل إلى الأمام ، مشيرة إلى " هو " بوصفه مرسلا إليه)

هـــــــو : من فضلك ، أعط هذه الورقة للسيد ، هذا الذى هناك .

المرأة المهانة ولكن مثيرة : ولكن لا تنتهز الفرصة لترتكب حماقة ... لن أسمح بذلك ... حسنا ، هذه هى حقيبتى ! لم يكن معى حقيبة . أنا التى وجدتها . شكرا ، يا سيدى . أنت لطيف للغاية . ولكن ماذا تنتظر ؟ ماذا تنتظر لتصعد إلى السطح ؟ النجدة ! إننى أغرق ! إنى أختنق ! ساعدونى ! **(يصعدان معًا كما نزلا . فى هذه الأثناء ، الركاب يتناقلون الورقة من يدٍ ليدٍ بصورة آلية دون رمش .)** أوف ! كنت سأختنق . بطبيعة الحال ، كنت ستستغل الفرصة . أراهن أنك كنت ستستغل الفرصة .

هـــــــو : **(مؤدبا ولكن باردا)**

آسف ، يا سيدتى . ولكن ياقة معطفك الفرو تحركت من مكانها . اسمحى لى أن أنتقل إلى الناحية الأخرى لأعيدها مكانها .

(يأتى حركة التفاف تسمح له بأن يتبادل مكانه مع المرأة . وبذلك يكسب درجة أخرى . فى أثناء هذه العملية ، تواصل المرأة مونولوجها للحظات)

المرأة المهانة : ولكننا لسنا هنا فى حفل راقص ، ماذا ستفعل فى ظهرى ؟ ... كأننا فى حفل راقص ؟ لو نرقص المزيد من الفالس ؟

أوه ! سيدى ، هذه السهرة لا يمكن أن أنساها ! وهذه الآلات الموسيقية ! وهذا الشراب ! وضوء الـ ...

(تتوقف بغتة لأنها أصبحت تشغل مكانها الجديد بجوار هاوى الجرائد ، وبذلك عادت إلى صمتها وجمودها)

(هو " يأخذ الورقة التى سلمتها له جارته جهة اليمين ويقرؤها)

مادمت ... مادمت ... **(يحاول أن يفهم ، مقطبًا جبينه)** مادمت ... مادمت ... مادمت ... ماذا ؟ **(محاولا إعادة صياغة الجملة)** " مادمت ... لا تفهم ... مادمت لم تفهمنى ... مادمت على خطأ ... أقول لك وداعا ... كلا ، لقد قالتها فعلا . **(فجأة يشرق وجهه)** آه ، وجدتها ! مادمت ... بذلت مجهودا لتلحق بى ، مادمت تقترب ... فإننى لم أعد أبغضك . **(وهو يكتب على عجل فوق ظهر الورقة)** مادمت قطعتُ ... نصف الطريق ... أليس كذلك ؟... رجاء ... تكمله ... الجملة ! **(يسلم الورقة لجارته)** بَرْقيَّة ! .

(الشخوص الماثلون جهة اليمين يتناقلون الورقة فى صمت وبصورة آلية دون أن يتخلوا عن عدم اكتراثهم ، حتى يقوم الأخير بتسليم الورقة لـ " هى ")

هـــــى : **(تقرأ الورقة ثم تخط شيئا عليها وتعيدها إلى جارها)** البريد العاجل !

هـــــو : **(يأخذ البرقية ويقرؤها)**

" نعم ... أنا فى انتظارك " **(يبدو راضيا ولكن مع شيء من خيبة الأمل ...)** نعم ... أنا فى انتظارك ! نعم ... أنا في انتظارك ! **(من فرط تكراره لهذه العبارة يصل إلى درجة الافتتان)** مادمت ... مادمت ... نعم ... أنا فى انتظارك ! مادمت نعم أنا في انتظارك ! هذا واضح ! مادمت – نعم – أنا – فى انتظارك ! شيء رائع !

العقبة الثالثة

أو

العامل المتفهم

(هو " وقد عاد إليه الأمل ، يلتفت فى حيوية ظاهرة إلى العامل ، جاره الجديد : يتفرس وجهه لحظة ثم يربت كتفه برقة)

هـــو : أنت تعرفني ، أليس كذلك ؟

(العامل يستدير على عقبيه ، فإذا به رجل ما يزال في سن الشباب . ملامح الوجه تدل على الخبث . تتدلى من على كتفه حقيبة العُدد)

العامل : أعرفك .

هـــو : أنت تسكن في حيِّنا ؟

العامل حيكم أو حينا ، هذا أكيد . احتمال أن أكون قد حضرت لإصلاح صنبور المطبخ عندكم .

هـــو : آه ، أرأيت ، أنت فعلا .

العامل : **(ضاحكا)**

الزبائن هم الزبائن دائما . إنكم لا تحبون أن تنظروا إلينا ونحن نعمل في بيوتكم .

هـــــو : **(مدافعا عن نفسه)**
أنا آسف .

العـــامل : بينما نحن ، نلاحظكم . أنظر ، أنا أعرف أن السيدة الصغيرة دائما تثير المتاعب .

هـــــو : آه ! أنت تعرفنا !

العـــامل : أولا ، رأيتكما تمران قبل قليل . هي تحبك ، أليس كذلك ؟

هـــــو : **(بحرارة)**
نعم ، أنا متأكد من ذلك . **(مستدركا)** على الأقل ، كنت متأكدا ...

العـــامل : لا تتغابى ! أنت تعرف جيدا أنها تحبك فقط كما تحب النساء ... إلى آخره إلى آخره ! أكيدا! أكثر مما تحبها أنت !

هـــــو : **(في اندفاعه)**
لا تقل هذا .

العـــامل : على أية حال ، بصورة مختلفة .

هـــــو : إذن ، مادمت تعرف الكثير ، قل ماذا حدث لها قبل قليل .

العـــامل : ربما أنك كنت توجه إليها ألفاظا ...

هـــــو : كيف ذلك ؟ وهي ؟

العـــامل : هي ؟ كانت تجيبك بألفاظ ليست ألفاظا .

هـــــو : الألفاظ ألفاظ .

العـــــامـل : هنا ألفاظ وألفاظ : ألفاظك وألفاظها ! ليس شيئا واحدا !

هـــــــــو : هل ستمنعني أن أتحدث إليها ؟

العـــــامـل : لن يكون في ذلك ضرر أكبر .

هـــــــــو : **(بعد تفكير)**

ولكن ماذا أقول لها ؟ ...

العـــــامـل : أوه ! الألفاظ ، ليست ألفاظا ، إنها أشياء . حينما نقول ماسورة فهذا يعني ماسورة . وحينما نقول مطرقة أيضا ، وحينما نقول " قدم مسحوقة " أو " يد مقطوعة " ! فهذا يعني ما يعنيه هذا . **(مغيرا من لهجته)** اسمع ، حقيبتي انزلقت من على كتفي . هل تساعدني في إعادتها إلى مكانها من ظهري .

هـــــــــو : بكل سرور ، مادامت حقيبة تعني ...

العـــــامـل : **(ضاحكا)**

هذا يعني : تقديم خدمة ... **(غامزا بعينه في خبث)** كل المطلوب منك أن تدور حولي ، هذا أسهل .

(هو يتبادل مكانه مع العامل)

العقبة الرابعة

أو

النجمة الخيالية

(هو " يوجه الحديث إلى جارته الجديدة ، وهي فتاة بسيطة الثياب للغاية . تستدير على عقبيها ثم تدب فيها الحركة ، ثم تجيب تبعا للألقاب التي سيوجهها إليها)

هــــــــــو : إيه ، يا آنسة ؟ ... (**لا تجيب**) هيه ! يا آنستي الصغيرة ؟ ...
(**تستدير وتواجه الجمهور**) ... عفوا ، يا آنسة ؟ ...
(**تصمت**) اسمعي يا سيدتي ؟ (**تبدأ في الحركة**) ...
عفوا ، سيدتي ، ولكن ... ؟ (**تنظر إليه**) ... صديقتي
العزيزة الشهيرة ! معقول ! أنت هنا ؟

النجمة الخيالية : (**تمثل دور النجمة المشهورة المتحذلقة فتحرك أهدابها وتضغط على مقاطع الكلمات بصورة مبالغ فيها**)
نعم ، يا عزيزي ، أنا هنا .

هــــــــــو : وأنا الذي بحثت عنك هنا وهناك ! لو علمت أنك هنا !
(**يخرج من جيبه مفكرة وقلما ويقلد شخصية صحفي في جريدة كبرى يقوم بعمل تحقيق صحفي مع " شخصية مهمة "**)

النجـــمـــة : أنا هنا حيث أنا . أقول لك هذا بصورة عابرة ، يا عزيزي . هذه أضمن طريقة لمقابلتي .

هــــــــــو : حسنا ، حسنا ، حسنا . في المستقبل ، سأعرف كيف أصل إليك ... لو تنتهزين هذه الفرصة لتعبري لي عن انطباعاتك عن ...

النجـــمـــة : ليس عندي انطباعات ...

هــــــــــو : طبعا ... طبعا ... ومع ذلك ، كنت أريد أن أتحدث معك عن فيلمك القادم .

النجـــمـــة : فيلمي القادم . لن أشارك فيه .

هــــــــــو : وكيف ذلك ؟

النجـــمـــة : لقد فضلت أن أضع اسمى فقط . فهذا يكفى . أنا فى الإعلانات . وهذا يساوى عدة ملايين، إذن ، الجميع سيأتون لمشاهدتى فـ...

هـــــــــو : فلا يجدونك .

النجـــمـــة : فلا يجدوننى ! ... هذه طريقة مجنونة فى الدعاية ! ... الدعاية بالغياب !... سيكون شيئا رائعا ! رااااائعا !
(تغير من لهجتها وتشير إلى المانيكان الموجود بعد العامل) هل يبدو عليه الاستغراب ، هذا السيد ؟

هـــــــــو : **(بعد أن ألقى نظرة على المانيكان)**
لا يبدو أنه يفهم كثيرا ... **(يعود إلى دور الصحفى)** وأين كنت أيتها الصديقة العزيزة الشهيرة ، أين كنت قبل قليل ، هناك حيث كنت قبل أن تكونى هنا ، حيث أنت ؟

النجـــمـــة تصور أننى كنت أتناول فطورى ، يا عزيزى ، يحدث أحيانا أن أتناول فطورى ... كنت أفطر . أنا أحب الفطور كثيرا .

هـــــــــو : **(وهو ما يزال يتظاهر بأنه يسجل أقوالها فى المفكرة ، تارة كأنه صحفى يسجل حديث شخصية مهمة ، وتارة كأنه " سفرجى " يسجل طلبات زبون)**
والطعام ؟

النجـــمـــة : **(داخلة فى اللعبة)**
إليك ! ... أولا ، متبلات ومشهيات ، جمبرى وسلجم ، وفلفل وكبد وكلاوى ، وسلاطة حيتان ، وماندولين محمر .

هــــــــو : **(وقد تقمص دور السفرجى)**

لا ، يا سيدتى . آسف ، ليس عندنا ماندولين محمر .

النجــمــة : أوه ! شىء فظيع . إذن دع المشــهــيــات ولندخل فى الداخليات . حصان بالسايس .

هــــــــو : **(وهو يواصل التسجيل)**

وأعلن لسيدتى أن لدينا ساعات حائط سويسرية .

النجــمــة : حلوة ؟

هــــــــو : **(وقد عاد إلى لهجته الطبيعية)**

فيما يختص بالفطور ، أين تفطرين ؟

النجــمــة : **(تضحك وقد عادت إلى طبيعتها)**

أشـتـرى بعض الطعـام ... مرة أشـتـرى بيـضـة ، مـرة سـاندويتش ، قطعة حـلوى ، موزة ... ليس عندى وقت !... **(وقــد رأت أنه يواصل التــســجــيل)** اســمـع ، لا داعى لتسجيل كل هذا ... فنحن لم نعد نمثل .

هــــــــو : ومع ذلك فنحن نمثل ...

النجــمــة : **(ببساطة واضحة)**

أنا أعمل خياطة نساء بالنهار .

هــــــــو : هل تعيشين وحدك ؟

النجــمــة : أنا أقوم بتربية أخى الصغير .

هــــــــو : **(مشيرًا إلى المانيكان)**

السيد هذا ، من يكون ؟

النجــمــة : هذا وغد حقير ، لقد هجرنى .

هـــــو : إذن ، لعلنا أحسنا صنعا حين جعلناه يعتقد أنك أصبحت نجمة سينمائية !

(فى هذه الأثناء ، فى الطرف الآخر من المقصورة ، " هى " تنحنى ، وترى " هو " فى حديث مع المرأة ، تخط بسرعة ورقة وتمررها)

النجـمـة : **(وهى تسلمه الورقة)** هيا ، حسنا ! هذه رسالة عاجلة أخرى من صديقتك ، يا لها من " باشكاتبة " .

هـــــو : **(يقرأ)**

" أرى كل شىء . ستوب . المحادثة طالت . ستوب !

النجـمـة : هى تشعر بالغيرة ، أليس كذلك ؟

هـــــو : **(وهو يكتب الرد على ظهر الورقة نفسها)** إذا كنت ستواصلين ، ستوب . أنا أنزل المحطة القادمة ، ستوب .

(مخاطبا النجمة) أوصليها !

النجـمـة : **(بعد أن مررت الورقة إلى جيرانها)**

والآن !... يجب أن تنتقل إلى الجهة الأخرى **(وهى تتطلع إليه بجدية ظاهرة)** لقد تسلينا بما فيه الكفاية .

(فى هذه الأثناء ، هى تسلمت الرسالة وقرأتها . ترفع كتفيها وتعود إلى الصمت والجمود ، فى حال بين الغيظ والاستسلام) .

(هو و النجمة يتبادلان مكانيهما)

هـــــو : **(وهو يحاول فى أثناء هذه الحركة أيضا أن يتحدث إلى جارته)**

هذا أكيد ! كان بينك و... ولكن لماذا أحدثك بصيغة الماضى ؟

(بعد الانتهاء من " عملية الدوران " يلاحظ فى أثناء حديثه مع النجمة ، أن الفتاة عادت إلى جمودها وصمتها تشوبها الكآبة) .

لقد فات الأوان ! ...

العقبة الخامسة

أو

العامى

(هو " ، وقد أصبح جارا للعامى ، يتحدث إليه بغضب مكتوم . من الطبيعى أن " العامى " لا يجيب بشىء ويحتفظ بنظرته الثابتة فهو ليس أكثر من مانيكان)

هـــــو : (بصوت خفيض فى البداية ، ولكن كأنه يخاطب شخصا من لحم ودم)

ألا ينتابك أى شعور بالندم ؟ لا ؟ ولا وخز ضمير ؟ ... ولا خجل ... بسبب هجرك **(مشيرا إلى النجمة)** لهذه المسكينة ! ... ولكن أجبنى ، أنا أتحدث إليك . **(رافعا صوته)** أنا أتحدث إليك ، أيها السيد أجبنى ؟ هل ستظل هكذا تنظر بعيدا ؟ كأن الموضوع لا يخصك . ولكنك إنسان وقح ! أنا هنا بجوارك . حديث رجل لرجل ! ... أوه ! لا تخش شيئا . كل إنسان حر فى تحركاته ، وأنا لا أعرفك ! وليس من حقى أن أوجه إليك أى لوم !

كل ما أريده منك هو ... هو أن تشرح لي ، فقط لا غير ...
أو إذا شئت : وجهة نظرك ! ... هيا ! تكلم : السبب ؟ ما هذا ؟
(يشير إلى جبين المانيكان) اشرح موقفك ! ... أنا أنتظر ! ...
وأستمع إليك : هل يمكن أن تفتح فمك ، لا ؟ تلزم
الصمت ؟ تحيط نفسك بالغموض ، عالم آخر صغير ؟
شيء بسيط بالنسبة للخائن ، بالنسبة للقاتل ! ... لا أحد !
ولا حركة ! ولا صرخة ! الصراخ للآخرين ، أليس كذلك ؟
... قطعا أنت من معسكر الصمت ، من أولئك الذين ليس
لديهم من الإنسانية إلا المظهر . لا جدوى من الإلحاح !
هيا! دعني أمر أيها الأناني ! أيها الوغد ! . أيها الجبان !
أيها السافل ! شركة محدودة ! مسئولية مشتركة !... آه !
لا أدري ما الذي يمنعني ! ...

(يزيح المانيكان ويتبادل معه المكان)

العقبة السادسة

أو

الشخص في حالة نوبان في الجمهور

(هذا الشخص يبدو من ملامح وجهه وثيابه أنه عادي جدا غير أن صوته اللاهث ، وإلقاءه المتقطع المتدافع سوف ينمان عن إحساس رهيب بالجزع ، كأنما أصابه مس من نيران الجحيم . بمجرد أن يصبح " هو " بجواره ، يأخذ هذا الشخص في رعشة تستولى على جميع أعضائه .

يبدو كأنه فريسة حمى شديدة تهزه من رأسه إلى قدميه وتفنيه عن الحركات)

هـــــــــو : هل أصابك مكروه ؟

الشخص فى حالة ذوبان فى الجمهور : لا تمسنى ! ... لا تقترب منى ! ... أنا فى خطر ! أنا أحترق !

هـــــــــو : (مفزوعا)

ماذا بك ؟

الشـــخص : (وقد أخذت أسنانه يصطك بعضها ببعض)

أفظع شىء ... فى الوجود !

هـــــــــو : هل أسألك عن طبيب هنا ؟

الشـــخص : (وهو يطلق ضحكة رهيبة ، مفتعلة)

طبـيب ! ها ! هـا ! هـا ! لا يوجـد طبـيب لمثل هـذا المرض الفظيع !

هـــــــــو : أى مرض ؟

الشـــخص : ليس له اسم ! ... ليس له اسم بعـد !... ولكننى أحتـرق ! أنا مـحـاط بهذا الحريق !... إنه يحـوم حـولي ! وقـد بدأ يمس ملابسى .

هـــــــــو : هل أنت مريض ؟ هل تخاف من الموت ؟

الشـــخص : (وقد تملكته الحمى أكثر وأكثر)

كـــلا ، لا الموت ! ... ولا المرض ! ... بل أســوأ من ذلك ! هناك شىء مـا من الخواء ، من الفـراغ ، مـجـهـول الاسم والهـوية ، يحـوم ، يحـوم ، يحـوم حـولى ! وأنا !

سـأختـفى ! بين لحظة وأخرى ! ســ... أخــ... تــ... فــى ! ...
ألا تفهم هذا ؟

هــــــــو : كيف تختفى دون أن تموت ؟

الشــــخص : **(وهو يطلق ضحكة أخرى فظيعة)**
هيه ! ها ! ها ! هناك مائة ألف طريقة للاختفاء دون أن تموت . حينما تذوب قطعة من الثلج فى حرارة الشمس . هل تموت ؟

هــــــــو : بطريقة أو بأخرى !...

الشــــخص : كلا ، يا سيدى ، كلا ! لا تموت ... تختفى . تذوب إذا شئت . تذوب ! تختلط بالهواء ، بالتراب ، بالآخرين بنوع خاص . **(صائحا)** بالآخرين ! الآخرين ! جميعا ! هؤلاء جميعا ! **(بصوت أكثر انخفاضا)** اسمع يا سيدى : انظر إلى وجهى جيدا . أنت ما تزال ترانى . أنت تعتقد أننى السيد فلان ؟ السيد فلان ؟ المولود فى المكان الفلانى ؟ عُمره "س" من السنين ؟ يعمل فى كذا ؟ ... حسنا . انظر إلىّ بانتباه يا سيدى : إننى بصدد أن أصبح لا أحد ، ولا حتى رقم ، فكرة ، تجريد . سحابة صغيرة من البخار ، مجرد " بوف"، بوه ، ززززززد ! ... كنت " شخصا " ، " مواطنا " كان اسمى السيد ... السيد ... آه ! ... السيد ماذا ؟ كيف إذن ! **(وقد تملكه الرعب)** أرأيت . لم أعد حتى أستطيع أن أتذكر اسمى ، هذا الشخص ... أنا ، أنت ، هو ، أنا ، هو ، أنتم ، فلان ! ...

أوه ، أوه ، هذه عــوارض الحــالة ! هذه هي ! هذه هي الأزمة ! الأزمة النهائية ! سأختفي بعد قليل . لقد قلت لك . سأختفي ! ... ســ... أخـ... تفي في الجمهور ! انظر إليّ مرة أخرى : في ظرف لحظة واحدة ، بوف ! ... سـأكون قد اختفيت في الجمهور ، هل تسمعني ؟ (صائحا) قد ... أخـ... تـ... فيـ... تـ تـ تـ تـ تـ تـ !

(الشخص بالفعل ينسل بين المانيكانات الموجودة خلفه ، يبدو كأنها ابتلعته) .

**(في هذه الأثناء ، " هي " ، التي بقيت حتى هذه اللحظة وحدها آدمية حية ، تتحول شيئا فشيئا إلى الجمود ، كأنما قد تمكن منها شيطان الفناء ، واللاواقع ، وذوبان الشخصية الذي أصاب جارها . (ولعلها أيضا قد دارت على عقبيها بشكل غير ملموس فأدارت ظهرها للجمهور) .
حينما يبدأ " هو " في التحدث إليها ، تدور مرة أخرى على عقبيها وتبدو في أول الأمر غائبة ثم تعود إلى إدراكها بفعل الصفّارة)**

(بعد لحظة قصيرة من الصمت ، " هو " يميل نحو " هي " ، ولكن دون أن يجرؤ على اجتياز الفراغ الضئيل الذي يفصل بينهما)

هـــــــو : **(بصوت بالغ العذوبة)**
أنا بالقرب منك ! ... أنا هنا ، بالقرب منك ... اسمعيني ، أجيبيني !...

هـــــــى : **(بصـوت حلم ، دون أن تلفت رأسـها ، ونظرتها ثابتـة كأنها تحت تأثير السحر)**
من أنت ؟ أنا أسمعك من بعيد .

هـــــــو : لقد وصلت ! لقد وصلت ، انظرى إلىَّ لكى تتعرفينى !

هـــــــى : أنا لا أعرفك يا سيدى !...

هـــــــو : لقد جئت إلى هنا .. تذكرى : التكاثر ، التزايد ، جدول الضرب !

هـــــــى : **(بمجهود ، وبلهجة فتاة حزينة تردد درسها)**
واحد .. مضروب فى صفر .. يساوى صفرا ..

هـــــــو : أُخـرجى من هذا الكابوس ! تذكـرى ! لكى أصل إليك مررتُ " بهم " جميعا الواحد بعد الآخر !..

هـــــــى : الآخرون ؟ .. هم أنا .

هـــــــو : كلا ! هناك أنت ، هناك أنا وسط الآخرين ، وسط " أنا " آخرين و " أنت " آخرين .

هـــــــى : لا أفهم .. أنا خائفة .

هـــــــو : عودى إلى رشدك ، يا حبيبتى . أنت تعلمين جيدا من أكون ، من تكونين .

هـــــــى : أنا لا أكون شيئا . أنت لا تكون شيئا ، لا يوجد أحد .

هـــــــو : هات يدك لكى تتعرفينى !

هـــــــى : **(فى قمة الرعب)**
لا تقترب ! الصحراء ! .. النار !

هـــــــو : أين أنتِ ؟

هـــــــى : **(صائحة)**

أنا أختفى !...

هـــــــو : ولكنك كنت فى انتظارى .

هـــــــى : إذن ، وداعا ، إذا كنت قد عرفتنى فى الماضى !

(صوت صفارة يدوى . الشخوص يصطدم بعضهم بالبعض الآخر . وقد هزهم توقف العربة المفاجئ)

هـــــــو : **(وهو يجتاز بقفزة الفراغ الضئيل الذى يفصله عن " هى ")**

أين كنت يا حبيبتى ؟ أنا كنتُ هنا ...

هـــــــى : **(وهى تمتطى)**

لابد أننى كنت نائمة . كنت أحلم . لم أكن أعرف من أكون .

هـــــــو : **(بكل حماسة)**

والآن ؟

هـــــــى : **(وهى تبتسم له)**

أنظرُ إليك . فأتعرف نفسى : أنا أكون ، ما دمت أنت تكون .

هـــــــو : الإنسان يمكن رؤيته من قريب . كل واحدٍ لكل واحدٍ .

هـــــــى : **(ضاحكة)**

كلُّ واحدٍ له واحدته !

(الركاب ، وقد فُكَّ عنهم فعل السحر ، ينزلون ويختفون باندفاع)

(هو " و " هى " يمران فى بطء أمام الستارة وكل منهما يمسك يد صاحبه كما كانا فى البداية)

هـــــــو : (على إيقاع الفالس الذى كان فى البداية)

واحد ، اثنان ، مجهول الهوية .

هـــــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، هاوية .

هـــــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أعرف

هـــــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أُبعث .

هـــــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .

هـــــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

(يختفيان فى الكواليس)

ســتارة

الجثمان المطوق

كاتب ياسين

كاتب ياسين

الظاهرة الأولى البارزة في أدب الشمال الأفريقي هي أنه لا يمكن عزله عن الثقافة الغربية ، كما لا يمكن أيضا اقتلاعه من الأرض الأفريقية الإسلامية .

كان الجزائريون في ظل الاستعمار الفرنسي يشعرون أنهم عرب ويفخرون بذلك . ومع كل فهم لا يستطيعون أن يعبروا عن ذواتهم باللغة العربية ، وكانوا يدريكون تماماً أن اللغة الفرنسية التي يتحدثون بها ليست لغتهم . وكان الجزائري أمام أمرين لا ثالث لهما ، فإما أن يظل جاهلا بكل شيء ، وإما أن يعرف كل شيء شريطة أن يدخل المدارس الفرنسية ويتعلم لغة الأعداء . إذن فليتعلم الجزائريون لغة عدوهم ليتخذوا منها ومن ثقافته سلاحاً ضده . وفي ذلك يقول كاتب ياسين :

" إن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدب مستقل عن اللغة التي يعبر بها ، مخلص من روابطها العاطفية والعنصرية ، فهو يعبر عن وضع معين ، روح أصيلة بها ملامح من حكمة الشعب الجزائري وعزيمته الثورية المندفعة للقضاء على الأوضاع الاستعمارية الفاسدة ، وإحلال أوضاع جديدة وبناءة محلها . "

الظاهرة الثانية الطاغية في الأدب الجزائري أن البطل يلقى الصعاب ويعاني من الظلم والإرهاب ، ولكنه يتغلب عليها جميعا ولو بالموت . لأن

الموت فى هذا الأدب ليس فناء أو نهاية ، وإنما هو استمرار وبداية ، لأن البطل عندما يموت يترك وراءه ذرية من الأبطال ، وهو بموته إنما يلهب الثورة ويلقي عليها الوقود فيضطرم أجيجها .

وكاتب ياسين شاعر وروائي وكاتب مسرحي ، فرض نفسه على الثقافة الفرنسية التي أصبحت تفخر به وتدرجه في كتب الأدب الفرنسي والقواميس الفرنسية واحداً من ألمع نجومها.

ومن الطريف الذي يذكر أن والدته كانت تكتب الشعر ولها تجارب في المسرح . وكانت الأم ، على حد تعبير الابن ، مسرحًا كاملا . وكان هو المتفرج الوحيد ، أو بمعنى أصح المستمع الوحيد لها .

فى يناير عام ١٩٦٣ عرضت فى باريس مسرحية " الجثمان المطوق " بعنوان المرأة المتوحشة .

وفى العام نفسه حصل كاتب ياسين على جائزة " جان أمروش " التى يمنحها مؤتمر ثقافة البحر المتوسط . وفى عام ١٩٦٧ عرضت مسرحية أخرى له بعنوان " الأسلاف يتميزون غضبا " . وفى آخر العام نفسه عرضت مسرحية " مسحوق الذكاء " فى باريس أيضا .

كتب ياسين بعد ذلك ثلاث مسرحيات : " الرجل ذو الحذاء المطاط " (١٩٧٠) ، " محمد ، احمل حقيبتك " (١٩٧١) ، " صوت النساء " (١٩٧٢) ..

الظاهرة الثالثة فى انتاج ياسين (الشعر والرواية والمسرح) هى أنه سيرة ذاتية جماعية ، لا تترجم حياة الكاتب وحده ، وإنما حياة أهله وقومه وأمته بآلامها وآمالها .

المنظر

[حى القصبة ، خلف الأطلال الرومانية . فى طرف الشارع بائع يجلس القرفصاء أمام عربته الفارغة . زقاق يفضى إلى الشارع فى زاوية قائمة. كومة من الجثث تطفى على شقة الجدار. أذرع ورءوس تهتز فى يأس . بعض الجرحى يظهرون ويموتون فى الشارع . فى زاوية التقاء الزقاق بالشارع نور مسلط على الجثث التى تصدر فى بادئ الأمر أنينا شاكيا يتجسم شيئا فشيئا ليصبح صوت إنسان ، صوت " الأخضر" الجريح]

الأخضر : هنا شارع الواندال . إنه أحد شوارع مدينة الجزائر ، أو قسنطين أو سيتيف ، أو جلمة ، أو تونس أو الدار البيضاء . آه ! إن المسافة تعوزنى لكى أعرض فى كل أبعاده شارع المتسولين والعرجان ، لكى أسمع نداءات الشخصيات السائرة فى نومها ، وأشيع نعوش الأطفال ، وأتلقى فى موسيقى المنازل المغلقة جلبة المشاغبين المقتضبة . هنا ولدت ، هنا لازلت أحبو لكى أتعلم الوقوف بالجرح السرى نفسه الذى فات الأوان لأعادة رتئه ،

وأعود إلى النبع الدامى ، إلى أمنا الباقية أبدا ، المادة التى لا تنفد أبدا ، المولدة للدماء والطاقة تارة ، وتارة أخرى مختلطة بالاتقاد الشمسى الذى يحملنى إلى المدينة المضيئة فى قلب الليل النضير ، رجلا قد قتل لسبب غامض فى ظاهره طالما أن موتى لم يؤت ثمرة ، كحبة قمح يابسة سقطت تحت المنجل لكى تتموج عاليا عندما يأتى موعد دراسها القادم وهى تضم الجسم المسحوق إلى ضمير القوة التى تسحقها ، فى انتصار عام ، تعلّم الضحية فيه جلادها كيف يستعمل السلاح ، ولا يعلم الجلاد أنه هو الذى يكابد ، ولا تعلم الضحية أن المادة تقبع متحصنة فى الدماء التى تجف والشمس التى تشرب .. هنا شارع الوندال ، شارع الأشباح والمجاهدين والصبيان المختتنين والعرائس حديثات الزواج ، هنا شارعنا . لأول مرة أشعر به ينبض كالشريان الوحيد المتدفق والذى أستطيع فيه أن ألفظ أنفاسى الأخيرة دون أن أفقده . إننى لم أعد جسدا وإنما أنا شارع . لابد لى الآن من مدفع لصرعى . وإذا صرعنى المدفع فسأظل ماثلا هنا أيضا وميض نجم يمجد الأطلال . وأى صاروخ بعد ذلك لن ينال مسكنى إلا إذا تخلى طفل ناضج قبل الآوان عن الجاذبية الأرضية ليتبخر معى فى عطر نجم ، فى موكب ودّى لا يكون الموت فيه سوى لعبة ..

هنا شارع نجمة ، نجمتى ، الشريان الوحيد الذى أريد أن أقضى فيه نحبى . أنه شارع دائم الغروب تفقد فيه المنازل وضاعتها مثل الدماء بمثل عنف الذرة التى توشك على الانفجار .

(سكون ، ثم صوت الأخضر يعود من جديد) .

هنا ترقد في الظلام الجثث التى لا تريد الشرطة أن تراها . ولكن الظلام شرع في المسير تحت الضوء الوحيد المنهار ، وكومة الجثث لاتزال على قيد الحياة وقد جالت بها موجة رائعة من الدماء ، كتنين أصابته الصاعقة يجمع قواه لحظة احتضاره وقد أصبح لا يدرى ما إذا كانت النيران ستتلكأ فوق جثته بأسرها أو فوق صدفة واحدة من الصدف الحى الذى يضىء مغارته . هكذا يبقى الجمهور على قيد الحياة بعد أن فقد رأسه فى عملية الإبادة التى تحصنه وتخلصه . هنا ، فى هذا المكان نفسه وأنا صريع فى زقاق مولدى ، يعود إلى فمى طعم مذاق قديم ، ولكنه ليس مذاق المرأة التى أنجبتنى ولا العشيقة التى أحتفظ بعضتها . إنهن سائر الأمهات وسائر الزوجات اللائى أشعر بعناقهن ، يرفع جسدى بعيدا عنى ، ويبقى لى فقط صوتى ، صوت الرجل [illegible] به كمال الجمع المذكر . أقول نحن وأنزا [illegible] لأبعث الحياة فى الجسد الذى أملكه إلى [illegible] فى انتظار البعث ، وحتى أصعد من [illegible]

بعد أن قتل الأخضر ، يلزمني أن أضيف إلى المد المذكر الجزر الجمع ، حتى تدفعني الجاذبية القمرية إلى التحليق فوق قبرى على نطاق كاف .. هنا أحصى نفسى ولم أعد أنتظر النهاية . لقد متنا . جملة غريبة . متنا مقتولين . وسرعان ما ستأتي الشرطة لالتقاطنا . أما الآن فإنه يوارينا لأنه لا يجرؤ على عبور الظلام الذى لا تستطيع فيه قوة أن تشتتنا . لقد متنا ، لقد أبدنا دون علم المدينة .. عجوز يتبعها أطفالها كانت أول من رآنا . ولعلها جمعت بعض الرجال الأصحاء الذين انتشروا بيننا مسلحين بالفئوس والعصى ليدفنونا بالقوة .. لقد اقتربوا على أطراف أقدامهم رافعين أسلحتهم فوق رءوسهم وقد راح الأهالي يراقبونهم من داخل منازلهم المظلمة ، موزعين بين الحيرة والرعب لمنظر الأشباح المنحنية على الجثث المكدسة . مذبحة كبيرة كانت قد وقعت ، وطوال الليل كله ، وحتى ضوء الصباح الذي يوقظني الآن ، ظل الأهالي محبوسين كما لو كانوا يتوقعون مذبحتهم ويتهيئون لها في عزلتهم مع أنفسهم ، ثم كفت الأشباح أنفسها عن الذهاب والإياب . وجلت القطط الأخيرة عن المكان . والمارة الذين كانوا ينقصون شيئا فشيئا كانوا يجزعون لحشرجاتنا ويتوقفون لحظة في مكان الاشتباك . ولم تأت أية دورية ليلية لتعكر تأملاتهم العابرة ، لقد شعروا بإحساس جديد نحو المجاهدين الغامضين الذين مازال

موجهم يهدر عند أقدامهم . فى هذا الشارع الذى كانوا قد شاهدوه عفنا كئيبا ، حيث مجد مثل هذه المجزرة يأتى فجأة ليطيل الزقاق نحو جولات قادمة .

(نجمة ، متشحة ، تغادر حجرتها نحو الزقاق . تمزق وشاحها وخديها ، وثوبها وتنتحب) .

نجـــمـــة : انظروا إلى الصدر الضرير .

بعيدا عن الحبيب المفطوم .

لن ينضج أبدا .

ذلك الثدى الذى سوده الفراق .

لن يستطيع بعد الآن أى فم أن ينال لبنى .

إن الأخضر ينام مع غيرى .

لقد حذرتمونى .

ولقد حلمت بالإعدام رميا بالرصاص .

ولكن كان من المفروض أن يعود عند الغروب .

وكان من المفروض أن أخفى عنه دموعى وخنجره .

وهأنذى محكوم على بليل الوحدة .

أرملة لن يمسنى بشر أبدا .

زهرة عمياء تبحث عن حبيبها المختار الذى حمل بعيدا .

وسط قرابين قرية النمل التى تتردد على تتويجها .

هكذا هجرنى الأخضر ، النملة الذكر

الذى عبر العطر المتغطرس لمخدعى

ليسقط وسط هذه الكومة من الأجساد المجهولة .

حـــــســن : منـذ أن رحــل الأخضـر ، ونحـن هنـا ، دون أخبـار . لم تتـحرك نجـمة طوال النهـار . والآن تنصرف صـامتة تحت جنح الظلام . نعم ، هذا هـو شبـحـهـا الذى يبـتعد على طول الجدار . إنني لم أسمعها وهي تخرج .

مـــصطفى : (**وقـد نُشل فـجـأة من غـفـوته**) نجـمـة ! لا يجب أن نتركهـا تـذهب . نادها .

لا تنس أن الأخـضـر تركـهـا هنـا ، إنـه حتـى إذا كـان لم يخطرنا بأنها ستظل تحت حمايتنا .. انظر إليها وهي تتخطى الموتى . لا الذهول ولا الخوف يثقل مشيتـها . هاهـى ذى تقف أمـام الزقـاق المشـئـوم . أن وشـاحـهـا يتطاير في الليل . إن الناظر ليظنها قاربا سكنت حركته بعد أن انقلب ليكشف لنا عن الأفق . الحق بها سريعا . ففي غمضة عين قد يغمى عليها . إن أصوب فخ يُنصب للغزالة الشاردة لا يكون في غالب الأحيان سوى وقفة لها تجعلها في متناول البندقية .

(حسن خرج متلصصا للقاء شبح نجمة . بعد لحظة إظلام على المسرح، تدخل نجمـة ، شاردة ، وشـاحـهـا ممزق ، يتبعها حسن من بعيد تجلس فوق مقعد) .

طـهـــــــار : (**بضـحكة مـفـتـعلة**) قـهـوتك لاتزال سـاخنة .. ولكن أخبريني إلى أين كنت ذاهبة ؟ إلى أهلك ؟ .

مـــصطفى : دعها تشرب . إنها بلا عائلة (**مخاطبا نجمة**) ما عليك إلا أن تنتظرى ، فأنت تعرفين الأخضر خيرا منا .

طهـــــار : **(وهو يعيد الكرة)** أن المرء لا يهجر عائلته من أجل مجنون كالأخضر .

حســــن : **(حانقا)** أعلم جيدا أيتها الجيفة أنه لولا الصديق الغائب ما كنا فتحنا لك بابنا مطلقا . فليس هذا من أجل شعرك الأبيض .

طهـــــار : الأخضر ! الأخضر !.. إنني لا أسمع إلا هذا الاسم أليس هو ابني قبل كل شيء ؟..

حســــن : ابن أمه : إنني أحدد هذا لك . لماذا تذكر عقمك هنا ؟ أنك لست سوى ثرثار يهذي ويخرف .

[سكون ، ثم ترفع نجمة الفنجان إلى شفتيها وهي تتحدث إلى نفسها بصوت خفيض كما لو كان كلامها نفسه لا يصل إليها) .

نجـــمـــة : لم أكن أسمع وقع أقدام الجنود . ولم ينجسد عيامي اليوم أيضا في الأماكن المحظورة التي نزحف فيها غير قادرين على النهش ، بهائم سمرتها إلى الأرض حزمة من العشب منيعة يسيطر علينا وجودها كما لو كان جزاء علينا الكفاح من أجله ، وغدا لابد منه في سبيل الثأر الذي نعده ، دون أن ننبس بكلمة ، ودون قطعة سلاح ، ولكننا على الأقل واثقون أننا سننهزم وفي قلوبنا كبرياء من يشعرون بأنهم قوم لا يهزمون . وما دام الصديق الوحيد قد هلك ، فسأنتظره أكثر من أي وقت مضى . سأطأ التراب والدماء مثل بقرة تعدو نحو المجزرة

باحثة عن وجه شبه مفقود . كم من وجوه عند قدمى ، وكم من أشباح متناثرة فى إثرى ولا أثر للأخضر . إن الأخضر يلزم الصمت غالبا عندما نناديه .

طهار : وأنا سأفقد خير ما فى من قوة وأنا أجرى كالمسكين باحثا عن الملعون : هذا الابن بالتبنى الذى تلومونني على حبه ، أنا الأب الوحيد الذى لم يعرف سواى حتى اللحظة التى سلبتم فيها عقله بكل أفكاركم الجديدة التى لا أدرى من أين استقيتموها .. لقد استحوذ عليه رفاق يجهل أسماءهم فى بعض الأحيان ، وهاهو الآن ضائع ليس فقط بالنسبة لزوج أمه ، وإنما بالنسبة لأمه التى تركها صغيرا ، عند خروجه من المدرسة فى ذلك اليوم الذى اتفقتم فيه على الاستهزاء بالشرطة بعرض راياتكم التى لا تفهم . ومنذ ذلك الحين وأنتم لا تمارسون إلا هذا العمل . لم تعد الشرطة كافية . إنهم الآن يرسلون إليكم جنودا من الجيش . والنتيجة : هذه الجثث للشبان فى الشارع. وهؤلاء أيضا من " الرفاق " الذين نبذتم من أجلهم كل شىء . الكتب المدرسية ، وأدوات العمل ، والمنازل والعائلات لتتجمعوا أيضا ودائما فى انتظار أن يرسلكم رجال الشرطة والجنود لتلحقوا بالجثث المجهولة التى لا تستطيعون حتى دفنها ، فى حين أن أصدقاءكم ، وربما الأخضر أيضا ، يقبعون هنا تحت أبصاركم فى الشارع نفسه الذى كانوا يأتون فيه لحضور اجتماعاتكم ..

مــصطفى : لقد ولدنا فى هذا الشارع ، كلنا ، وليست الشرطة هى التي ستخرجنا منه . أما بالنسبة للجثث ، فلقد رأى الشارع القديم جثثا غيرها . أنت نفسك أيها العجوز المسكين سيشهد الشارع مرور نعشك ، ونحن جميعا سنمر من هنا . ليس عدد الموتى هو الذى يثقل على شارعنا ، أنه الموت المنعزل ، موت الجبناء والقلقين من أمثالك ، أنتم معشر الآباء المتخلفين ، الذين تخونون أسلافكم . إنكم تظنون أنكم تؤمنون أعماركم المتقدمة بإرسالنا إلى الورش والمدارس التى يطردنا منها دائما أولئك الذين أصبحت سيطرتهم عزيزة عليكم ، إنكم تعجبون بالسطوة والترف وأسلحة المرتزقة التى انتصرت على أجدادنا المشتركين . لم يعد للكفاح معنى فى عيونكم .. وماذا يعنى هذا ، سوى أن نفوسكم ، نفوس الخدم ، قد دفعتكم إلى عار الهزيمة التى تتلذذون فى قبولها ، ودفعتكم إلى تغذية أحلام العبودية على حساب أولادكم اقتداء بمستعمريكم هم أيضا يعتقدون أنهم يحبونكم بسذاجة (**الفاسق دائما ساذج**) ما داموا يعيشون من نشاطكم ويشركونكم فى فحشائهم مع إحساسهم بأنهم هم أيضا آباء معلمون .. ولكنكم ستكونون آخر المخدوعين . أن أولادكم ، على الرغم منكم قد كبروا فى الشارع . لم يكن لديهم وقت ليستعبدوا ، وسرعان ما رأوكم تنفقون مع أحلامكم السعيدة . لن نعمل بعد اليوم من أجل أيام الخدم العتيقة .

طـهــــــار : فى هـذا البلد الشـؤم ، الدماء تسيل كل عـشـرة أعـوام .
لقد رأيت كثيرين من الأغرار المتحمسين مثلكم يتعرضون دائما للهزيمة نفسها . ماذا فعلتم بأعلامكم ضد المدافع الرشاشة ؟
جميع المعارك تخمد بسرعة مثل نشيج الأطفال . منازلنا هدمتها المدافع . فالميليشيات والجيش يأتيان لمساندة الشرطة وهم يضربونكم ويذلونكم ويجبرونكم على العمل ويطلقــون النار على مظاهراتكم الملعــونة . وكل هذا ينعكس على الأبرياء . أمن الممكن أن يعـتـمـد عليكم الأبناء التسعة لكاتب المحكمة ؟ ، ذلك الكاتب الذى أحرق حيا بعد أن سُكب عليه البنزين لأنه راق له أن يحتفظ بجرائدكم ومنشوراتكم .

حــــــسن : يبدو أنك تتلذذ بتوجيه هذا اللوم إلينا .

مــصطفى : دع الغراب ينعق . ليس هو الذى يثير قلقى .. قل لى يا حسن ، هل تتذكر ذلك الشاب الذى عاقبته المحكمة العسكرية بتهمة " إلقاء نظرة مهينة على موظف فى أثناء تأدية وظيفته " .

حــــــسن : نعم ، أتذكر . لقد كان في زنزانتنا بعد الهروب .
قال لنا : " لماذا نبقى فى هذا البلد ، إذا كان الثأر مستحيلا ؟ "

طـهــــــار : عندئذ غادر معظمكم البلد ، وسافرتم إلى فرنسا ، وأكلتم على مائدة أعدائكم، وتكلمتم لغتهم وارتديتم زيهم مع

أنهم أطلقوا عليكم النيران في الخفاء وأنتم ترتدونه ، أما أنا ، فقد كنت أشرب وألهو مع النساء ، ولكنني ظللت في بلدي ، ولذلك فلم أكن جنديا ولا عاملا في المصانع المشهورة هناك . أنني أستطيع بدوري أن أتهمكم بعدم الوفاء ، إن لم يكن بالخيانة . هاهما عامان قد مضيا منذ عاد الأخضر من باريس ، ولم يأت لزيارتنا مرة واحدة . وأمه تقف كل يوم في النافذة على أمل أن تراه يمر ، لم أعد أشتهي الشراب والطعام .

حسن : الشراب على وجه الخصوص . إن رائحة النبيذ الآن تصيبك باشمئزاز غريب .

طاهر : هذا يحدث لي منذ اعتدت الصلاة . فكرة أخذتها عن تاجر أمين . أنك لا تستطيع أن تتصور معنى أن تبلغ المئذنة في ملابس ناصعة البياض وجسد طاهر .

[يدخل رسول من الحزب]

الرسول : السلام عليكم (**يجلس ويقدم سجائر**) .

طاهر : ما الأخبار ؟

الرسول : (**دون أن يلاحظ حركة الارتياب التي يبديها مصطفى**) : الهدوء مطلوب . إنهم يريدون أن يعرفوا مدى قوتنا عن طريق القيام بهجمات جديدة .

حسن : سيقولون أن بعض الأوروبيين المسالمين قد هوجموا ..

الرسول : لقد اكتشفوا أماكن لقائنا الرئيسة وأصبحت تحت المراقبة . لم يبق إلا أن نختبئ ، ولكن علينا ألا نعرض

أنفسنا للقبض علينا . فإذا اختفى جميع المسئولين مثل الأخضر وكثيرين غيره فسيفقد الحزب عنصره الجوهرى .

حسن : (**مشيرا إلى نجمة الواهنة**) : أننا لم نقرر بعد اعتبار الأخضر مختفيا .

الرسول : عليكم أنتم أن تعثروا عليه .

مصطفى : كيف نبحث عن الأخضر إذا كانت الأوامر تقضى بأن نظل مختبئين ؟ أننا لا نعرف ما إذا كان بين الضحايا . ألا يخطر ببالكم أن الشرطة قد تركت الجثث فى أماكنها بهدف واحد هو إيقاعنا فى المصيدة ؟

الرسول : (**تاركا المقعد**) : ربما (**يخرج**) .

نجمة : (**وهى تنهض فجأة**) : سأعود لزيارتكم .

طهار : إنها مجنونة .

حسن : صه !

طهار : كلٌّ مسيَّر لما كُتب له . لماذا تخرج ؟ كل مسيَّر لما كُتب له .

مصطفى : دعها تفعل . يجب عليك أن ترافقها .

[نجمة تخرج ، يتبعها طهار آسفا] .

حسن : أتقول إنها كانت على خلاف مع الأخضر ، صبيحة يوم المظاهرة ، ظروف غريبة . إننى على يقين من أنها تعتقد أنه مات دون فائدة ، لمجرد أنه لم يعد يريد أن يراها . منذ قليل ، عند خروجى لأول مرة ، تساءلت عما إذا كانت لم تر الأخضر طريحًا فى الزقاق . ألا تظن أنها تخدعنا خشية الإفصاح عن آلامها ؟

مصطفى : لا شيء تود المرأة أن تنفرد به مثل حدادها .

حسن : ويأسها ، هل ترى أنها تأبى أن تخلطه بيأسنا ؟

مصطفى : وعلى فرض أننا نجهل ما قد رأته بالتأكيد ، جليا كما رأيناه ، فهي تعتقد أنها تتجنبنا ..

حسن : ... وهي في الوقت نفسه تكتم الحزن الذي لن تتحمله ، إذا ما تحدثنا بطريقة مكشوفة . ولكن كيف هجرها الأخضر ؟

مصطفى : لقد قضينا الوقت في إعداد المظاهرة ، وفي الفجر شرع الأخضر في إتيان أعمال عظيمة ، كان يريد إغلاق الباب ، وتسريح رجال المقاومة والتكفل بأداء المهمة كلها . وأخيرا لم يبق سوانا نحن الثلاثة : الأخضر ، ونجمة ، وأنا . كنا نجاهد للتغلب على النوم كما لو كنا قد أحسسنا بأن هذه المظاهرة لن تنتهي كغيرها من المظاهرات . كانت نجمة تقف على حدة ، ولكنها لم تكن تبدو غاضبة . كنت وحدي في بعض الأحيان أقترب منها وأحدثها . وكان الأخضر قد شرع في الكتابة . وأخيرا نهضت نجمة لفتح الباب ، وانقضّت الشمس فوق رءوسنا ، بسرعة النحل المتجمع ، وكنا نرتعد تحت لسعاتها الطفيفة ، ونحن لم نزل مثقلين من تعب الليل . كنت أنا ونجمة ، قد اقتربنا من الباب لاستنشاق هواء الربيع ، وظللنا مأخوذين بالفجر وحرارته دون أن نجرؤ على قطع هذا السحر . وإذا بصوت الأخضر يردنا إلى الواقع حين

قال : " لا شيء يدعو للحزن " كانت النافذة مفتوحة . وكانت نجمة مائلة في نور الشارع وعبير الصباح ، فهمس لها الأخضر مرة أخرى " لا تغضبي " وابتعد وهو يوصيني بتنظيم النوبة والاطمئنان عليها . حينئذ فقط أدركت أنهما خارجان من مشاجرة ؛ من الطريقة التي كانت تنظر بها إليه وهو يرحل بعين قاسية وحزينة .

[عند خروجها تلمع نجمة الأخضر بين الجثث . لقد نهض بمشقة . ثيابه ووجهه ملطخة بالدماء . يترنح في الشارع كالمجنون . نجمة تظل صامتة محدقة النظر دون أن تقوى على التقدم خطوة واحدة] .

الأخضر : إنني أجد نفسي مرة أخرى في مدينتنا . إنها تستعيد شكلها في ناظري . إنني ما زلت أحرك أعضائي المحطمة ، وشارع الواندال ينتهي أمام عيني كأنه تحت عاصفة ، قبل دقيقة معينة ينهار فيها الليل وسط الأحجار ، في صدر الحشرات التي ينبشها الريح والجليد حتى الصباح . حينئذ قام حائط ضخم بين المدينة الكبيرة وبيني . إنني أخرج أخيرا من هذا الموت العنيد ومن هذه المدينة الميتة التي أنا مدفون فيها .

[طلقات نارية بعيدة ، غير حقيقية يرددها الصدى] .

فوق شجرة هائمة جاهدت عائلتي الثرية ، الثرية بالدم وبالأصل ، القبيلة ذات الضريح الخالي التي عاشت قبلي في عطر البن المحمص ، جيراننا لم يعطوا شيئا منه على

الإطلاق ، " لزهرة " تلك الأم التي لا أجرؤ على رؤيتها مرة أخرى دون أن أنقذها من الرجل المتعاجب الذى تزوجها ، في غياب أبي الحقيقي الذى قضى نحبه في حادث سيارة ، كان يركبها مع عاهرة ، هذا الأب الذى كانت ميتته الفظيعة هاوية من المهاوى التى ابتلعت بقايا القبيلة ، ذلك الميت الذى لا يذكرنى بأى شيء إلا بقسوة القدر ، ذلك الميت الذى يتركنى مروره العابر بعيدا ، بعيدا للغاية ، سمكة ميتة خلقت بطريقة غير ملموسة وراء أحشاء الأم ، ولدت مرة ثانية عندما خرجت فى عملية الهضم الكئيبة لسمكة القرش التى عبر هيكلها المشرف على الفناء بعد أن اجتاز فكيها الواهنين : وهكذا فإن ميتتى تجتاز ميتة أخرى أبوية قبل الأوان ، ولم أعد أملك سوى زوج أب لتحويل أمى "زهرة" عن لحدى القريب ، ولم أعد أملك سوى الأصدقاء الذين ستذهب إليهم " نجمة " الحبيبة المبعدة . وهأنذا صريع مرتين ، ولكننى وحدى أنهض ، أشبه بالتماثيل التى تبعثها الزلازل ، أزعزع العوالم وأهزها فى نوبات غضب بارقة ضد الدناسة العمياء ، دناسة الزمن ، ودناسة الموت ، ودناسة النكبة التى لا شيء يخلص منها عقولنا الباقية ، إلا ربما اللحظة التى حانت لى أخيرا ، لحظة بلا ديمومة ولا عودة يختبر المرء فيها قوته مع حشود لا حصر لها عند مخافر القدر الأمامية . أوه ! يا لسمكة القرش التى فقدت

سرعتها قرب السابحين المبهورين ، كذلك تكون عبقرية الموتى متخلفة عن تاريخى ، الآن وقد جئت على شاكلة الحجارة أموت فى الشارع ، وقد راح الزمن يضرب الأرض بقدميه ، وقد أعارنى شكلا أخيرا دون أن يقوى على أن يتغير معى أو أن يرفع القناع عنى ، الآن وقد انبرى الزمن ينازع الموت ذاكرتى المبعدة عنهما ، لم يعد هناك توقيت يمكن أن يكون توقيتى ، ودمائى المراقة لن تعرف لها بعد اليوم مقياسا ، ولا رواجا .

[طلقات نارية]

إننا لم ننف بعد من أرضنا ، ولكننا فقط هزمنا فى الشارع ، حيث أنا بمفردى ، وعلى الرغم من السفاحين ، أحبو لا ميتا ولا حيا ، مهملا بلا عناية بواسطة قرار حكم أصدره الربيع ، فى رائحة دغل محطم ، شأن القنفذ الكبير وقد تخلى عن المقاومة ، يتذوق فى وكره ألم الطلقات الضائعة ، وهو يبلل فى هوادة تربة احتضاره الذى ليس إلى نواله من سبيل .

[طلقات نارية]

وحيد وفى ظلى تحوم النداءات الخطيرة لمدينتنا التى هجرت ببسالة ، وقد غزاها كياننا كله ، المدينة الشابة أبدا ، والتى تحتفل بالعيد على مشارف الخرائب .

[طلقات نارية متتابعة تستمر وتنتهى بسكون جديد يلقى فيه الأخضر بهذيانه ، وسينتصب بكل قامته ليلقى ، فى

بطء ، وكلمة كلمــة ، الفقـرة الآتيـة التي يسـتعيد فيـهـا رشده] .

إنني أسمع ضوضاء الدماء تعيش ، وأعثر على صرخة أمي وقد جاءها المخاض . إنني أسمع القبيلة تعيش تحت ريح السَّموم التي بلغت عروقي ، وأرتفع عند الغروب نحو أشجار الحور العتيقة التي يهتز قوامها ورقة ورقة وفق اكتسـاح نباتي لا يمكن التصدى له ، اكتسـاح يذكرنا في الليل الذى يسير قدما ، بفرسان نوميديين تفرقوا عند المغرب ليجددوا حملاتهم .

[طلقات متتابعة وعدو جياد ، عدو جياد وطلقات متتابعة . سكون يبعث من جديد] .

وأخيرا فلكي أقيم سياجا من هذه الأكداس الرهيبة من الزمن حول القلب المدمر الذى يتلقاها ، فإنني أصبح ، لا عن تصنع ، وإنما عن عناية – أصــــبح ذلك الرجل العنيف الذى لم يكف عن التعدى على الأشباح .

[الأخضر يتطلع حوله ، متخليا شيئا فشيئا عن هوسه ، ويستطرد بنوع من السخرية]

إن ثقل الخــزائن مــوجـود فى الأيدى المتــقلصـــة التى تحبسنى فى الجبانة ، ومدينتنا المنهارة لم تعد سوى بهجة للحياة مع الجدران .

[الأخضر يترنح على شفا الجنون فى قهقهة صفراوية] .

نجــــمـــة : (وهى تعدو نحوه) الأخضر !

[ولما كان الأخضر يوشك على الانهيار ، فإن نجمة تسنده . إنها تساعده فى الاتكاء على العربة . البائع ينام نوما عميقا . الأخضر يعود إلى مناقشة نفسه فى هلوسته] .

الأخضر : الرجال المتروكون يلقون فوقى بأيديهم المكبلة فى سلاسل مهولة تأتى ، على ما أرى ، من أجساد تترصدها النتانة ..

نجمة : لا أريد أن أسمع !

الأخضر : إننا جميعا فى هذه المدينة التى لا يطيقها الأجانب ، لا نطرد أحدا على الإطلاق . أى فاتح بوسعه أن يطعننا مرة أخرى ويخصب بدوره قبرنا ، وهو يُعلم يتامانا لغته ، وهو مستقر فى أمان مع ذويه دون أن تزعجه احتجاجاتنا ، الاحتجاجات التى تصدر من العالم الآخر . فلا أحد يمكن أن يسمعنا . وليس هذا من عدم الصراخ .. إننا لم نكف عن أن ننادى بكل قلوبنا هذا المنفى الذى نعيشه مكانكم ، فوق قبرنا ، أرضنا السليبة . أمن الممكن أن تكون هذه خديعة ؟

نجمة : **(تغلق فمه بيدها الممدودة)** أنا لا أسمع ! أنا لا أسمع ! .

الأخضر : **(وهو يجاهد ليعود وسط الجثث)** : دعينى كروح تقطع آخر روابط الأموات ، أخفى هذه العقول التى تمزق بعضها فى زهور تخالف أوانها فوق أرضها المحرمة ، أوه أيتها الزهرة المضطربة قرب الرحيق المتقيأ ، يا حزمة العقول المظلمة التى اجتازها فى جماعات كل هذا النحل من الرصاص الذى يستقر فى رءوسنا .

نجـــمـــة : لا أريد أن أسمع ! .

الأخـضـر : انصرفي ، فلنفترق دون إجهاد قلبينا القاسيين . إن الروح وحدها تكفي لعبور العالم ، مع أننا نادرا ما نتحدث عند النفس الأخير . إنني أصمت . إنك على طرف لساني ساخنة تماما ، وأنا أجدف في سكون لكي أبلغك في سحبة جزر . صدرك كشعب البحر يوقف حركتي . إنني أسبح بالكاد ، بأذرع مقيدة ، نحو نعاس الكهف . والآن آتي لأرد لك الروح . إن الطوفان لم يعد يجذبني . إنني أفضل على النعاس هبة الكلام ، بشرط أن تسنديني . ولكن شواطئ جسدك ليست سوى مهاو ساحقة . إنني وأنا مصاب بجرح مميت «أرسو» يكفيني أن أرفع صوتي حتى تصيبني الخيانة.

نجـــمـــة : لقد بحثت عنك في أعماق الكهوف ، وعرفت في مصادقة القتلة صيد القنفذ . لقد كنت دائما تفقدني .

الأخـضـر : نعم ، لقد أمضيت أيامي في خندق ، أرصد أولئك الذين لا يسقطون في فخاخك . كانوا يسيرون فوق صدري ، وكنت أنت تتنسمين ، وكنت تمومئين عند رؤية شواربهم . فإذا صدر عني رد فعل ، كان تمردك يجرفني إلى مساقط جديدة يستغلها كل غريم فيفرض نفسه في قفصي . وهكذا كان لابد لي أن أقاسمك رذائلك وأن أتخلى حتى عن العذاب .

نجـــمـــة : تكذب . ما هذا العذاب ؟

الأخضر : إن سوء التفاهم هذا يمنحهم كل أنواع الشجاعة . وأنا وحدى كنت أستطيع أن أبدد جهلهم . وكان المنافسون يهيجون ، وهم يبكون في بعض الأحيان فوق لحدى . ولم يكن بوسعي أن أنسل منهم . ولا أن أواسيهم ، أنا الذى كان لا يزال يحمل مخلبك . وفوق ذلك فإن صوتى كان يثقل العبء ، بحيث أن أية لعنة كانت ترفع من قدرك .

نجمة : (حاسمة وشاردة) مجرد أزمة غيرة .

الأخضر : ولكننى لو كنت أبطلت السحر ، لكانوا قد رضوا بأن يرونى أهجر مضجعك الفاتن ، ولأثارونى ضدك . عندئذ كانت تظهر لي قمة العذاب . ولكننى لم أشأ أن أبلغ مستوى ارتفاعك ، إذ أدركت أن الفراغ كان فى النهاية .

نجمة : أنك لم تشأ أبدا أن تتم غزوى . تذكر ذلك الصباح الذى هجرتني فيه تاركا وراءك سخريات بدلا من الوداع .

الأخضر : فى ذلك الصباح كان الجنود فى المعسكرات ، على أهبة الاستعداد للتدخل، وكان المنظمون عندنا يجهلون ذلك . كنت أعرف فقط أن الشرطة ستأتى آخر الأمر . وكنت أنتظر رجال مكتب النظام ، وكانت الفرق الأولى قد تمت محاصرتها ، والشعب لا يزال يأتى إلى شارع الوندال . كانت لحظة الانتشار فى الشارع الكبير . وفى الليلة السابقة كان رجال الشرطة قد استقروا فى بعض المنازل . كنا جميعا متعبين . ومن إحدى الشرفات ، خرجت

الطلقات جزافا ، كان الجمهور قد ضاقت حلقاته . وكنا نتخذ من كل شيء قذائف ، ولكن لم تكن لدينا أية حماية . ووصل الجنود فأطلقوا النيران بعنف ، فإذا بي على الأرض مع مذاق قديم في فمي ، فاقد السمع ، فاقد الإحساس ، ولكن عيني لا تزالان منفرجتين . ثم شرع الجمهور في الرقص ، ولم تخرج من صدري أية حشرجة ، أو على الأقل لم أسمع حشرجة صدري كما لم أسمع حشرجة الجرحى الآخرين ، فلقد كان هناك رصاص في جسدي وضوضاء في المدينة ، كان يلوح لي بكل بساطة أن الجمهور قد شرع في الرقص . لم يكن هناك ما يدعو إلى الحزن . ومن جهة أخرى ، فقد كنت أحمل بعض السجائر . إن المستنقع الذي كنت أرقد فيه لم أكن أراه .

كان الجو جميلا . لم تكن المظاهرة قد انتهت . كان يبدو لي أن الجنود من عالم آخر . أما رجال الشرطة فقد نسيتهم . ولكن الجمهور كان ينقص . عندئذ شعرت بضعفي .

{لحظة . ظلمات . شبحا الأخضر ونجمة . طلقات نارية . أوامر ، أنات . عويل من الجمهور الذي أسكرته مذبحته نفسها . جلبة . عراك . ضوء . المنصة خالية .

البائع ، بمفرده يجلس القرفصاء أمام شجرة البرتقال . الوقت الليل . نجمة ومصطفى وحسن يظهرون ، وهم يختفون من منزل إلى منزل } .

مـــصطفى : لا داعى للذهاب أبعد من ذلك . لن نعثر عليه .

حـــــسن : لقد اختفى فى أثناء العراك الثانى .

مـــصطفى : **(بلهجة قاسية)** كان يجب الاعتناء به ، ثم حبسه فى المسكن . ولكن لا نتركه هنا .

نجـــمـــة : أنا لم أتركه ! فعندما سمعت طلقات النيران والصراخ ، أخذته من ذراعه . كان متكئا هنا **(نجمة تشير إلى شجرة البرتقال)** توسلت إليه أن يتبعنى . فلم يجب . سمعنا بالقرب منا جماعة من الرجال المسلحين . فتوسلت إليه مرة أخرى ، وصرخت فيه بأن يذهب إلى أى مكان إذا كان لا يستطيع أن يتبعنى . لكنه كان ما يزال يهذى ، وهو يحاول أن يقف على قدميه . وفى هذه اللحظة ابتلعتنى الجماهير التى كانت تفر من الرصاص . وسقطت . ثم نهضت ، وسقطت مرة أخرى . كان الرجال يتطاحنون من حولى ، وهم يقلبوننى فى طريقهم ، كما لو كانت رغبتهم الأخيرة هى أن يسحق بعضهم بعضا فوق جسد امرأة مجهولة .

مـــصطفى : **(بلهجة أشد قسوة)** نحن نعرف هذا جيدا : حتى تحت الرصاص ، فإن المرأة تجد نفسها فى بؤرة النزاع . بهذه الطريقة فقدت الأخضر . وذات يوم ستفقدين أصدقاءه إذا لم يكن هذا قد حدث فعلا .

حـــــسن : **(ليحول غضب مصطفى)** إن هذا البائع موجود هناك دائما . فلا شك أنه قد رأى الأخضر .

البـــائـع : [**يقتربون من البائع . حسن يهزه دون مراعاة**] .
(**مذعورا**) اللعنة على الكافر الذى أيقظنى . أوه ! عفوا .
لقد ظننتكم جنودا .

حـــسن : ألم تر الأخضر ؟

البـــائـع : يوجد في بلدنا رجال يدعون بهذا الاسم .

حـــسن : أنه صديق . الناس جميعا يعرفونه .

مـصطفى : (**حانقا ، وهو يقترب أكثر**) ليس هذا وقت المزاح ،
أخبرنا إذا كنت رأيته.

البـــائـع : كلا . لم أره .

مـصطفى : حقا ، أولا تعرف رجالنا ؟ طوال الوقت فى الشارع
ولا تعرفهم ؟

البـــائـع : (**مفزوعا**) أنا لا أعرف سوى عملى وأولادى .

مـصطفى : ماذا تعمل فى هذا الشارع ؟ ألا تحادث أحدا ؟ .

البـــائـع : آه ! يا إخوانى ، أنا لا أعمل بالسياسة . فما عسى
يفيد هذا ؟

مـصطفى : هناك من يفيدهم هذا . الشرطة أيضا ، هذا يفيدها .

البـــائـع : إخواني ، عندى سبعة من الأبناء . أكسب قوتى بقدر
ما أستطيع .
أمن المحظور أن يكسب المرء قوته ؟ .

مـصطفى : تعتمد على رجال الشرطة ؟ يتركونك تكسب قوتك ،
ماذا تعطيهم فى مقابل ذلك ؟ .

حـــسن : سأخبرك بما تعطى لهم ، أتحب أن أخبرك به ؟

البـــــائـع : **(وقـد جن جنونه)** إخـوانـي ، إن عنـدي ســبــعـة من الأبنـاء . لـو لـم يـكن الأطفال جياعا لكبروا بسـرعة ، ولتحررت البلاد .

مـــصطفى : إذا كنا جميعا مرشدين ، فقد يكون هذا وسيلة للتخلص من الفاقة ؟

نجـــمـــة : فلنتركه . أنه ليس سوى عجوز ضعيف .

مـــصطفى : إذن وأنت نائـم ، تقـوم بهـذه المهنـة ، مهنـة الكـلاب ، **(مصطفى يجلس القرفصـاء بالقرب من البائع ويضيق عليه أكثر)** تفكر طبعا في الحاكم ؟ لديك أحلام مليئة بالأنين مثل أنين الكلاب ؟

البـــــائـع : **(منبطحا)** سـامحوني ، لقـد ظننتكم من الأعداء . كل إنسان يخطئ . كان صاحبكم مجروحا .

حـــســـن : **(وهو يقترب من الجهة الأخرى)** إلى أي مكان لجأ ؟

البـــــائـع : **(مشيرا إلى نجمة)** هذه المرأة رأته . لقـد تحدثا معـاً بالقرب من عربتي دون أن يلاحظا أني قريب منهمـا . ثم كانت المعركة الثانية . لم أر شيئا ، أقسـم لكم أني لم أتوان في حزم أمتعتي .

[ظلام . طلقات متصلة من الجونج . ضوء . الكومندان يثرثر مع ضابط آخر ، وهو يشير إلى خريطة أفريقيا ، المعروضة على الشاشة] .

الكـومـنـدان : ... انظـر إلى تاريـخ " نومـيـديا " . إنـهـا الـيـوم شــمـال أفريقيا ، مـع فارق بسيط وهو أننا حللنا محل الرومان

في مراكز القيادة . قديما ، لم يكن من السهل هزيمة فرسان " نوميديا " . أما اليوم ، فلدينا الطيران والبلاد مقسمة إلى ثلاثة أجزاء . ولكنها دائما بلد واحد . لن ننجح في ابتلاع سكانها ، حتى بعد أن نقلنا عددا من المستوطنين لم يصل إليه عدد في أى إمبراطورية أفريقية . في تونس والمغرب وهنا أيضا ، الرجال أنفسهم ينقلبون ضدنا . أنهم يعاودون الهجوم متدفقين من القرون الغابرة ، وهم يُقتلون في المعارك ليظهروا من جديد ، نوميديين يلوذون بالفرار ولكنهم يوحدون صفوفهم للقيام بهجمات أخرى ...

[الضوء ينتقل جهة الأخضر المغطى بالتراب والكدمات ، في مواجهة مارجريت] .

مارجريت : هل هوجمت ؟

الأخضر : من العسير أن نقول ذلك .

مارجريت : لقد " فرملت " بالضبط أمام جسدك . كنت وحدى إلى عجلة القيادة . لك حظ ... لقد " فرملت " في الوقت المناسب تماما . لقد تحركت أنت وسمعت أنا بعض الكلمات الفرنسية ...

الأخضر : لابد أن الأمر اختلط عليك . فقد كان هناك جرحى آخرون .

مارجريت : كلا ، أنا متأكدة . كلماتك كانت غير مفهومة . لكنها كانت بالفرنسية .

الأخــضــر : (**خجلا**) هذه نتيجة ذهاب المرء إلى المدرسة ...

مــارجــريت : ماذا تقول ؟

الأخــضــر : (**مستدركا**) لا شيء .

مــارجــريت : لقد تجشمت العناء في نقلك . لحسن الحظ أني ممرضة . أحب أن أعالج الناس لكنها ليست مهنتي . والدي لا يريد لي أن أعمل . يقول أن مرتبه يكفي . في باريس كنت أقوم أيضا ببعض الخدمات الطبية . أما هنا فالوضع بالغ الدناءة ... المهم أنني أوقفت النزيف .

الأخــضــر : وأنا اشعر بتحسن .

مــارجــريت : إذا سمحت ، فإني سأخطر والدي وسيطلب إحضار عربة إسعاف .

الأخــضــر : تعتقدين أن والدك ...

مــارجــريت : إنه ضابط .

[الأخضر يذعر . مارجريت تحدق فيه باهتمام قبل أن تستطرد بصوت خفيض] .

مــارجــريت : أنت أجنبي ؟ كلا . أنت عربي . أرى ذلك الآن ، وأنا أنظر إليك من قريب . يبدو أن دمك عربي .

الأخــضــر : نعم ، دمي عربي .

مــارجــريت : (**وهي تفكر**) غريب ... الآخرون ، لا أستطيع أن أراهم . أنهم قذرون .

يظنهم الناظر قملا . أنت لست مثلهم . تمدد فوق سريري .

الأخـــضـــر : سأنام عند رفاقى .

مــارجــريت : سأتركك . تنام فوق سريرى .

[مارجريت تخرج . تدخل نجمة] .

نجـــمــــة : سامحنى . أصدقاؤك يبحثون عنك . لقد رآك البعض تنزل هنا .

الأخـــضـــر : أنت أيضا ، تراقبيننى ؟ هل أنا عبد أو طفل ؟

نجـــمــــة : من بعيد جدا تبعتك . ليست أنا التى ستقوم على حراستك . لا تزال ترقد غارقا في نظرتك أنت ، لو صح أن نسمى العنكبوت الذى يجرى فوق جبينك نظرة . إنى أقتفى أثرك بينما أنت تعمينى وتضربنى . أن روحك القاسية تثقلنى ، وأنا أرتدى الحداد ، ولكنك لم تمت إلا من أجلى .

الأخـــضـــر : أبدا لا نفقده .

ذلك الحبيب الذى

تأتى لفحة جديدة

فتواريه التراب فى غير وقته

محروثة بعيدا عن خطوط حقلى

أقدم إلى نيرك الوحدة

وغيابى سيجعل هجرانك يزدهر .

نجـــمــــة : في أحشاء ذاتي

ألقيت بذرتي بلا عودة

وها أنت ذا تنبت

سحابة تفجرت كان ماؤها منيتى

الأخـضـر : وكجوال على ظهره

أقوم بالتسميد مختلطا بك

وأغمرك بفم مخيط

مفعماً بسحابك المطر

وكجوال على ظهره

أقوم بالتسميد مختلطا بك

أيتها الرفيقة التى لا يمكن التنبؤ بها ، أيتها الأرض التى

أرهقها قمحها اليابس الذى ألقى على الأرض عنوة .

نجـمـسة : أنا التى رأتك والمنجل يقطعك .

الأخـضـر : ولكننى سأخرج من صومعة الغلال

ولن تعرفى بعد ذلك .

أى هجمة قديمة تغطيك

وسينسى

عريك

الشتوى !

أننى أسحب روحى إلى الموت الذى ينسى نفسه

فلتخلع ثياب عرسها

تلك الساحرة التى هى القدر

ولتهلك عذراء حول النيران !

ولتظهر دون جدوى

سقوطها الهادر

في أعماق المغارات العرسية !
الحب ، والموت والروح :
ندم طمره الأسلاف
الأسلاف الذين يفضحون حياتهم
كوباء استعر في زمن القحط
في معسكر عشاق مغمورين لا يستطيعون أن يتعرفوا
على أنفسهم دون أن يحرقوا آخر عبراتهم في صراع
تشعر فيه روح الخصم أنها وحيدة ! .
[يدخل حسن ومصطفى] .

مصطفى : (**مشيرا إلى الأخضر**) هاهو ذا حي ، بل ويثرثر .

الأخضر : انتظر . .

[تدخل " مارجريت " ، مذعورة أمام المجاهدين] .

نجمة : لا تخشيْ شيئا . سننصرف نحن .

الأخضر : (**متأثرا**) إيه كلا ! لنبق معا (**مشيرا إلى مارجريت**)
إنها من باريس .
إن المرء وهو في بيتها يشعر كأنه قد اجتاز البحر .

مارجريت : سأغلق الباب .

نجمة : (**متألمة**) لا تحملي نفسك كل هذا العناء .

مصطفى : (**بصوت من أتى ذنبا**) العناء قد وقع .

[خمسة كشافات تنتشر فوق المنصة . الكشاف الأول يظهر بجلاء وجه الأخضر المتورم الذي تحدق فيه مارجريت ، وهي مأخوذة ، في نور الكشاف الثاني ،

كاشفة عن هذا الحب الجديد الذى تفتح دون علم المصاب. الكشاف الثالث يبين الإغراء العاجز لنجمة التى تبدد نظرتها المريرة رقة الفريسة . الكشاف الرابع يتأرجح مع النظرة المزدوجة التى ينقلها مصطفى بين نجمة والأخضر ، الأخضر الذى بدأ يكره ، ونجمة التى تدفعه إلى اليأس الكامل . الكشاف الخامس ينطفئ أولا على حسن ، المنزوى قليلا ، منفردا ومتضامنا فى الوقت نفسه . مصطفى ومارجريت ونجمة يدخلون بالتوالى فى الظلام . الكشاف الأخير ينطفئ على شفتى الأخضر فى اللحظة التى يبدأ فيها الكلام } .

الأخضر : **(رافعا الكلفة)** هل لديك شراب ؟ أعطنى أى شىء . ستشربون معنا .
سيتم ذلك بلا ضغينة .

[مارجريت تحضر شرابا . يشربون فى صحة الأخضر]

حسن : جراحك ؟

الأخضر : كلها جديدة .

مارجريت : لقد نزف كثيرا .

نجمة : ستملئينه كالقربة .

مصطفى : **(غيورا)** لقد أصبح فاقد الإحساس ، أشبه بتلك الأشجار التى تمزقها مناقير اللقالق حتى العظام .

الأخضر : **(وهو يميل فجأة ناحية مصطفى)** اللقلاقة نفسها **(مشيرا إلى نجمة)** تضربك بمنقارها . ولكنى مرتاح .

نحن إخوان . أن الغربان لا يمتهن بعضها البعض ...
والآن أخبرني ، أين رجالنا ؟

[مصطفى ، مغموما ، لا يجيب . صمت . حسن هو الذى يجيب] .

حسن : لم يعد سوانا فى المنطقة . لابد من إعادة تجميع الرجال . منزلنا واحد من المنازل النادرة التى لم تهاجم ، الجرائد تقول إن حالة الحصار لن تستمر . لكن الرجال المشتبه فيهم ، بين الثامنة عشرة والستين ، أبعدوا عن المدينة فى مواكب عسكرية ...

الأخضر : (**مخاطبا مارجريت**) فما رأى أبيك فى هذا ؟

مارجريت : (**مفكرة**) أنه يقوم بالتنفيذ .

مصطفى : نعم ، إن المستوطنين هم الذين يقررون . لقد توصلوا فى باريس إلى أن تكون السلطة مقسمة إلى حد ما بين الميليشيا والجيش . والحاكم نفسه مشلول الحركة . من الممكن أن ننتظر أى شىء .

الأخضر : هل نستطيع أن نقدر خسائرنا ؟

مصطفى : أنا لا أرى سوى ثلاث فئات : الضحايا ، الأسرى ، الفارين . الأمر لا ينتهى أبدا . فى الجهة الأخرى من القبر ، تتكاثف الظلمة الحالكة . أنهم يحيكون بعض المؤامرات ، مع أن فترة الإنذار قد انتهت .

الأخضر : بأيديهم هم سيقضون على انتصارهم ، خوفا من العقاب .

مـــارجـــريت : لا تتعشموا أن تعارض باريس الجيش .

مــــصـطفى : نحن نعرف سلطان المستوطنين . ذات يوم سيذهبون لإرهابكم فى فرنسا .
أنهم من الآن يتحرشون بكم ، ويخادعونكم ، ويسيطرون عليكم . إنهم مرتزقتكم الذين لا تقف قوتهم عند حد . سينقلبون ضدكم ، فى قمة العجرفة الذليلة .

مـــارجـــريت : (**مذعورة**) اخفضوا أصواتكم ... من مكتبه ، يسمع كل شيء .

مــــصـطفى : من ؟

مـــارجـــريت : أبى !

[مصطفى والأخضر يتبادلان النظر . عند صيحة مارجريت ، الباب يفتح، يطير حطاما تحت حذاء الكومندان ، الذى يصرعه حسن فى الحال وهو قريب منه . تنقضى لمحة ، مارجريت تتردد ، ثم تتخذ مكانها بجراءة وسط المعمعة . تتخطى جسد أبيها لتقبض على الأخضر الذى يقاوم مذهولا] .

مـــارجـــريت : بسرعة ، لنحملهما كليهما . إن السيارة أمام الباب .

[مارجريت تحمل الأخضر ، الذى يكف عن المقاومة . يغادران المنصة يتبعهما مصطفى الذى يحمل جثة الكومندان . حسن ونجمة يظلان وحدهما] .

حـــــــســن : (**وهو لا يزال تحت تأثير فعلته**) إنه أبوها فعلا .

نجـــمـــة : لا يهمنى .

حســـــن : أنت مخطئة إذ تكرهينها . هى ليست سوى أجنبية ، مجرد فتاة مغتربة ، عاطلة ، كتبت عليها حياة الثكنات ، تخنقها روح طبقتها بالقرب من أب مجرد من الشفقة . إن وحدتها ألقت بها بيننا كمن تمشي وهي نائمة . إنها تنضم إلى الشباب كما ينضم المرء إلى العدو ، سائرة فوق دمائها ، دون أن تعرف أولئك الذين تختار معسكرهم ، وقد نزعتها من عزلتها ضربة من ضربات القدر ...

نجــمــة : (**عابسة**) لا يهمنى .

حســـــن : ألا تشعرين بالغيرة ؟

نجــمــة : هيا ، أنت حمار ، بمسدسك هذا ... ألم تلاحظ ؟ أمامي ، كان الأخضر ومصطفى يبغض كل منهما صاحبه . وأمام هذه الفرنسية التأمت صداقتهما من جديد .

حســـــن : هكذا تترك غيرة الحب مكانها لإخوة السلاح .

[ظلام . ضوء . دقات جونج . جو مقهى أو بار حافل بالناس . نجمة تتكلم فى منتصف المنصة] .

نجــمــة : حان الوقت لأتحدث عما وقع عندما كان الأخضر يخرج من مرحلة الطفولة ، كان يبدو له عندئذ أنه خلق ليعيش في بلد أجنبي لن أذكر اسمه ... لم تقع له كل هذه الأحداث إلا بعد أن انقضت سنوات عديدة على اختمار فكرة رحيله . كان أبوه يعيش فى مقهى ليل نهار .

والأخضر يتذكر أنه اصطحبه إلى هناك ، عندما حلت أوقات فاقة تركت الناس بلا عمل . كان العمال والفلاحون وصغار الموظفين وحتى المحامي ، لا يغادرون المقهى . كانوا يشربون قليلا أو كثيرا . وكانوا يلعبون الورق أو الدومينو . هكذا كانت تنقضي الأيام العصيبة ، كان المحامي يقرأ الجرائد ، وهو يفرك عينيه ، وكان الآخرون يطرحون رءوسهم إلى الوراء للتأمل والتفكير . وكان والد الأخضر يريد أن يستخفي عن الأنظار . كان يقول " إن الجرائد مثل عبارات السحرة ، لا يستطيع الناس جميعا حل رموزها "... وذات يوم قامت الشرطة بعدة هجمات مباغتة في الشارع ، وأسرع الجميع يلجئون إلى المقاهي والحوانيت ، والحمامات ، بل وحتى إلى المحطة ... ودخل الأخضر المقهى ...

[نجمة تغادر المنصة . العمال والفلاحون وصغار الموظفين والمحامي في وسط المنصة . في أقصى المنصة يوجد مصطفى . الأخضر يتسلل نحوه] .

الأخضر : **(الذي لمح زوج أمه ، يدمدم متذمرا)** اليوم يوجد جمهور كثير .

طهار : وبك يزداد واحدا .

الأخضر : أنا لا أبحث عنك ، يا أبي ، أنا لا أبحث إلا عن الهدوء .

مصطفى : اجلس ، أيها الرفيق ، احترم أباك قليلا .

[في هذه اللحظة ، المحامي متوقفا عن قراءة جريدته ، يطلق صرخة قصيرة] .

المحـــــامي : انتـهى الأمـر ! لقـد صـدر الحكم على رئيس الحـزب . بعشرين عاما أعمالا شاقة .

المـــوظـــف : (غير مكترث) هاهو الأستاذ يبكى .

المحـــــامي : ليس أنت الذى سيتحمل مهمة إمدادنا بالأخبار ...

المـــوظـــف : عفوا ، يا أستاذ ، ولكن طريقتك سيئة فى نقل الأخبار .

مــصـطفى : هل حكم عليه طبقا للقانون ؟ عفوا ، يا أسـتاذ .. كيف أدانوا الرئيس ؟

المحـــــامي : (بلهجة الذى يفهم الأمور) القـانون ، والمستـوطنون ... لقد أدين تماما .

الأخـــضـــر : وهاهو ذا بلا دفاع ؟

المحـــــامي : ليست هذه أول مرة . سيموت فى السجن .لا أمل ،إذن ؟

مــصـطفى : يبدو لى ، يا أسـتاذ ، من كلامك أننا جميـعا سندان إن عاجلا أو آجلا .

المحـــــامي : آه يا بنى ، لقـد فـهمتنى ! إن القانون يهـددنا على الدوام ، وهو يشـعرنا بهذا التـهديد عن طريق مثل هذه الأحكام . ومع ذلك فإن القـانون لا يصيب الجماهير بتـاتا . فطالما نحن مـعا ، سيتـركنا نعيش خاضـعين . أما إذا تراءى لسوء الحظ لأحد الساخطين أن ...

طـهـــــــار : برافو ، يا أستاذ ، علِّمنا ! .

الأخـــضـــر : هل تعنى أن رئيس الحزب كان الوحيد الذى تمرد ، وأنه يرتكب دائما الخطأ نفسه دون أن يستطيع إقناعنا ؟ هل تعنى أننا لم نتبعه حتى النهاية ؟

المحـــامى : نعم ، يا بنى ، أنت أيضا تفهـم ، أنا أرى أنه مـن غير الحكمـة أن يخـرج المرء من شـعب جـائع ، جـاهل مـثل شعبنا ، لكى يسقط من تلقاء نفسه تحت وطأة القانون . إنكم ترون جيـدا أن هذا التـعس قد خـذل نهائيا . إن إدانته لا تؤدى إلا إلى زيادة إرهابنا . ولا عمل لنا إلا أن نقاسى من الهجمات الفجائية دون أن يكون لنا شأن بها ..

الأخـضـر : برافو ، يا أسـتاذ ، لابد وأنك عرفت كثيرا من القضاة . إنك تتحدث عنهم بحكمة .

القـاضى : (فى تواضع) منذ عشرين عاما وأنا مقيد فى سجل القضاء ...

الأخـضـر : أننى أفكر فى ذلك الرجل الذى أدانوه منذ قليل . هو أيضا مسجل فى سلك القضاء منذ عشرين عاما ، ولكن فى الجانب الآخر من المحكمة ... هل تفهـم يا أسـتاذ ، هل تفهم ؟

المحـــامى : (تائها) نعم ، لقد عرفت كثيرا من القضاة .

الأخـضـر : هل عرفتهم رجلا لرجل ؟

المحـــامى : بالتأكيد ، فمنذ عشرين عاما واسمى مسجل ..

الأخـضـر : إذن فـقـانونهـم ليس بعيـد المنـال ... يكـفى أن يسـجل المرء نفسه فى سلك القضاء . إنك تغرينى بأن أفعل ذلك .

المحـــامى : (مـغـيظا) لقـد فـات الأوان ، أيهـا الشـاب ، لكى تتم دراستك ...

الأخضر : اقتربوا ، اقتربوا جميعا ! الجميع يستطيعون هنا أن يسجلوا أسماءهم بسلك القضاء . ولكن ذلك سيكون فى الجانب الآخر من المحكمة لأن القانون سيفير معسكره . يا أستاذ ، إن الحكم عليك سيكون خفيفا ...

المحامى : الله فى عونكم يا أبنائى . سأذهب لأرى إذا كانت الجريدة قد وصلت .

(المحامى يخرج ، تشيعه الفرحة العامة) .

مصطفى : إن الأستاذ لا يحب حماستنا .

الموظف : إنه رجل حر ، ولكن لديه بعض الهموم .

عامل : إننى أفضل رأسى ، رأس العبد .

الأخضر : **(مخاطبا مصطفى)** حان الوقت لكى نبدأ ...

مصطفى : **(ساحبا مفكرة من جيبه)** فتحت الجلسة .

[فلاحون وعمال يقتربون فى صمت . طهار يظل بمفرده عند منضدة الشراب]

الأخضر : **(مخاطبا طهار)** سنبدأ عندما تنصرف أنت .

طهار : **(مخاطبا صاحب المقهى)** معهم ، ستصبح ثريا .

[طهار يخرج ، تتبعه حفنة من صغار الموظفين . الاجتماع يبدأ بجلبة طفيفة . ثم يسمع جزء من البيان الذى يبدأ بصوت خفيض ، جاذبا الانتباه]

مصطفى : ... زنزانتهم ليست زنزانتنا : إنها لن تكفى لعزل مساجيننا . لابد من تنظيم الحجرات المشتركة ، رغم وجود المحكوم عليهم بمقتضى القانون العام ، وألا يقبض

علينا مباغتة ، وإنما يجب أن نتسلل إلى السجون ، بخطة تحرير شامل ، تضم حتى نصوص القانون العام ، لأنه ليس لنا أن نحكم على الذين فى الطرف الآخـــر من سلاسلنا .

[الأضــواء تنطفئ واحـدا واحـدا ، بينمـا المجـاهدون ينهضون ويذهبون كل إلى وجهته . الظلمة تقع على ظلى الأخضر ومصطفى المعروضين على الشاشة . قضبان السجن الحربى فى نقطة كبيـرة . بالداخل ، الأخضر ومصطفى وحسن مجتمعون فى الزنزانة نفسـها ، المشاهدون يتعرفون على وجوه المسجونين الثلاثة ولن يروهم طوال المشـهد ، لكنهم سيسـمعون أصـواتهم الواضحة التى ينقلها مكبر للصوت . أمام القضبان ، فى لقطة كبيرة ، وعلى جانبى الشارع الذى يفضى إلى كوة الزنزانة ، يقف كورس الجمهور فى صفين يطغى كل منهما على الآخر . شخصيات الكورس ليست رمزية فيما عدا مارجريت ، الباريسية ، التى تتميز عن المجموعة بأناقتها ، وخطواتها ذهابا وإيابا التى تتسم بالكآبة وسط الشارع ، لأنها تنتظر وحدها أخبارا عن الأخضر ، بينما الجمهور منصرف إلى مشاغله ، يتنزه أو ينعس ، كل هذا فى نوع من التـركيـز الفكرى اللازم لسمـا ع الثـلاثى المسجون] .

حــــــــــسن : لن يطلقوا عليك النار . مجرد مسرحية لإرغامك على الكلام .

الأخــضــر : أخـبـــرونى بـأن هـــذا سـيكون غـدا ، فى الســاعـــة الواحــدة . كان يبـدو أنهم ينتظرون إجابتى .

مـــصطفى : هل كانت قاسية معرفة هذا الخبر ؟ أكثر قسوة من التعذيب ؟

الأخــضــر : بمجرد أن سمع الحكم .
لم يعد الزمان سوى ذكرى إعدام مقبل .
من تلقاء نفسها توقفت الأسلحة .
فى خرير شلال تحت الأرض .
لا تطفو عليه سوى أيام الشتاء الأخيرة .
إنها ذكريات مدرسية ...

مـــصطفى : كنا معا ...

الأخــضــر : ... فى الشـتـــاء نفـســـه ، مـصطفى وأنـا ، خــالطـين جمــاعتينا المتنافسـتين ، كدليلين يقظين ، عند مغادرة المدرسة التى كنا أيضا أول من يبلغها .

مـــصطفى : كنت أفكر فى ذلك ، كنت أفكر فى ذلك حتى هذا الصباح .
[illegible] لم [illegible] أن نكتشف لأنفسنا ذاكرة مشتركة ، قبل أن نقدر عمقها المعادل حتى لا يخطر ببالنا أن أحدنا سيكون هنا دائما .

الأخــضــر : لذلك ، وأنا أفكر فى أيام الشتاء ،
أشركتك فى السقطة القادمة .
عند الخروج من المدرسة ، زمن التدافع بالأيدى
عندئذ كنا نجهل الحكم الصادر من الأعداء

أما الآن
فإنني أشعر بدمائي تتدفق
لرؤية رجال لم يتغيروا . منذ الطفولة ،
وأنا أنظر إليهم على أنهم أعداء . كانت الكراهية تخنقني
منذ ذلك الحين ، الكراهية والحاجة
لأن أصادفهم يوما وجها لوجه
لكي أعلم إذا كانوا حقا قد هزمونا .

مصطفى : منذ الطفولة ونحن نعلم أنه يجب أن نهزمهم . ومنذ استطعنا أن نجري أخذنا النبال ولذنا بالأدغال ولم يُجدهم شيئا أن يعلموا بضرباتنا قبل وقوعها . ولم يغنهم شيئا أن نهلك نحن بدلا منهم ... إن قبرنا سوف يخصص لهم أبدا . سيتساقطون مثل الذباب بتأثير غيابنا فقط . كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟

[قسما الكورس يرددان كل في دوره]

" ... كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟ بتأثير غيابنا فقط سيتساقطون مثل الذباب. كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟ "

[وهكذا فإن صوت السجين انحرف متجها إلى كورس الجمهور الذي يردده في صدى ، مشيرا في نهاية هذه الفقرة إلى السجناء وجلاديهم في الوقت نفسه ، بينما نهاية الفقرة كانت تتضمن معنى واحدا في فم مصطفى ولا تشير إلا إلى الجلادين . صوت الأخضر يلي صوت الكورس على الفور]

الأخــضــر : ترى هل قرب الموت يجعل غضبنا أكثر هولا ،
ترانا نعيش أحلام طفولتنا الحربية
أهى الحرب يا ترى أم هو حلم ؟
منذ مائة عام وهم يجردوننا من السلاح .
لا يكاد يبقى سوى ما نذهب به إلى الصيد ...
قسما الكورس : (وهما يرددان نهاية هذه الفقرة كل فى دوره) –
" لا يكاد يبقى سوى ما نذهب به إلى الصيد ... منذ قرن وهم يجردوننا من السلاح . أهى الحرب يا ترى أم هو حلم ؟ "
[الصمت يحل ، وصوت حسن يعود فى هدوء]
حــســن : **(فى دهشة)** ألا تستطيع أن تنام قليلا ؟
مــصطفى : النعاس لم يعد من طبيعة هذا العالم
بالنسبة لمن سيرى الفجر العارى تماما
كعاشق يتحدى الليل سباقا ...
قسما الكورس : (وهما يرددان كل فى دوره) كعاشق يتحدى الليل سباقا... بالنسبة لمن سيرى الفجر العارى تماما ، النعاس لم يعد من طبيعة هذا العالم .
حــســن : (فى صوت واحد مع مصطفى ، فى ثنائى يعيد جمع قسمى الكورس الذى يلازم مارجريت)
ونحن رفاقه فى الزنزانة
نسهر على نفَس الأخضر المتعجل دائما ،
نفس الأخضر الذى يعوزه الزمان والمكان ،

ها نحن نتعثر أمام نظرته ،
مبهورين فى خلية المعدن المتأجج الذى يخترقه
لحظة الارتقاء
حيث رأسه يجتذب الصاعقة
ويجعل البنادق تخر وتنحنى
[عند نهاية هذا البيت الأخير ، صوتا حسن ومصطفى المختلطان يشكلان ثانيا يعيد الجمع بين قسمى الكورس حول مارجريت . الكورس كله يردد عندئذ الفقرة كلها ، مخاطبا مارجريت الصامتة . ثم يقوم الكورس بسرعة بغزو السجن ويظل مختفيا عن الأنظار بينما مارجريت باقية وحدها فى الشارع . ويعود صوت الأخضر من جديد]
الأخضر : شعورى يزداد بالظلم الشامل
الآن وقد أصبحت أقل كلمة
تزن أثقل من الدمعة
أرى بلدى ، وأرى أنه فقير
أرى أنه ملىء برجال هوت رءوسهم
وهؤلاء الرجال أراهم واحدا واحدا فى رأسى ،
لأنهم أمامنا ، والوقت ينقصنا للسير وراءهم .
[الكورس كله وهو لا يزال خافيا عن الأنظار ، يردد هذا البيت الأخير :] "لأنهم أمامنا ، والوقت ينقصنا للسير وراءهم " !

[بعد فترة يعود صوت الأخضر من جديد]

الأخــضــر : في كل عام ، لدى كل موجة عميقة

لأشباحنا المطعونة عبثا

تكون الغطسة نفسها في الصخرة

يكون هلاك جديد

دائما ما يطول الحزن عليه

ولكن قلما تنوح أرواحنا

لأننا نمسك الزمن جريحا بين أسناننا

كمثل الكثيرين من المفكرين الشبان

المغمورين في المعابد .

لأنه من وراء الأنصاب تصلنا

ألوان من العذاب خطيرة

تعكر صفو موتنا في ينبوعه .

[في هذه اللحظة تهل مجموعة من الجنود وتنسل داخل السجن . يخرجون منه حالا ، قابضين على ثلاثة مجهولين يعدمون رميا بالرصاص بطريقة رمزية في الشارع على ضوء كشاف يدل على بزوغ النهار . ثم يغادر الجنود المنصة . ويخرج الكورس من السجن لكي يدفن ، بالحركات ، الجثث الثلاث . الكورس ، وهو يترنم بالدعاء للموتى ، ينتظم في صفين على جانبي الشارع كسابق عهده ، حول مارجريت ، التي لا تزال في الانتظار . في أثناء هذا الوقت يكون الكشاف قد كف

عن إرسال ضوئه على المعدمين الثلاثة لكي يعلن حلول الفجر للأخضر ، الذي يبقى الآن وحيداً]

الأخضر : لقد حان الوقت . فليتركوني لأرى النهار

حتى لو لم يكن هناك إلا الوقت لطرد الأفكار السوداء ،

هذا هو الوقت الذي لا يكون للمرء رأس فيه . غزو

مفاجئ ، كل ما كنت أسعى إليه كان يسعى إليَّ !

ها نحن تحت الريح المضادة ... محكومون بغليل لا يشفى .

قسما الكورس : (يرددان كل في دوره): هانحن تحت الريح المضادة ...

محكومون بغليل لا يشفى .

[ضابطان يدخلان السجن . من المنصة نسمعهما وهما يعذبان الأخضر]

الضابط الأول : سينفذ فيك حكم الإعدام وأنت في زنزانتك .

[صراخ الأخضر . الكشاف الهائم يمسح جدران السجن ، بينما قسما الكورس يرددان بطريقة حزينة]

الكورس : " وأنت في زنزانتك سينفذ فيك حكم الإعدام ، سينفذ فيك حكم الإعدام وأنت في زنزانتك "

[بعد صمت طويل ، نسمع الضباط يعاودون الاستجواب]

الضابط الأول : انظر إليه . ما أغرب نظراته ! ... أنا لم أر هذا إطلاقا .

الضابط الثاني : (مخاطبا الأخضر) لاحظ جيدا أننا نفعل هذا كمجرد شكليات . إن الرئيس ينوى أن يعدمك . هيا ، تكلم !

الأخضر : (صارخا في مكبر الصوت) أهذا هو إعدامكم ؟ أهذا هو ؟ عليك أنت أن تتكلم . هيا تكلم !

[رئيس الشرطة يدخل السجن بدوره . إنه ضابط بلا زى رسمى . عند دخوله يسمع الأخضر وهو يصرخ بأعلى عقيرته . صمت . ثم نسمع نهاية الاستجواب]

رئيس الشرطة : إذن ، ألم تنتهيا منه بعد ؟

الضابط الأول : يبدو أنه فقد صوابه . إن أعمال التعذيب فى شخص على شاكلته ، مع احترامى لسيادتك ، لا تفيد شيئا . إنهم متعودون على ذلك .

الرئيس : إنه مقضى عليه بالهلاك . سيظل يشاهد رؤى طول حياته . سوف يصرخ كالممسوس . فليعد إلى أصدقائه . فليعد إلى أمه . عندما يرونه سيفهمون .

[الأخضر يغادر الزنزانة دون حرس . يترنح فى الشارع الغاص بالناس ، بين قسمى الكورس ، أمام الشبح الرمزى الذى يمثل العدو : إنها مارجريت التى يرمقها الكورس المتجمع بالتهكم والسخرية]

الكورس (وهو يشير إلى مارجريت)

هاهى الباريسية
روح المدينة المفتوحة
ابنة الجلاد
باقة المعدومين الشنيعة
هاهى الباريسية
الأليفة البسيطة الساذجة
الجاهلة

القاسية
ابنة الجلاد
إنها تأخرت ، تأخرت كثيرا .
في اللحاق بمعسكر الضحايا .
هاهي الباريسية
[الأخضر يمسك مارجريت من ذراعها . ولما كان الكورس يواصل دمدمته فإن الأخضر يرد عليه ، وهو يسحب مارجريت]
الأخضر : **(مشيرا إلى مارجريت)**
لقد تأخرت ، لقد تأخرت كثيرا
في اللحاق بمعسكر الضحايا
أبدا لن أحبها أبدا
لكنني أسفت عليها دائما
[المظهر العادى للشارع . باعة . نسوة محجبات يتسوقن . الأخضر ، زائغ النظرة . البائع أمام . شجرة البرتقال]
السيدة : هاهو الأخضر ! بلحمه وعظمه . ويقولون إنه مات .
البائع : برتقال حلو
برتقال مالح
برتقال نصف حلو ونصف مالح
بالواحدة ، بالكيلو . برتقال !
السيدة : برتقالتين .. يا رجل ! زنهما ! أنت تفضل البيع بالواحدة .

البـــــائع : (**مراوغا**) إذا كان الأخضر هو الذى يدفع ...
الأخــضـــر : (**الذى سمع من بعد غير قليل**) . إيه ؟ ماذا ؟
الســـيــدة : (**مخاطبة البائع**) خذ نقودك .
الأخــضـــر : (**وقد وصل قريبا من العربة**) ماذا تريدان منى ؟
الســيـــدة : (**بصوت خفيض**) اتبعنى ، يا الأخضر ، سأعيد إليك صوابك .
الأخــضـــر : (**وهو مازال شاردا**) لم أسمع .
الســـيـــدة : (وهى تمسك الأخضر من يده) هيا بنا .
[**يبتعدان**]
الســـيـــدة : من أنا فى رأيك ؟
الأخــضـــر : أختى ، أو أخت شخص آخر ، لا يهم .
الســـيـــدة : ماذا حدث لنجمة ؟
الأخــضـــر : (**وعيناه مرفوعتان إلى السماء**) فيما مضى كانت الدب الأكبر . بعد ذلك نمت . كيف يمكن أن نميزه فى وضح النهار ؟
الســـيـــدة : (**فى حزن**) هاأنت ذا قد تغيرت كثيرا ... (**على حدة**) كنت أفضل أن أجلس على نصبه ، بدل أن أراه يتعثر كالأعمى أو كالمجنون . اللهم أنزل الليل عليه ...
[**جميع الأضواء تنطفئ لحظة . عندما تضاء من جديد ، يتضح أن المرأة المتشحة هى " نجمة " . الأخضر اختفى فى الكواليس . نجمة هذه المرة فى صحبة مارجريت وطهار**]

طهـــــــار : **(فى أشد حالات السكر)** اليمام يؤكل صغيرا ونيئا .

نجـــمــــة : أيها الثعلب العجوز ذو السحنة الكريهة .

لست أدرى ما الذى يمنعنى من تحطيم أسنانك .

لا شيء سوى ضربة بسوارى .

تعالى ، يا مارجريت ، هذا الرجل لا يعنينى فى شيء ، مع أنه سبب شقائى . لا تردى عليه التحية .

[بينما المرأتان الشابتان تنسحبان ، يظهر الأخضر الذى يذهب رأسا إلى نجمة]

نجــــمــــة : **(مرتعدة)** تعالى ، يا مارجريت ! لنرحل !

الأخـــضـــر : عفوا ، يا أختاه ، إلى أين تذهبين ؟

(وهى تحول عينيها) إنه مجنون ! لا أريد أن أراه .

[فى هذه اللحظة ، طهار الذى كان مستخفيا فى أقصى المسرح ، يقترب خلسة]

طــهــــــــار : **(منفجرا)** يا للسماء ! لقد أطلقوا الأفعى !

[طهار ينقض على الأخضر ويطعنه . المرأتان والقاتل يهربون فى اتجاهات مضادة . الأخضر يترنح متجها إلى شجرة البرتقال ويظل متعلقا بها حتى لا ينهار . الجمهور ينتشر حوله]

رجــــــــــل : **(مشفقا)** شقى آخر يولى ...

الأخـــضـــر : **(وهو لا يزال متعلقا بشجرة البرتقال)** إيه يا رجل ! أتبكى لأن الثورة تحطمت ؟ لا تبك .

رجل أخـــر : أهلى جميعا ماتوا محروقين . المنزل أصبح رمادا . هذا العام يبدأ وينتهى بالشر ...

الأخـضـر : **(وهو يكافح الهـذيان)** سننام مـعـا ، عندمـا تتـركني الشجرة أسقط .

سـيـدة : كان لي ولد اسمه فقط بغيض على ...
اسم الولد التائه ، وقد ارتد حتى عضوى الحساس وأنا فتاة ، هذا الاسم يزداد ثقله فى أحشائى .
أكثر من الوقت الذى كان ينام فيه فى مأواه
قبل أن يفصل عن الكرة الجسدية ،
مضطرا إلى النزول إلى الأرض
في هذه الصحراء التى يسد فيها رمقه من فمى ،
وإننى لأبغض حتى الاسم الذى يطلقونه عليه
لينزعوه مرة أخرى من عضوى الحساس ،
وإننى لم أعد أرصد سباق السنين
برغبة السعادة القديمة
أنا التى فقدت ثلاثة فصول من أربعة
لكى تنجب وحشا هاربا .

[الجمـهور يشكل كورسـا ينتظم على جانبى الشـارع ، الرجال والنساء يقفون فى مواجـهة بعضـهم البعض ليشكلوا قسمي الكورس . النساء فقط يرددن فى صوت واحد الفقرة السابقة وقد قمن بالصراخ والعويل الذى تقوم به الأمـهات . السيـدة التى كـانت قد تحدثت إلى الأخضـر تواصل سرد أسرارها التى ما زال يرددها فى صدى حتى الآن كورس النساء]

السيدة نفسها : (**مخاطبة الأخضر**) وما إن شب عن طوقه حتى رحل إلى فرنسا ، ولكننى أعلم أنه عاد ... أنه لا يقوم بزيارتى أبدا ، وهو يصر على أن يعيش فى الشارع مثل قاطع الطريق .

[هنا صف النساء لا يكرر سوى نهاية الفقرة ، لكى يوسع مدلولها الأصلى . كل سيدة تخاطب الرجل الذى يواجهها ، وتشركه فى اللوم الذى وُجه منذ قليل إلى الأخضر]

كورس النساء : (**مخاطبات رفاقهن من الرجال**) ... إنكم لا تقومون بزيارتنا أبدا وتصرون على الحياة فى الشارع مثل قطاع الطرق .

[الأخضر ، وهو مازال متعلقا بالشجرة ، يرد على اللوم الذى وجه إليه بمفرده من قبل]

الأخضر : انصرفي أيتها المرأة التعسة ، لديك كل الوقت الكافي للبكاء .
الزوج والابن بالنسبة لك ليسا سوى شخص واحد :
لقد مات هذا وذاك ،
قبل أن تنشق الأرض لسقوطك ،
لأنه مازال هناك زوج أم
لكى ينغِّص عليك ترملك
ويلاحق يتيمك .

السيدة : (**وهى تقترب من الأخضر**) ماذا تقول ، يا ولدى ، ماذا تقول ؟ أمن الممكن أن يكون سرى هو سرك أيضا ؟ أم ليس الأمر سوى هذيان وهواجس ؟

الأخضر : عبثا أتحدث عن نفسى فى الماضى ...

السيدة : (**وهى تقترب أكثر**) هل الأخضر مات ؟ لأن الحداد هو ميزتى ، وأنا أوجه عند كل احتضار هذا السؤال القاسى .

الأخضر : أبدا لن أستطيع أن أطمئنك .

أنا آخر الفلاحين

لست أدرى ما الذى يقيدنى

إلى شجرتى المضحى بها

أهو الرجل الذى كنته

أم الخنجر الذى يحل محلى

[هنا قسم الذكور من الكورس يخاطب صف النساء مكررا بداية الفقرة السابقة]

كورس الرجال : (**مخاطبا النساء**)

أبدا لن نستطيع أن نطمئنكن

نحن آخر الفلاحين

لا ندرى ما الذى يقيدنا

إلى أشجارنا المضحى بها ...

[الأخضر يكرر هنا كل الفقرة التى يختمها إلى أمه التى تثبت شخصيتها الآن : المرأة التى اقتربت منه]

الأخضر : أبدا لن أستطيع أن أطمئنك

أنا آخر الفلاحين

لا أدرى ما الذى يقيدنى

إلى شجرتي المضحى بها
أهو الرجل الذى كنته
أم الخنجر الذى يحل محلى
ماذا عساها تجني هنا أرملة أبى
حين تعلم أننى قتلت
بيد الزوج الثانى الذى لم تختره ؟
هل رأيت الأفاعي التى تسعى إلى اللذة
وهى تعض بعضها البعض وسط التبن ؟
هكذا ذاكرتي
تتحرك خلال القتل والمنفى
وهذا الخنجر الذى يدفعنى إلى الشجرة ،
هو الانبهار الذى يستهوى العقرب الشاب ؛
أنا المطوق في دغل منبتي ، لا أدين بشيء لزوج أمى ،
ولا حتى بالاغتيال ، ولا حتى بمنة القربان
لأنه أبعد من أن يكون إبراهيم الخليل ، وأنا لست سوى قط
علقته بومة فوق أوهى غصن
لا أنتظر إلا أن أسقط منه لكى أعمى الطائر النهارى
في ورق الشجر الذى يظن أننى غاف فيه
[قرع طبلة . الجمهور الهائج يخلى المسرح . لا يبقى سوى الأخضر الذى لا يزال متعلقا]

صوت الكورس : (متشتتا من بعيد)
أيها المجاهدون من حزب الشعب !

لا تغادروا ملاجئكم !
ساعة المعركة لا تزال بعيدة .
أيها المجاهدون من حزب الشعب !
[مصطفى وحسن يدخلان المسرح وهما يتحادثان]

مصطفى : فلنرحل . فلننسحب إلى الجبال .

حسن : الفلاحون سيقدمون لنا المأوى .

مصطفى : هيا نعد تشكيل قواتنا .

حسن : سنغدو أكثر إصرارا وعنفا .

مصطفى : **(متوقفا عن الحركة)** . توقف ... أليس هذا هو الأخضر ؟
[يشير إلى الشجرة]

حسن : إنه هو ، دون أدنى شك ، مصاب مرة أخرى !

الأخضر : سلام عليكم ، سلام ! لا ترحلا دون كلمة واحدة ، كمن يتركون ميتا .
... على الأقل اتركا لي تبغا .

مصطفى : لا يمكنك أن تظل على هذا الوضع . **(يسير نحو الشجرة ، يتبعه حسن)** سنقوم بحملك .

الأخضر : **(بلهجة عنيفة)** ابقيا حيث أنتما ! **(صوته ينهار . يستأنف بصعوبة ، دون أن يخفض نبرته)** لم أعد أشعر بالخنجر . إنني أكاد أتوهم أنه مغروس في الشجرة . إنني كالدرع أرن فاقد الإحساس ، منذ أن أخذني الموت من كتفي ، في هدهدته التي لا ترجى . أبقيا حيث أنتما ! إذا أردتما إخراج الخنجر فلابد أن أدير لكما ظهري ،

ولابد من ترك هذه الشجرة ، في حين أنني أفنى لأحميها من الجليد .

مصطفى : أنت تقف على قدميك ، فى هذا الشنق الإرادى ، لكنك ترفض أن تتقدم خطوة إلى الأمام !

الأخضر : سل الشجرة . سلها إذا كان بوسعها أن تسير ، أو إذا كان يجب عليَّ أن أبدأ السير .

مصطفى : إذن سنقوم بحملك .

الأخضر : لا تُحمل سوى الجثث . اذهبا واتركا لى تبغا ! ...

[قرع الطبول]

[صوت الكورس من بعيد ! أيها المجاهدون من حزب الشعب ! ...]

[مصطفى وحسن ينصرفان عن الصديق المحتضر]

حسن : فلنتركه . عبثا يناضل مع جثته . كيف يستطيع أن يتبعنا ؟ أجل ، فلنتركه . إننا فى نظره لسنا أكثر إقناعا من الأشجار ، أنه يناضل مع جثته .

[حسن ومصطفى يتفرسان طويلا فى وجه الأخضر الكئيب ، الذى يقطع الصمت فجأة ، فى اللحظة التى يغادر فيها حسن ومصطفى المسرح فى بطء ، كما لو كانا يشيعان جنازة غير حقيقية]

الأخضر : وداعا ، أيها الرفاق ، ما أفظع الشباب الذى عشناه !

[هنا تدخل أم مصطفى ، باحثة عن ولدها الذى رحل إلى المنفى . تتلمس طريقها أمام الشجرة دون أن ترى

الأخضر . ترتدى القميص الأزرق الخاص بمستشفى الأمراض العقلية . شعرها الذى لا يكاد يخطه البياض منتصب فوق رأسها . نظرتها الزائغة لا تتوقف عند شيء . هيكلها المتكسر وحركات المها تخلو تماما من علامات الأنوثة . صوت الطيور المشئومة يتخلل هذيانها فى بعض الأحيان . تنطق كلمة " مصطفى " ! بصوت مختلف دائما ، وكأنها تستطيع من خلال هذا الاسم الذى تنطق به فى عبارة سحرية ، أن تمسك صورة ولدها المتبددة]

الأم : مصطفى ! مصطفى ! **(صياح الطيور)** مصطفى !

الأخضر : إنه لا يزال هنا . ينتظرنى فى هذا العالم ، وأنا أنتظره فى العالم الآخر . إننا نقضى حياتنا يودع كل منا صاحبه .

الأم : **(وهى لا تزال فى حالة تنويم مغناطيسى)** مصطفى ! مصطفى ! **(صياح الطيور)**

الأخضر : **(مرددا كالصدى)** مصطفى !

[صياح الطيور المشئومة ، ينتهى بتغريد الربيع . المجنونة تجمع حواسها مطأطأة الرأس ، ثم يرتفع صوتها ، خفيفا ممزقا ، فيردده كورس النائحات الذى يستخفى عن الأنظار]

الأم : **(وهى تجلس القرفصاء أمام شجرة البرتقال التى تسند الأخضر)**

فوق مقعد المستشفى الكبير

أنا المجنونة الهاربة
أرملة مؤجلة ، وأم في المحجر الصحي .
[صياح الطيور يصدره كورس النائمات ، الذي يكرر الفقرة السابقة ، ثم يستأنف الحوار بين الأخضر الذي يحتضر وأم مصطفى]

الأم : (وهي تتابع سيرها المتعثر حول الأخضر)
تركت اللبؤات يكبرن
دون أن أستطيع تمشيط شعورهن
الطيور نبأتني بذلك !
لابد أنهم ذبحوا الولد
وقصوا للبنات شعورهن
في ذكرى الأم المخبولة
والطيور وهي تقفز ، تسخر
تسخر مني ، تسخر
من الابن الذي ينتظرني فوق المقعد
فوق مقعد المستشفى الكبير .

الأخضر : إنه كان ينتظرني أيضا
في المكان الذي تهذي فيه أمه
دون مراعاة لمشنقتي الخضراء
ودون كلمة ، وكذلك هجرني
ليحتضن أشجارا أخرى
هكذا نجومنا تتتابع

نساء ورجالا ، أجسادا ومتاعا .
لا شيء يقاوم الرحيل
وأم شخص آخر أصبحت أمي
في هذا الهجران الثلاثي المنحوس !

[كورس الرجال المستخفي عن الأنظار يكرر من بعيد]

الـــكـــورس : الليل يهبط ، وعالمنا كله ينحني
على نافذة العدم !
فلنمسك عن قذف المجنونة بالحجر
هي التي نهضت لتغلق النافذة
ولذلك فإن عينيها تالفتان .

الأم : (وهي تسقط وتنهض في فرارها)
الليل هو سبب سقوطي
والطيور تسخر

[مكبر الصوت يصيح معلنا : " صدمة كهربائية ! صدمة كهربائية ! صدمة كهربائية ! بينما تضيء الشجرة بلمحة من صاعقة ، وفي الوقت نفسه يسمع صياح الطيور المشئومة]

تسخر مني ، تسخر ...

[بينما أم مصطفى تقفز إلى خارج المسرح ، الكورس كله يردد]

الـــكـــورس : هكذا نجومنا تتتابع
رجالا ونساء ، أجسادا ومتاعا .

لا شيء يقاوم الرحيل

[الريح تأخذ في الهبوب ، بينما الأخضر يتشبث بالشجرة ، في محاولة أخيرة]

الأخضر : دون مراعاة لمشنقتي الخضراء

فيض من الرجال ، وفيض من النساء قد مروا . موكب حزين فيه الموت هو الذي يسهر ويتابع الغائبين

[الضوء ينطفئ . الريح تهب أشد قوة . إنها ريح الموت . البائع وعربته يدخلان المسرح ، وقد سلط عليهما ضوء خافت . الأخضر والشجرة دخلا في الظلام]

الأخضر : كل العقوبات عقوبات قصوى

بالنسبة لمن يبلغ المركز ،

مركز القدر .

هنا هبت ريح تلخصني ، ولساني الذي فسد أخيرا مع النباتات المائية سيغذي الفضاء المترامي .

هنا يجب أن نتقيأ كل شيء

الآلام ، الهموم ، الأوهام ، والعلوم

وكمثل المحيط يجب عليَّ أن ألفظ كل شيء

دون أن أحتفظ بلؤلؤة ولا جثة

ولابد لي من أن أنتقل إلى الاعترافات

إذا أردت أن أرحل إلى الخواء

إلى الطرف الآخر من المصير

حيث لا يدخل قناع مأساة

ولا جمهور ولا عابر سبيل ،
إلى قلب الارتفاعات العفيفة الطاهرة
حيث القبلة تفيض فى نجمة
حيث عرف الطائر يبدأ فى عقبه
حيث العلم يكون بارقة مخلصة
والحب ليلة واحدة بلا ذكرى .

[ظلام . ضوء . دقات جونج متصلة . البائع نائم تحت الجدار . الأخضر مستند إلى الشجرة]

الأخضر : إيه أيها النائم !

البائع : **(دون أن يرفع رأسه)** استمر فى الكلام يا ولدى . أنا لا أعتقد كثيرا فى الأشباح . بوسعك أن تختفى وراء الأشجار . لقد تعديت سن الخوف .

الأخضر : **(من بين أسنانه)**

دائما فى لحظات الاعتراف يبدو المسرح خاليا . ليكن . أنا وحدى سأجمع إلى الزنزانة . من بين جميع الغائبين الذين لا يشفع لهم عندى شىء ، واحد فقط لا يزال يثقلنى إنه أبى الذى حملوا جثته فى ملاءة بينما كنت أنتظر منه خاتمة حكاية وحلم مختلطين .

ذات يوم كان قد غار فى الخمارات ، فى صحبة بعض السكيرين والقتلة . كانوا جميعا يبحثون عن أجنبية بارعة الجمال رفيعة الثقافة ، على درجة من الجمال والتحفظ حتى إن أصدقاء والدى تطاحنوا حتى الفجر

ليمهدوا لأنفسهم طريقا بين الجمهور ويلحقوا بها ، في الفندق الرائع الذي كان يستقبلها فيه عشيقها . كان الغيظ والحنق يأكلان والدي ، وهو يقتفي أثر المرأة التي كانوا يتبعونها باحترام في الأفراح ... في ذلك اليوم ، أصيب إصابة بالغة في وجهه من موسى ألقاه عليه رجل عجوز من إحدى النوافذ، بينما كان يترقب الغانية غير المهتمة ، وكان يلقي في لحى أصدقائه سيلا من الدماء الكثيفة المتقدة . وأنا أيضا ، لم أستطع أن أمنع نفسي من إطلاق الصراخ الفظيع ، ليس إلا لأخفف عن نفسي وطأة عار أبي وأهوائه التي لا نهاية لها لأنني كنت حديث الولادة ، وكنت أصرخ صباح مساء ، كأنني أشير إلى الرجل الخسيس الذي كان يأخذني بين ذراعيه لكي يعرضني أمام مثار غيظه وحقده ... تلك الأجنبية التي كانت لا تنفك عن الظهور في نافذتها في الساعات المتأخرة التي كنت أصرخ فيها من النعاس ، ليظهر أمامها عاطفة الأبوة ... وأخيرا ، نزلت بخطوة سريعة ، الأجنبية نفسها ، بوجهها العكر ، وحركاتها التي كان الجمهور يرقبها كما يرقب أحد الطقوس الدينية ، المرأة ذات العطر المجهول التي أحاطتني بذراعيها ، بينما أنا أستحلب أثقل أثدائها وأجملها **(كان يبدو لي أن لها أثداء كثيرة ، ما دامت أمي المسكينة لم يكن لها سوى اثنين)** .

وبينما أبى المتسمر أمام الأجنبية التى كانت تهدهدنى وهى تبتسم ، وأناس آخرون كانوا يتوقفون عند هذه اللوحة الغريبة ، كان أبى يغيب فى صمت يملؤنى تأنيبا وغيرة ، أنا ابن السنوات الست الذى مسته العاطفة الأبوية إلى هذا الحد الخطير ، أنا الذى كان أعنف غريم لوالده بينما لم تكن أسنانى قد اكتملت ، أنا الذى لم يسلم أبدا بأن الأجنبية قد اختفت وأن أبى قد حمل فى غطائه ، فى الوقت الذى كنت ألعب فيه مع نجمة فى الشارع ، نجمة ابنة الأجنبية التى كان أبى قد اختطفها .

[على أثر هذه الكلمة ينهار الأخضر أمام شجرة البرتقال التى أصابتها الصاعقة .الأضواء تنار من جديد ." على " ، الذى تلاحقه نجمة ، يتسلق شجرة البرتقال . دقات متصلة من الجونج . جثة الأخضر تختفى شيئا فشيئا تحت سحابة من الأوراق الميتة . " على " جالس مباعدا بين ساقيه فوق قمة شجرة البرتقال . يقوم بقص غصن ذى شعب ليصنع منه نبلة]

نجـــمـــة : انزل من عندك ! انزل !
هيا ، انزل . وأعطنى هذا الخنجر

عـــلـــى : إنه خنجر أبى ... إنه خنجرى .

نجـــمـــة : وجيوبك المحشوة بالبرتقال المر ! ألق بهذا . ألم أقل لك مائة مرة إن هذا البرتقال مسمم ؟ هيا ، انزل .

[على لا ينزل . يخرج برتقالا من جيوبه ، يضعه فى نبلته ، ويصوب جهة الجمهور ، وابل من البرتقال في صالة المسرح . الستار يسدل مخرما من أثر ضربات النبلة ، بينما صوت الكورس يدمدم من بعيد : " أيها المجاهدون من حزب الشعب . لا تغادروا مخابئكم " ظلام . ضوء دقات جونج متصلة] .

* * *

جيزابيل

مسرحية من ثلاثة فصول

جان أنوى

جان أنوى

ولد أنوى عام ١٩١٠ ، قبل يونسكو بعامين وبعد بيكيت بأربعة أعوام ، ومع ذلك فهو لم يستجب لموجة العبث التى طغت على المسرح فى الخمسينيات ، مع أنه شجعها وكان من القلة القليلة الذين شاهدوا " فى انتظار جودو " حتى النهاية .

أما تأثير الصدمة الذى ترك البصمات الواضحة فى انتاج أنوى ، فكان حينما شاهد مسرحية " سيجفريد " لجان جيرودو . وفى ذلك يقول : " منذ تلك الليلة دخلت فى ليل طويل لم أخرج منه حتى الآن ، وقد لا أخرج أبدا " .

يعدُّ أنوى من أغزر كتاب المسرح ، إن لم يكن أغزرهم جميعا . فقد ظل أكثر من خمسين عاما يطلع بمسرحية جديدة على جمهوره الذى اعتاد أن يشاهد له مسرحية جديدة كل عام . باستثناء الفترة من عام ١٩٦٢ حتى ١٩٦٨ التى لزم فيها الصمت .

بعد خمسين عاما فى المسرح ، وأكثر من أربعين مسرحية ، راق للكاتب أن يصنِّف أعماله إلى مسرحيات وردية ، وأخرى سوداء ، وثالثة متألقة ، ورابعة صريرية . ولكن الواقع هو أن الاختلافات ليست جوهرية ، بل ليست واضحة تماما . فالمرارة التى يهزأ بها أنوى نفسه تقبع خلف

الضحكات . كذلك فإن المسرحيات الوردية لا تخلو من الكآبة التي تبعث على القلق . حقيقة القول هو أن ما يمكن أن يكون قاسما مشتركا في أعمال أنوى هو " الصريرية " التي تطغى على مسرحياته .

وإذا كان لنا أن نتحدث عن تطور فكرى عند أنوى ، فنحن على الأقل نلاحظ طابع اليأس في كل أعماله . فهو يرفض الوضع الإنسانى الراهن ، وقد تأكدت هذه النظرة العدمية في مسرحياته الأخيرة . فكل شيء باطل . وهو يضحك من ذلك ويرى أنه لا ينبغي أن نأخذ شيئا مأخذ الجد . الضحك وحده هو الذى يعيننا على تحمل هذه الحياة الدنيا . ولعل هذا هو الدرس الوحيد الذى أخذه أنوى من العبثيين .

من أشهر أعمال أنوى : مسافر بلا متاع (١٩٣٧) ، المتوحشة (١٩٣٨) ، أنتيجون (١٩٤٤) ، جيزابيل (١٩٤٦) ، الدعوة للقصر (١٩٤٧) ، بيكت أو شرف الله (١٩٥٩) ، السمك الأحمر (١٩٧٠) .

الشخوص

مارك

جاكلين

الأب

الأم

جورجيت

الأخ

الأخت

ابنة العم

الصغيرة

الفصل الأول

حجرة شاب فقير

جورجيت : **(وهى تدخل جاكلين)** – نعم ، موجود . تفضلى . سأتى بسيدى " مارك "

جاكلين : يا أنسة !

(جورجيت تلتفت)

أنت تحبين سيدك مارك طبعا ؟

(جورجيت تنظر إليها بارتياب ، وتخرج دون أن ترد عليها)

(مارك يدخل وينظر إليها دون أن يتحرك)

شعرت ببعض الخوف . أجل . فجئت .

جاكلين : **(لا يجيب ، يبدو معتل المزاج . تقترب هى من النافذة)**

جميل هذا الميدان الصغير . لم أمر به أبدا .

مارك : إنه بعيد عن شاطئ البحر .

جاكلين : لماذا هجرت الشلة ؟

(يرفع كتفيه)

إننا نأسف لفراقك .

مـــــــارك : هذا ممكن .

جـــاكلين : أنا آسف لفراقك .

مـــــارك : صحيح ؟

جـــاكلين : ماذا بك ؟ أنت رئيس شلتنا الصغيرة . وأفضل من يلعب التنس فينا . وأسرعنا فى الجرى ، وأحسننا فى السباحة . وأنت خير من يعامل الفتيات الثلاث اللاتى فى الشلة . وإذا بك ذات يوم تختفى . ومع ذلك نعرف أنك لم تغادر المدينة . ونبحث عنك ، فتخفى نفسك عنا . وأخيرا تتوقف سيارتى بسبب نفاد البنزين بالقرب من هذا الميدان الصغير . فتتاح لى فرصة العثور على منزلكم ، وهكذا تستقبلنى ، أنا صديقتك القديمة ! تصور أننا تلاقينا في بداية يونيو عندما لم يكن هنا أحد على الإطلاق . هذه أمور لها أهميتها يا مارك .

(ينظر إليها)

كلا ، ليس هذا صحيحا . لم تتوقف سيارتى بسبب نفاد البنزين ؛

وإنما جئت سائرة على قدمى .

مـــــارك : من أعطاكِ عنوانى ؟

جـــاكلين : والدك .

مـــــارك : والدى ؟ هل تحدثت إليه ؟

جـــاكلين : أجل .

مـــــــارك : **(بمجهود)** – لابد وأنه أضحكك ؟

جـــاكلـين : لماذا ؟

مـــــــارك : إنه يحب أن يُضحك الناس .

جـــاكلـين : أعتقد أنه قال لي نكتة . ولكن لا يجب الاستمرار في مثل هذا السخف .

على أية حال أنا لم أفهمه جيدا .

مـــــــارك : لماذا أتيتِ ؟

جـــاكلـين : لكي أسألك لماذا لم تعد تأتي .

مـــــــارك : **(يصيح فجأة)** – لم أعد أريد أن آتي !

(تنظر إليه . أهدابها ترمش . يمسك يدها فجأة)

أسف . أحبك يا جاكلين .

جـــاكلـين : وبعد ؟

مـــــــارك : لا تطلبي مني شيئا . دعيني .

جـــاكلـين : هل ستأتي ؟

مـــــــارك : سأحاول .

جـــاكلـين : هل تعتقد يا مارك ,أنني سأفهمك ؟

مـــــــارك : أعتقد ذلك .

جـــاكلـين : لماذا لا تقول لي شيئا ؟

مـــــــارك : لا أستطيع أن أقول لك شيئا .

جـــاكلـين : أنت غريب ...

مـــــــارك : أوه ، كلا ! بخاصة لست غريبا ...

(صمت)

أنا بائس ، هذا كل ما في الأمر .

(صمت آخر)

جـــــاكلـين : أنا أيضا كنت بائسة للغاية ، في خلال هذه الأيام الثمانية ، ولكنني أخبرت الجميع بذلك ! اطمئن ، لم أقل إنني أحبك ، ثم لا أهمية لذلك كثيرا ، فأنا أعتقد تماما أن جميع من في الشاطئ قد أدركوا ذلك الآن . ولكنني كنت أجد لذة في العمل على فشل فرق التنس ونزهات البواخر . كنت أتمنى أن تمطر السماء . وكنت أضمد كعبي حتى لا أجري ولا أرقص معهم .

مـــــــارك : يالها من همة عظيمة !

جـــــاكلـين : وأنت تعلم جيدا أنني أضيق بهذا كله . وأن قدرا ضئيلا منه كان يكفيني .

(ينظر كلاهما إلى الآخر مرة أخرى)

أحبك يا مارك !

مـــــــارك : وأنا أيضا ، يا جاكلين .

جـــــاكلـين : إذن ، فلماذا ترحل ؟ لماذا تتركني هكذا هادئة ، ساكنة ، حينما عثرت عليك ؟ لماذا لا أكون بين ذراعيك الآن .

مـــــــارك : **(يأخذها)** ها أنت بين ذراعي .

جـــــاكلـين : وما هذا الوجه الصارم !

(تلمس جبينه بإصبعها)

لن أجتاز هذا الباب أبدا

(يقبلها فجأة)

أريد أن أكون لك .

(ينظر إليها مبتسما برقة وطفولة حقيقيتين ترتسمان على وجهه الذى كان منذ برهة جامدا مغلقا)

أريـد

(تقول هذا كطفلة صغيرة ، وهى تضرب الأرض بقدميها بطريقة غير ملموسة)

مـــــــارك : (**يبتسم**) الفتاة صاحبة العربات الهائلة ، والكلاب الضخمة ، والتي اعتادت أن يطيعها الناس جميعا بمجرد إشارة من هذه القدم الصغيرة .

جـــاكلين : (**تخلص نفسها**) – إننى فى نظرك دمية أو طفلة بلهاء .

مـــــــارك : كلا ، إنك فى نظرى أنقى الناس طهرا . وأعظمهم شجاعة ، وأكثرهم استقامة .

جـــاكلين : ومع ذلك ، فسأظل دائما أصطدم بهذا الوجه الذى يغلق على ولا أفهمه .

لقد قلت لى ذات يوم إننى سأصبح زوجتك ...

مـــــــارك : فيما بعد ، حينما يصبح ذلك ممكنا .

جـــاكلين : ولكنه ممكن ! إن أبى هو خير أصدقائى . ولقد أخبرته بكل شىء . وهو يعلم أننى لا أنخدع . وهو ينتظر أن تذهب لزيارته .

مـــــــارك : لن أذهب .

جـــاكلين : أرجو ألا يكون ذلك بسبب فقرك ؟

مـــــــارك : كلا . إننى أشعر فى داخلى بقوة هائلة . وفى اليوم الذى أصبح فيه حرا ، وأستطيع فيه أن أقرب العالم ، سوف أقهره .

جـــاكلين : ماذا تعنى بالحرية ؟

مـــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك بذلك .

جـــاكلين : سأنتظر حتى تستطيع .

(تنهض)

مـــــــارك : **(يحتجزها بيده)** - أوه ، لا تتركينى ! ... ليتك تدركين أين أنا ومن أكون ، ومبلغ حاجتى .

جـــاكلين : هل بوسعى أن أواسيك فى آلام لا أستطيع أن أعرفها ؟

مـــــــارك : أجل ، بعينيك ، بصوتك الرزين ، بجرأتك الهادئة .

جـــاكلين : لماذا تهجرنى ثمانية أيام ، ،وحينما تجدنى تتركنى بعيدة عنك كالغريبة ؟
وإذا لم يكن باستطاعتنا أن نتزوج الآن ، فلماذا لا نحاول أن نعيش معا .
(مارك لا يجيب)
إننى إنسانة من لحم ودم . وأخشى . أن يكون حبك لى ليس كما أريده أن يكون .

مـــــــارك : إن حبى لك ليس كذلك ، ولكنه كذلك أيضا .

جـــاكلين : وبعد ؟ إنهم على الشاطئ لا يتحدثون إلا عن مغامراتك لقد عرفت فتاتين من المجموعة أقل منى جمالا ولم تكن تحبهما .
ثم إننى تجاوزت مرحلة الطفولة ... ولقد أخبرتك بذلك .

مـــــــارك : **(يضمها إلى صدره ، ينظر إليها فى صمت . وفجأة يتكلم ، برزانة)** ستصبحين زوجتى يا جاكلين ، وقد تكون هذه بلاهة منى ، إننى أريد أن تصبحى زوجتى حقا لا عشيقتى كالأخريات . أريدك ببيت . ووالدك متعلقا بذراعك ، أريدك بباقات أزهار العرس .

جــــاكلين : **(تبتسم)** باقات أزهار العرس ! ...

مـــــــارك : لا يجب أن تقولى هذا بهذه التكشيرة . ما أجملها من مفاجأة أن أخذك وأنت في الثوب الأبيض ، بعد طول الانتظار ، والخطبة ، وسط البسمات ووسط الموافقة العامة . إن كل هؤلاء القوم الذين أشعر نحوهم بشىء من الخوف ، ربما قاموا على تربيتك ، والعناية بك بهذا القدر العظيم من الحب والمبادئ ، لكى أستطيع أن آخذك فى تلك اللحظة . وربما قدمونى إلى عمتك العجوز ...

جــــاكلين : أنت غريب يا مارك ...

مـــــــارك : أوه ، لا تقولى لى إن جميع صديقاتك يتزوجن بهذه الطريقة من رجال لا يحببنهم .

هبى لى هذا المنظر الجميل الأخاذ ! كان ينبغى أن يكون لدى أمى ثوب من الدانتلا السوداء . إن ثيابها كما تعرفين رديئة للغاية ، لأنها لا تملك مالا كثيرا ، كما أنها غريبة الأطوار . ولكنها عندما تضطر إلى ارتداء الأسود ، فإنها تبدو رائعة .

جــــاكلين : إنك لا تحدثنى عنها أبدا .

مــــــــارك : وكان ينبغي أن نشترى قبعة عالية لوالدى للرسميات .
ما أغرب ما كان سيبدو والدى في القبعة العالية .

جـــــاكلين : مارك أيها العجوز ! يسرنى أن أراك طفلا .

مــــــــارك : وكان ينبغي ...
(يتوقف)
كان ينبغي : ماض معلّق . لم أعد واثقا يا جاكلين أننى أستطيع .

جـــــاكلين : إذن ، ماذا وراءك يهددنا ؟ إننى بدأت أخاف الآن .

مــــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك به .

جـــــاكلين : هل أنت واثق أنك لا تبالغ في تصور الأمور ؟ هل أنت واثق أنك لا تخدع نفسك ؟

مــــــــارك : ربما كنت مخطئا . سأعرف ذلك اليوم . إذا كنت مخدوعا ، فسأجتهد لكي أكون جديرا بك ، وسأحقق ذلك ، أقسم لك . وإذا لم أكن مخدوعا فلا ينبغي أن تسعى إلى لقائى لمدة طويلة . ولن أنساك .

جـــــاكلين : ولكن لا يحق لك أن تشقينى بهذه الطريقة . ففيمن خدعت ؟ وفيم خدعت ؟

مــــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك بذلك .

جـــــاكلين : **(ضجرة)** إننى إنسانة بسيطة . وأخشى أن تكون مبالغا في حب الأسرار من أجلى .

مــــــــارك : أو . كلا ! إننى أود أن أصبح شخصا بلا أسرار ، شخصا يبسط يده مستقيمة تماما ويقول : هذا والدى ،

ذلك السيد الذى كان زميلا لوالدك فى المدرسة . وهذه أمى ، هذه السيدة التى تمر . إننى لا أملك من دواعى البهجة والسرور إلا ما فى وجهى . وأنا واثق أنى قادر على إسعادك .

جـــــاكلين : لست فى حاجة إلى أن تخبرنى بهذا كله .

مـــــــارك : أما أنا ففى حاجة إلى أن أستطيع إخبارك به .

جـــــاكلين : لماذا لم تأخذنى كالأخريات ، ولو لتتركنى بعد ذلك ؟

مـــــــارك : إننى لا أريد أن أمارس معك الحب وحده . يبدو على أننى أجذف .

فالحب لا يكفى ، أريد أن أمارس معك المودة ، والثقة والحياة . أريد أن أراك كل يوم تتقدمين فى السن بالقرب منى . مستقيمة ، فخورة . مستقيمة تماما بشعر جميل أبيض .

جـــــاكلين : (**تبتسم**) تتعجل الأمور كثيرا يا مارك .

مـــــــارك : (**غارقا فى حلم**) شعر أبيض . سأقول : هذه زوجتى . وسيحبك الناس جميعا ويحترمونك . ستعرفين كل شىء عن الحياة ومع ذلك . فلأنك بسيطة وطاهرة ، ستحتفظين بابتسامتك الصبيانية . كوالدتك فى تلك الصورة التى أريتنى إياها . أما أنا فسأكون مستقيما ، شريفا قويا بالقرب منك ، كوالدك . وسأكون كذلك متيما بك كما كان هو متيما بوالدتك . وستكون لنا طفلة ، وقد تغار من حبنا كما كنت تغارين من حبهما .

(يقول هذا كله وكأنه يقص حكاية جميلة وهو يضطرب شيئا ما . صمت)

جـــــاكلين : كم تحب ذكرياتي ، يا مارك !

مــــــــارك : ليس لي ذكريات مثلها ، وعلى ذلك فأنا أستخدم ذكرياتك مضطرا .

صـــــــوت : بالله ياسيدتي ، سأتناول مشهيات ، حينما يطيب لي ذلك .

(الأب يدخل ، تتبعه جورجيت) .

الأب : صباح الخير يا أنستي الجميلة .

جـــــاكلين : صباح الخير يا سيدى .

(مارك يحتار لحظة ، ثم يتقدم)

مــــــــارك : جاكلين تأخرت يا أبي ، يجب أن تنصرف . تعالى .

(يخرجان)

الأب : **(يجلس قانطا)** - يهربان منى .

(جورجيت تمر بالقرب منه ، تحفه بجونلتها عمدا).

أيتها القذرة الصغيرة . أنت التي قلت لسيدتك إننى كنت أشم المشهيات ؟

جـورجـيت : كلا . يا سيدى .

الأب : كيف تريدين أن تشمها هي ؟ إنها لا تملك حاسة الشم على الإطلاق . إنها امرأة لم تستطع في حياتها أن تشترى شمامة . ومهما راحت تشم الشمام كما تشم الشبان ، فإنها دائما تأخذ منه غير الناضج .

(يناولها سلة)

أمسكى ، هاك حصادى من نبات الفطر ، فاسلقيه .

جــورجــيت : أمرك ، يا سيدى .

الأب : هل تحبين نبات الفطر ؟

جــورجــيت : الحقيقة أننى لم أذقه فى حياتى ! إنه سام .

الأب : ليس حينما أقطفه أنا ! جورجيت ، أنك لا تثقين فىَّ . اقتربى !

جــورجــيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : أنت تعرفين تماما أننى لا أملك مالا .

جــورجــيت : تقول هذا دائما .

الأب : لأننى لا أملك منه شيئا .

جــورجــيت : يعنى ! ...

الأب : جورجيت ...

جــورجــيت : سيدى ؟

الأب : اقتربى ، يا جميلتى .

جــورجــيت : كلا .

الأب : سأقوم .

جــورجــيت : أوه ، لن تنالنى بهذه الطريقة !

الأب : أنا سيدك ، يجب أن تطيعينى .

جــورجــيت ليس فى هذا الأمر .

الأب : لن أمسكِ .

جــورجــيت : تقول ذلك .

الأب : هل لك عاشق ؟

جـورجـيت : كلا .

الأب : تكذبين . فـقـد رأيتك . وسـأخـبـر سـيـدتك ، فـتطردك ويضربك أبوك .

جـورجـيت : أنت الذى تكذب ! كيف تريد أن يكون لى عـاشق ؟ فـأنا لا أخرج مطلقا ، وسيدتى تعلم ذلك جيدا .

الأب : إن فتاة صغيرة جميلة مثلك لا يمكن أن تظل بلا عاشق .

جـورجـيت : نعم ! ...

الأب : لمجرد المتعة .

جـورجـيت : ليس لنا متع ، نحن .

الأب : لأنهـم لـم يعـرفـوا أيتهـا البلهـاء الصـغـيرة . اسمعى يا جوريت ، سأشرح لك ، اقتربى .

جـورجـيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : أنك لا تفكرين إلا فى ذلك ! أنت ناكرة للجميل . تذكرى أننى قلت لسـيـدتك بالأمس إننى أنا الذى كسـرت إناء الزهر الأزرق ، حتى لا تجعلك تدفعين ثمنه .

جـورجـيت : لقد كسرتُه لأنك كنت تطاردنى !

الأب : اقتربى يا جورجيت ...

جـورجـيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : سأشترى لك شيئا .

جـورجـيت : مـاذا ؟

الأب : السروال الناعم الحرير الذى ترغبين فيه .

جـورجـيت : لقد اشتراه لى سيدى مارك .

الأب : ماذا تقولين ؟

جـورجـيت : أقول إن سيدى مارك اشتراه لي .

الأب : تكذبين .

جـورجـيت : تستطيع أن تسأله .

الأب : ما دخله هو ؟ إنه عاشق والبلدة كلها تعلم ذلك !

جـورجـيت : للطويلة النحيفة ؟ كنت سأعجب لذلك . أنه لا يحب إلا الصغيرات السمينات أمثالى . إنه فى يدى .

الأب : يا لك من ساذجة . هل أخبرك بذلك ؟

جـورجـيت : كلا ، ولكننى رأيته .

الأب : ليس هناك أطفال ! ماذا يفعل معك سيدك مارك ؟ هيه ، قولى .
يمكنك أن تقصى على فلن أخبر أحدا .

جـورجـيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : (**وقد نجح فى مسكها**) لن أعطيك شيئا ، أيتها القذرة الصغيرة ! إنك فى يدى الآن ! لن تستطيعى الإفلات !
ماذا يفعل معك سيدك مارك ؟ هه ؟

جـورجـيت : دعنى وإلا صرخت ...

مـــارك : (**يدخل ، يمسك والده من رباط عنقه ، وينتزعه من كرسيه**)
بابا ، ألا تترك هذه الصغيرة ؟

الأب : (**وهو يتراجع ممسوكا من رباط عنقه**) مارك !

مـــارك : أما هذه ، فإننى أنذرك بألا تمسها .

الأب : أنا والدك !

مـــارك : أعرف ذلك .

(يقوده حتى الباب)

انصرف

الأب : هكذا تضاجع الخادمة الآن ؟ ألا تخجل .

مـــارك : لا

الأب : ولا تكتفي بمضاجعتها ، بل وتنفق مصروفك في شراء السراويل لها بينما نحن في حالة مينوس منها ، ولا تخجل ؟

مـــارك : لا . انصرف .

الأب : إنني ألعنك .

(يخرج . جورجيت تحاول الهروب)

مـــارك : **(يحتجزها)** جورجيت ، ألم ترى صديقتك بعد ؟

جـورجـيت : نعم لم أره ، يا سيدى مارك .

مـــارك : هل أنت واثقة على الأقل أنها تبعتهما ؟

جـورجـيت : أجل ، فليس عليها أن تفعل غير ذلك .

مـــارك : ماذا قلت لأبى الآن ؟

جـورجـيت : لا شيء

مـــارك : ألا تتكلمين ؟ هل قلت له إننى قدمت إليك هدية ؟

(لا تجيب)

وأنني عشيقك ؟ ما هذه الحكاية ؟

جـورجـيت : إنك تسيء إلي .

مـــــارك : لماذا قلت له ذلك ؟

جـورجـيت : **(بعد صمت)** أنا أعرف تماما كيف تنظر إلى .

مـــــارك : أنت مجنونة .

جـورجـيت : كلا

مـــــارك : أنت طفلة

جـورجـيت : أنا فى الخامسة عشرة . وها قد مضى عامان منذ اشتغلت . وقبل ذلك كان والدى ، إذن ...

مـــــارك : **(ينظر إليها لحظة)** لا تدعي والدى يمسُّك . خذى . اشترى لنفسك ما تريدين .

(تخبئ النقود)

جـورجـيت : مادمت تهتم بذلك ، فاطمئن أنه لن يمس منى إلا ما لا أستطيع منعه عنه ، وفى الجزء العلوى فقط .

(تنصرف لكى تخرج ببطء . تلتفت)

ها أنت ذا تنظر إلىَّ كالمرات الأخرى .

مـــــارك : تعالى !

(تقترب جورجيت فى هدوء)

هل أنت واثقة أن صديقتك ستقوم بالمهمة .

(بضيق فجأة)

جـورجـيت : أجل .

(صمت)

وبعد ؟

مـــــارك : انصرفى .

جــورجــيت : أنت غريب الأطوار .

(تقول ذلك بجفاء واحتقار، ثم تخرج . يمرر مارك يده فوق جبينه ويهم بالجلوس) .

الأب : **(يدخل ، طبيعيا للغاية)** وبعد يا بني ، هل فكرت في كشف الحساب ؟

مـــــارك : أى كشف ؟

الأب : كشف الغاز .

مـــــارك : ولكن ... أين مرتبك ؟

الأب : لم يبق منه شيء .

مـــــارك : إننا في العاشر من الشهر .

الأب : لقد أعطيت كل شيء لأمك . فاشترت لنفسها قبعات .

مـــــارك : لقد أخبرتني أنك لم تعطها إلا ألف فرنك . فأين الباقى ؟

الأب : أنها تكذب . ومع ذلك فهل تريد أن أقوم بعمل الحساب لك ؟

مـــــارك : أوه ، كلا ، فإنك دائما تكون على حق حينما تقوم بعمل الحساب .

الأب : كلا . كلا . إننى أتمسك بذلك . فى كلمتين . اسمح لى بكلمتين أيها الكونت [١] .

(يضحك)

مارك – عظيم .

الأب : هل تحتقرني ؟

(١) عبارة مشهورة قالها رودريج للكونت في مسرحية " السيد " .

مـــــــارك : أجل .

الأب : تحتقرنى لأننى أغازل الخادمة بينما أنت عشيقها . شىء مضحك !

مـــــــارك : أنا لست عاشقها ، لقد كذبت عليك .

الأب : الجميع يكذبون علىَّ هنا . وذلك لكى يبتزوا نقودى دائما !

مـــــــارك : ماذا تخشى ما دمت لا تملك منها شيئا !

الأب : هذا صحيح ، ولكنهم يحاولون . إذن فأنت لست عاشقها ؟

مـــــــارك : كلا .

الأب : حسن .

مـــــــارك : ولكننى أمنعك أن تصبح أنت عاشقها .

الأب : لماذا يا بنى ؟

مـــــــارك : إنك تثير اشمئزازى . أحب ألا أتحدث معك فى هذا الموضوع .

الأب : أنت ترغب فيها ، هيه أيها الماجن ؟ أما أنا فلست على هذا القدر من الخبث . إنها صغيرة لا تفكر إلا فى النقود . **(يضحك)**

مـــــــارك : **(يضرب رأسه بقبضته)** جاكلين ! جاكلين !

الأب : **(بصفاء)** هل تنادى الخطيبة ؟

مـــــــارك : أنا ابنه . أنا ابنهما . هل أستطيع يوما أن أنتزع نفسى منكما ؟

الأب : لقد قضى الأمر . إنك تجحد مولدك . إنك لا تتعلق بنا إلا من حبل سرتك.

(يضحك)

مـــــــــارك : هل كنت تقول لجاكلين نكاتا من هذا النوع ؟

الأب : إنها رائعة . تصور لقد قلت لها نكتة .

(يتكور في كرسيه كما لو كان يشعر بالبرد)

الأب : إذا قلبتها غمًا فهذا الأمر يختلف ، ماذا تريد يا بني ، بالضبط . إنني ألهو مع هؤلاء الخادمات الصغيرات . أنت الآن كبير ويمكن أن أتحدث إليك . أنت تعلم أن أمك لا ترغب فيٍّ منذ عام ١٩١٢ . أنا عجوز دميم ولكنني أيضا رجل . وبقليل من المال وبقليل من الفراغ يصعب على المرء أن يجد عشيقة ... هناك البيوت السرية ، طبعا ، ولكنها مجازفة مع ما تتركه أمك ... أما هؤلاء الصغيرات هنا فعلى العكس ، نظافة وأمان ، وهذا دائما لا يتطلب الكثير . وأخيرا لا يجب أن نعمل من الأمور البسيطة فواجع . إنهن فتيات متعودات على ذلك ... ولست أول عاشق لهن ، يا للشيطان ! ماذا تريد أن أقول لك يا بني ؟ إنني لا أرتكب جرما عظيما . وعلى كل فقد كنت دائما أحترم الأخلاق والمظاهر . وهذا بخلاف أمك .

مـــــــــارك : **(وهو لا يتحرك)** ماذا تقول ؟

الأب : أقول إن هذا بخلاف أمك .

مـــــــــارك : لم أكن أنصت إليك .

الأب : فيم كنت تفكر ؟

مـــــــــارك : فيك .

الأب : **(ضيقا)** أوه ! يابنى ...

مـــــارك : أيتها الخرقة القديمة ...

الأب : **(بحركة)** أبوك ! ...

مـــــارك : أبي المسكين العجوز !

الأب : أجل .

مـــــارك : لا تستطيع أن تقف على ساقيك ، وتتمسح بالخادمات ، وترى أموالك تتسرب ...

الأب : لم أطلب منك أن تقول ذلك !

مـــــارك : ومع ذلك فقد وضعت منه فى ركنك الصغير ما استطعت أن تحفظه .

الأب : كذب !

مـــــارك : وأنت تتقدم فى السن . ولن يلبث أن ينتهى ذلك . ولا تملك شيئا . ولم تملك شيئا على الإطلاق .

الأب : بقى لى شرفى .

مـــــارك : أجل ، والمظاهر .

الأب : أجل .

مـــــارك : هل كنت شقيا معها ؟

الأب : أجل .

مـــــارك : وهى أيضا كانت شقية .

الأب : إنها ...

(ينظر إليه ، يكمل)

إنها أمك .

مـــــــارك : أجل . كم من الوقت يلزمك لكي يكون لديك ما يكفي لشراء عشة وقارب على شاطئ البحر !

الأب : أنت مجنون ؟

مـــــــارك : قل ...

الأب : أنا لا أملك مليما ... إنني مدين بخمسة وعشرين فرنكا لزميلي " بيزار "

مـــــــارك : **(وهو يدفعه دفعات خفيفة)** أيها الماجن ! ... بوسعك أن تذهب ، فتشتري بضع سنوات من الهدوء ... وسأزورك .

الأب : آه ، لو كنت تقول الصدق !

مـــــــارك : أنا أيضا قد أفعل ذلك . ولكن فرصتي في ذلك أقل كثيرا من فرصتك .

ومع كل ، ما قولك لو أنني ، ذات يوم ، اشتريت لك قبعة عالية وسترة لكي تحضر حفل زواجي .

الأب : تتزوج ؟ بالصغيرة ؟

(يأتي بإشارة تدل على أن هناك مالا .)

سيكون ذلك رائعا ! أتعشم ألا تنسى والدك العجوز ؟

مـــــــارك : كلا ، ولكن يجب أن تبدو في مظهر محترم ذلك اليوم ، هيه ؟

الأب : اطمئن .

مـــــــارك : ولا تقل نكاتًا ؟

الأب : لدي منها مجموعة مختارة . إنني نكتي ولكنني أعرف عالمي . بخلاف أمك ، فكل يوم يمضي تصبح أكثر شيوعا من اليوم السابق . إنها تعاشر قوما يخيفون . هل رأيت السيد مارسيل هذا ؟

مـــــــارك : أجل . هل تعرف من يكون ؟

الأب : كلا . إنه يشبه الخدم .

مـــــــارك : ألا تذكر أنك رأيته وسط الناس في الملهى ؟

الأب : كلا . اثنان وعشرون !

(الأم تدخل)

مـــــــارك : صباح الخير يا أمي .

الأم : إنني أشعر بإعياء شديد . لم أنته بعد من أعمال البيت . جورجيت لا تفعل شيئا . أنا دائما من تشقى هنا . هل وضعت " الأنيزيت " في حجرتك .

مـــــــارك : أمي : لن تشربي الآن . فإننا سنتناول الطعام .

الأم : لن تمنعني من الشرب وأنا ظمآنة الآن ! فأبوك يفرط في تناول المشهيات وأنت لا تقول له شيئا . أما أنا فدائما على خطأ .

(تخرج) .

الأب : وهي تشرب أكثر فأكثر حينما ترى أنك لا تراقبها .

مـــــــارك : وأنت تتركها تفعل ذلك ؟

الأب : مادامت لا تقول لي شيئا فأنا لا أهاجمها .

مـــــــارك : كيف استطاعت أن تشتري هذا المئزر الأصفر ؟

الأب : أنها تحب الألوان الصارخة .

مـــــــارك : إنها تزداد سمنة . فهي لم تعد تعتني بنفسها .

الأب : كلا .

(مارك يجلس ورأسه بين يديه)

كيف تريد أن نتصرف معها يا بنى ؟

مـــــــارك : أخشي أن أتحدث إليها . إن كل كلمة نتبادلها تقلص وجهينا . أود أن أهدئها، أن أقول لها إننى أحبها ، وأن هذا من أجلها . لابد وأننى أخرق .

الأب : يجب أن تتركها لحالها .

مـــــــارك : كلا .

الأب : ستضيع وقتك .

مـــــــارك : أريد أن أنجو بنفسى . أريد أن أعيش ، هل تفهم ؟ لا أستطيع أن أفعل شيئا وأنا معكما أنتما الاثنان ، وأنا بينكما أنتما الاثنان .

الأب : هوِّن عليك ، يا بنى ، أنا لست بائسا . فأنت حر، وتحصل على مصروف جيب كاف . بخلافى أنا ، أنت شاب .

مـــــــارك : أجل .

الأب : ألست شابا ؟

(ينظر من النافذة)

ياللمصيبة ، إنه الغاز !

(يصيح)

جورجيت ، لا تفتحى !

(يطـــرق البـــاب . صـــمـــت . يطـــرق البـــاب مـــرة أخرى . لحظة)

لقد وضع إنذارا فى صندوق الخطابات . لدينا ما يكفينا خمسة أيام .

مـــــــارك : عندما يتحتم علينا أن نفكر في هذا السيل من كشوف حساب الغاز . وأن نجفف هذا الفيض من الدموع الزائفة ، وأن نكذب على هذا وذاك ، وأن نكون عاقلين مهما حدث ، مادام أحد ليس عاقلا ...

الأب : أنت تبالغ .

مـــــــارك : بكل تأكيد .

الأب : في مثل سنك كنت سعيدا . وهل تدرى كيف كان أبى وأمى ؟ كنت معهما بين ذراعى كلاَّبة .

مـــــــارك : كان لك حظ ، كان الأمر أكثر تصريحا .

(صمت)

الأب : وفضلا عن ذلك فإذا تم هذا الزواج فستنسانا سريعا وكذلك ستنسى كشف حساب الغاز . أعتقد أن حماك سيدبر لك وظيفة ؟

مـــــــارك : لقد أخبر جاكلين أنه سيأخذنى فى مصانعه .

الأب : هذا رائع . أنا فخور بك . إننى أنتظر بفارغ الصبر أن أكتب إلى العائلة لأخبرها بذلك .

مـــــــارك : لا تتعجل أكثر من اللازم .

الأب : أما بخصوص السترة ، فبمجرد أن تحصل على قليل من النقود أعطنى إشارة فإن زميلى " بيزار " لديه فرصة رائعة وسأتحدث معه مساء اليوم فى هذا الشأن .

مـــــــارك : ما أسرعك . لا تتحدث فى هذا إلى زميلك " بيزار "

الأب : لماذا ؟

(مارك يهز كتفيه)

أهناك مانع محتمل ؟

مـــــــارك : أجل . يكاد يكون أكيدا .

الأب : امرأة ؟

مـــــارك : **(بابتسامة رهيبة) .**

أجل .

الأب : سيئة السلوك ؟

مـــــارك : أجل .

الأب : وإذا قدمت إليها المال ؟ أنا لا أملك منه شيئا ولكن حماك قد يقرضك ؟

مـــــارك : ليست هناك وسيلة ياأبى العجوز المسكين .

الأب : إنك تفزعنى يا بنى .

(صمت)

مـــــارك : سوف نلتقى ، ليكن ! ولسوف نتحدث عن الخادمات . ولسوف نحاول أن نمنع أمى من الشرب .

الأب : لا تكن لاذعا .

جـــورجـيت : **(تدخل)** سيدى مارك . لقد حضرت صديقتى .

مـــــارك : **(ينهض فجأة)** صحيح ؟ أدخليها . دعنا وحدنا يا والدى .

الأب : **(باهتمام)** - ما هذا ؟ ألا أستطيع أن أراها ؟

مـــــارك : كلا . سأشرح لك فيما بعد ، دعنا الآن .

(يدفعه إلى الخارج . ثم يخاطب جورجيت) .

ماذا ؟

جـورجـيـت : سـأدخلها ، ولكننى أنذرك . فـهى امرأة بغيضـة . تسـعى إلى امتلاك جميع الرجال .

مــــــارك : وبعد ؟

جـورجـيـت : لسوف تسبب لك ضـجة بكل تأكيد . ولكن خـذ حذرك ؛ فهى مريضة ، وقد أخذت هذا المرض من أحد جنود الفرقة ١٦٨ .

مــــــارك : ولماذا تقولين لى ذلك ؟

جـورجـيـت : لأننى لا أريد أن تتصل بها ، والله

مــــــارك : (**يمسكها من كتفيها**) - هل سيستمر هذا المزاح ؟ تتصورين دائما أننى أرغب فيك ، أيتها الصغيرة البلهاء ؟

جـورجـيـت : (**تنظر مليا فى وجهه**) - أنا متأكدة من ذلك . انظر . إنك لا تجرؤ أن تنظر إلى منذ أمسكتنى . إنك تضغط على لدرجة أنك تؤلمنى آى ! ... إنك تزيد من شدة الضغط ...

مــــــارك : لماذا تفعلين كل هذا ؟ ... أتحبيننى إذن ؟

جـورجـيـت : (**بوضوح . برزانة ، بلا دلال**) - كلا .

مــــــارك : (**يهزها فجأة وهو يصيح**) ليس هذا صحيحا ، فاهمة ؟ أنا لا أرغب فيك . ولم أرغب فيك أبدا . ولسوف تعودين إلى والدك ! ومع ذلك فأنا سأرحل . وستخبرنى صديقتك بذلك الآن . سأصبح حرا ! لم يكن هو . لقد خدعت ! الأمر سيكون فظيعا لو اضطررت للبقاء هنا معكم أنتم الثلاثة .

جـورجـيـت : (**مهزوزة**) - آى ! آى ! آى ! أنت مجنون !

مـــــــارك : **(يتركها فجأة)** – احضريها .

(جورجيت تخرج وتعود) ها هى ذى .

(تدخل فتاة بين السادسة عشرة والسابعة عشرة تبدو عليها هيئة الأوباش ، يخاطب جورجيت)

دعينا .

جـورجـيت : كلا .

مـــــــارك : قلت لك دعينا

جـورجـيت : كلا ، ثم إنها ستقول لى كل شىء ...

مـــــــارك : هل تبعتها ... أخبرينى بسرعة ؟

الصـغـيـرة : أجل . ولكنها تاهت منى يومين . وأمس فقط استطعت أن أتبعها حتى النهاية .

مـــــــارك : هل كانت بصحبة الشخص نفسه فى الأيام الثلاثة ؟

الصـغـيـرة : أجل ... الطويل الأسمر .

مـــــــارك : ألم يكن يرتدى زى السائقين ؟

الصـغـيـرة : نعم لم يكن .

مـــــــارك : وبعد ذلك حمت حول حظيرة السيارات **(الجراج)** كما طلبت منك ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــــارك : ولكن تكلمى ، تكلمى إذن ! هل رأيته ؟

الصـغـيـرة : أجل . رأيته .

مـــــــارك : هل كان فى زى السائقين هذه المرة ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــــارك : هل كان هو نفسه ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــــارك : هل أنت واثقة أنه هو نفسه ، الذى رأيته معها أول مرة ؟ هل أنت واثقة من عدم وجود تشابه .

الصـغـيـرة : كلا . لقد رأيت حتى خاتمه . ولكننى لا أعرف لماذا احتجت إلى فى هذا الشأن ، فقد كنت تستطيع أن تراه بنفسك .

مـــــــارك : (**يعطيها بعض النقود . يشحب تماما**) خذى . اصحبيها يا جورجيت .

الصـغـيـرة : (**مبتسمة**) إن سيدك خفيف الظل .

جـورجـيـت : إنه فاسق . يلهو مع كل بنات الحى .

(تخرجان)

مـــــــارك : (**ينادى**) ماما ! ماما !

صـوت الأم : ليس لدى وقت ، إننى أرتدى ملابسى .

مـــــــارك : اصعدى حالا ، ضرورى !

(الأم تدخل متسربلة بطريقة عجيبة)

مـــــــارك : (**يبدأ رزينا**) أمى !

الأم : إيه حسن ، ماذا تريد ؟ هل تعجبك قبعتى الصغيرة الأمريكية ؟

مـــــــارك : هل جننت ؟

الأم : كنت أتوقع منك ذلك . إنك تريد أن أرتدى ملابس العجائز ! إننى لم أصبح عجوزا يا صغيرى مارك ، ليس بعد ...

(تصلح هندامها أمام مرآة . تفنج)

مـــــــارك : أمى .

الأم : ماذا بك يا صغيرى ؟

(تنظر إليه . تتحسس شعره فى حركة أمومة)

هل أنت بائس ؟

مـــــــارك : أجل .

الأم : ماذا جنيت من الذنوب لكى أنجب ابنا كهذا ؟ كيف يمكن أن تصبح بائسا ؟ لا شىء هناك ، دعك من هذا ، إن هذه الأحزان تمر بسرعة .

(تربت عليه خفيفا . يتبعها بعينيه . يتردد ، عندما تصبح قريبة من الباب يناديها) .

مـــــــارك : أمى !

الأم : ماذا تريد إذن ؟ ستجعلنى أتأخر عن الغداء إننى على موعد فى الثانية .

مـــــــارك : يجب أن تستمعى إلىَّ يا أمى .

الأم : **(أمام المرآة)** هيا ، تكلم . أهى أشجان الحب ؟ حقا أنك لا تقصها على إطلاقا ، فأنت لا تثق فى . إيه حسن ، تكلم ، هل تحب هذه الصبغة الشقراء الإيطالية ؟ أظن أننى كنت أجمل حينما كنت استخدم الصبغة الكستنائية . إنك لا تقول لى شيئا أبدا .

مـــــــارك : كان حديثى معك سيصبح سهلا لو لم تستخدمى الصبغة الشقراء الإيطالية .

الأم : أنت مثل أبيك ، تريد أن أصبح عجوزا حتى أستطيع أن أتفرغ لخدمتكما .

مــــــارك : لا تختلقي أفكارا سيئة . إنني أحبك ، وأود أن تكوني سعيدة ولكنني أود أن أكون سعيدا أنا أيضا .

الأم : وهل أنا أحول بينك وبين السعادة ؟

مــــــارك : اجلسي . اخلعي على الأقل قبعتك الأمريكية . أجل ، اخلعيها إنني أجلس على الأرض وأضع رأسي بين ركبتي كما كنت طفلا . أنا بائس يا أمي وهذا بسببك أنت .

الأم : ماذا تخترع ثانية ؟ إنك تتسلى بتعذيبي !

مــــــارك : منذ زمن بعيد ربما منذ عشر سنوات . تمنيت أن أكلمك بهذه الطريقة . وفي بعض الأحيان كنت أريد أن أتوسل إليك لكي تكوني أما كالأمهات الأخريات ، وفي بعض الأحيان كنت أريد أن أسبك ، أن أهينك ...

(ينكمش بين ركبتيها)

الأم : ماذا بك يا مارك ؟

مــــــارك : في سن السادسة كنت أبله كجميع الأطفال . كنت أظن أنني قوي . وقد أوشكت أن أؤدي هذا المشهد أمامك . والآن ، وقد كبرت قليلا ، أدركت تماما أنني لن أؤدي ما حييت ، مشهدي البديع ، مشهدي الرهيب .

الأم : ولكن ، ماذا بك ؟

مــــــارك : أمي ألا تمكنيني من السعادة قليلا بدوري ، ألا تقبلين أن تكوني عجوزا كما تقولين ! ليس هذا قبيحا ، كما تعلمين ،

عجوزا ما تزال جميلة ، لها شعر أبيض جميل ، عجوزا ترتدى ثيابا سوداء ، وتلمع منزلها ، عجوزا تهتم ...

الأم : (**تنهض**) دعنى يا مارك . أنت أنانى .

مـــــارك : (**يصرخ**) أماه !

الأم : (**تتوقف**) لقد ضحيت بنفسى فى سبيلك . لم أكن أتصور أنك ستكافئنى بهذه الطريقة آه ! هذا عقاب إنجاب الأطفال ...

(هما الآن مبتعدان كل عن الآخر) .

مـــــارك : (**بوضوح ، ضاغطا على أسنانه**) .

أمى ، ليس هذا صحيحا ، إنك لم تضحى من أجلى أبدا . وإننى أسألك لأول مرة أن تفعلى ذلك .

الأم : أنت أنانى !

مـــــارك : لا تكررى هذه الكلمة ، فهى غير صحيحة . تشجعى وانظرى داخل نفسك . راجعى نفسك .

الأم : دعنى أذهب .

مـــــارك : كلا .

الأم : دعنى أذهب ، فلم أعد أريد أن أنصت لك ! من أجلك أنت ، بقيت إلى جوار هذا البخيل ، هذا الجبان الذى أبغضه . إننى أندم الآن لأننى لم أرحل .

مـــــارك : كنت تحسنين صنعا لو كنت رحلت .

الأم : ماذا تقول ؟

مـــــارك : أقول إنك كنت تحسنين صنعا لو كنت رحلت : كنت سأكون أقل شقاء ! ولكن . لا توهمى نفسك . إن الرحيل

مجرد كلمة . فأين تذهبين ؟ لقد بقيت لأنه يعولك ، ولأن هذا الوضع أفضل وأيسر . ولكنك لم تضحى بأية متعة من أجلي .

(تنهض فجأة . لا تقول شيئا . يريد أن يحتجزها . تحاول أن تخلص نفسها . دون كلمة واحدة ، وعيناها زائغتان ، تبكى بلا صراخ) . سامحيني يا أمي ، سامحيني . إنني لا أدرى ما أقول . وكما ترين أن هذا الكلام السيء يفلت من بين شفتي . ليس هذا صحيحا ، لقد بقيت لأنك كنت تحبينني . أنا أعرف ذلك ، سامحيني يا أماه . لقد كنا خير صديقين . وكنت دائما تخلصينني من المكائد . ليس هذا صحيحا . لقد كذبت عليك ، ينبغي أن تنسى ما قلته . لقد بقيت أنت لأنني عندما كنت أصاب بالمرض لم يكن هناك غير يدك فوق جبيني تشفيني ، لقد بقيت لأنني في المساء كنت لا أحب أن أؤدى صلاتي إلا بصحبتك ، وإذا كنت قد أشقيتني فإنك لم تفعلي ذلك عمدا أبدا . ماما ، ماما ، لماذا فقدنا كلمات الطفولة الجميلة ؟ ماما ، مامي . لا تبكي يا أماه ! اسمعيني ، إنني أجلس متكورا على الأرض حتى إنك تستطيعين أن تعتقدى أنني لم أكبر بعد . أنت الآن عائدة منذ قليل ، وقد ظللت أنتظرك طوال النهار في المطبخ مع الخادمة . ولقد نسيت مرة أخرى ذلك الحصان الآلي الذى كان ينبغي أن تحضريه لي كل مساء ، وتقولين لي :

لا يجب أن تقول إننى خرجت ، وأنا أجيبك " كلا يا أماه لن أقول " **(صمت)**

الأم : لا يجب أن تؤدى أمامى مثل هذا المشهد الفاضح يا مارك .

مـــــارك : **(بنفس الصوت)**- كلا يا أماه .

(صمت أخر طويل)

الأم : لقد بكيت . فلا بد أن أضع المساحيق مرة أخرى . دعنى أنهض .

مـــــارك : **(بصوت الرجل الذى عاد إليه)**

كلا ، يا أماه .

الأم : دعني إذن ...

مـــــارك : **(يقبلها ، يمسكها بقوة ، يتحدث إليها عن قرب شديد بصوت خفيض)** أماه ، أماه . ليس بوسعك أن تفقديني هذا النصيب من السعادة . لن تلبثي الآن أن تقومي بمهزلة مشئومة سوف تصليك عذابا ، فتوقفي من تلقاء نفسك وأتيحي لي فرصة السعادة . كوني كما أطلب إليك أن تكوني وهذا أمر يسير للغاية . إنني أخجل من التحدث إليك ، وأرى جيدا أنك تخجلين من سماعي . ماذا تريدين ؟ ليست غلطتي ، إننا ننطق كلمات لا ينطقها الأبناء والأمهات . ولكن من الأفضل أن نقولها ، هذه الكلمات حتي ولو خجلنا منها . إن شيئا بالغ الثقل يقوم حائلا بيننا وربما كان ما بيننا من الحب لا يكفي لإزالته .

(لحظة ، ثم يتوسل ، برقة وبطء)

اهجريه ، يا أمها ... اهجريه . كوني أما كغيرك من الأمهات ، الآن وقد أصبحت عجوزا . ولن تلبث السن أن ترغمك على هذه التضحية ...

الأم : أنت مجنون !

مــــــارك : اهجريه يا أماه . انظرى ، إننى لا أكاد أجرؤ على أن أتقدم إليك بهذاالرجاء المخجل ، فاستجيبى له .

الأم : **(متصلبة)** – فيم يهمك ما أفعله ؟

مــــــارك : إننى أحب فتاة . ولا أريد لها أن تظل مجرد عشيقتى بمواراتي منها والكذب عليها كالأخريات . اسمحى لى أن تصبح زوجتى .

الأم : وماذا يمنعك ؟ هل تخجل منى ؟

مــــــارك : إنه سائق والدها يا أماه .

الأم : وبعد ؟

(مارك ينتصب ، وينظر إليها)

جــورجــيت : **(تدخل)** سيدتى ، السيد مارسيل تحت . إنه فى حالة هياج شديد . يحطم كل شىء .

مــــــارك : **(يحتجزها)** لا تنزلى يا أماه .

الأم : دعنى .

مــــــارك : إننى أمنعك ، أتوسل إليك .

(تخلص نفسها وتخرج)

أوه ، صحيح ، إننى أبغضك ، إننى أبغضك !

(يظل بمفرده مع جورجيت التي تتضاحك)

جـورجـيت : تأخذ نصيبها . جاء دورها فقد كانت دائما تشتمني وتهزأ بي .

مـــارك : **(ينظر إليها ، تائها ، يتمتم)** - سامحيني يا أماه .

الأب : **(يدخل)** يبدو أن العلاقات بالغة السوء بين هؤلاء السادة والسيدات .

(يضحك)

مـــارك : أيها العجوز الجبان !

الأب : الألفاظ الوقحة دائما .

مـــارك : لو كنت عرفت كيف تسيطر عليها ، وتحتفظ بها . وتجعل منها زوجتك ، لما أصبحنا الآن في هذه الحال .

الأب : صدقني إن أردت . لقد كانت ألطف وأرق عروس يمكن أن يتصورها العقل . عام واحد فقط كان كافيا لكي تتحول إلى رجل .

مـــارك : ولكن هل كنت تحبها ؟

الأب : **(بحركة)** - إنني أكرهها منذ زمن بعيد .

مـــارك : هل أحببتها يوما ؟

الأب : ربما .

مـــارك : **(يهزه)** - ما السر الذي جعلك لا تستطيع السيطرة عليها ؟

الأب : كان يلزمها لذلك عشرة من أمثالي . إنها كثيرة المطالب . ونحن في أسرتنا متحفظون . وأنا رجل طيب ، عادل ،

مجتهد . بل إن عائلتي كانت تقول على إنني قديس .
لو كانت امرأة شريفة ، لأصبحت سعيدة معى بكل تأكيد .
عندما أفكر أننى كنت على وشك أن أتزوج " مارى
لوكوربييه " إنها الآن زوجة عالم آثار شهير . تذهب إلى
القداس كل صباح .

مـــارك : **(جالسا ورأسه بين يديه)** – ولكنك ربما كنت تستحق
هذا الشقاء . أما أنا فلا .

الأم : **(تدخل شعثاء ، مذعورة)** – مارك ، هل معك نقود ؟

مـــارك : أنت تعلمين جيدا أننى لا أملك نقودا .

الأم : من أين أستطيع أن أحصل عليها ؟ يلزمنى خمسة آلاف
فرنك ، فى الحال . قبل هذا المساء .
(الأب يحاول أن ينصرف في الخفاء)
لا تخرج !

الأب : كيف ؟

الأم : لا تخرج . إنك تملك هذه النقود ، أنت . يجب أن
تقرضنى إياها .

الأب : أنا ، نقود ؟

الأم : أجل ، لا تكذب . فعندما كنت أقوم بأعمال البيت مع
جورجيت ، اكتشفنا ذلك القعر المزدوج فى منضدة
سريرك . أن لديك عشرة آلاف فرنك .

الأب : هل أخذتها ؟

الأم : كلا ، ولكن يجب أن تقرضنى منها الآن خمسة آلاف .

الأب : مستحيل .

(يريد أن يخرج)

الأم : لن تخرج . لابد من أن تقرضني إياها ، فاهم ، لابد من أن تقرضنى إياها ...

(تمسك بسترته)

الأب : لكي تعطيها لعشيقك ؟

الأم : أجل ، لكي أعطيها لعشيقي ... لابد منها في الحال . أنقذنى . ولسوف أقتصدها . لسوف أعمل وأجنيها . أقسم لك .

الأب : آه ، إنك تضحكينني .

(يضحك وهو يحدث جلبة ، ضحكا مفتعلا)

الأم : أوه ،لا تضحك هكذا !

(يتوقف فجأة)

الأب : أنا ليس لي زوجة ! ولن أجرد نفسي من مالي لكي أمهر لك رجلا .

الأم : لقد سرقها من سيده . وإذا لم يحصل عليها قبل غد، فسيقبض عليه . لا أحد غيرى يستطيع أن يقرضه إياها .

الأب : ما أشد طيبتها . كيف تجد أمك يا مارك ؟ تطلب مني نقودا لتصلح ما أفسده اللصوص .

(يضحك)

الأم : لا تضحك ! لا تضحك ! إنك ترى جيدا أنني كالمجنونة وأنني أبكي .إنك تبغضني وأنا أعلم ذلك . تريد أن تذلني ،

تريد أن تنتقم لنفسك . فانتقم لنفسك . أذلني، انظر، إنني أركع على ركبتي . سأبيع المجوهرات والأثاث الذي أمتلكه . سأكتب إلى أختي لترسل إلى نقودا ، باختصار سأردها لك ، أقسم لك ! مارك ، قل له إننا سنردها له .

الأب : لا فائدة .

مـــــارك : انهضي يا أماه .

الأم : كلا . لا أريد أن أنهض . أريد أن يقرضني إياها . سأظل متعلقة بساقيه حتى يقرضني إياها .

مـــــارك : (**ينهضها**) انهضي يا أماه .

الأب : (**يتوجه بوقار ناحية الباب**)

أحسنت صنعا . فإن دموعها ما كانت لتثنيني .

الأم : إنني أكرهك ! أكرهك ! دعني يا مارك ، دعني . أريد أن أنزع عينيه ! أريد أن أضربه ، أن أصفعه !

الأب : أمسكها !

الأم : هو ذاك . أصلح ياقتك ، ورباط عنقك . كن مهندما كشأنك دائما ! أما أنا فلست كذلك . إنني امرأة ضائعة كما تقول ، بلهاء ! انظر إنني أنزع صديرتي ، وألطم وجهي ، وأحول من الألم لأنك تمنع عني هذه النقود .

مـــــارك : أماه .

الأم : دعني !

الأب : (**بوقار**)

أنا خارج يا مارك .

الأم : أنا أبغضك ! ... أبغضك ! لسوف أحصل على العشرة آلاف فرنك التى تملكها . سآخذها منك ، فاهم ، سآخذها منك .

الأب : مارك ، أنت شاهد .

(يخرج)

الأم : **(تكرر وهى منبطحة)**

سآخذها ... ، سآخذها ...

مارك : اسكتى يا أماه .

الأم : سآخذها ... سآخذها ...

مارك : أماه ...

(يهدهد رأسها ، نظرته ثابتة . صمت طويل)

الأم : مارك ، قد يكون لك أصدقاء ... هذه الفتاة الغنية . اذهب واطلب منها أتوسل إليك .

مارك : لا ، يا أماه .

الأم : لا يجب أن تتخلى عنى . سيقبضون عليه . سيضعونه فى السجن . لن أراه بعد ذلك ... أو سيجد نقودا عند امرأة أخرى ويهجرنى . أجبنى يا مارك . هذه الخمسة آلاف فرنك سيقرضك أصدقاؤك إياها بكل تأكيد ؟

ولكن أجبنى . لم هذا الفم الحجرى وهاتان العينان الخزفيتان ، لماذا ؟

مارك : **(برقة)** – يجب أن نتركه ليقبض عليه ، أو ليجد النقود عند امرأة أخرى .

الأم : أوه ، لا تقل هذا ! أنت مجنون ! أتريد إذن أن أصبح مجرد خرقة ، خرقة بالية ؟

مـــــــارك : (دون أن ينظر إليها وهو يتعلق بمسند الكرسى)
أريد أن أعيش .

الأم : ليس هذا أنت . فشفتاك ليس بها هذا التكسُّر . وجبينك ليس به هذا الخط . مــارك ، أنت طيب ، ولا تريد لى الشقاء ... انظر إننى أجثو فوق الأرض .
لن أطلب منك شيئا آخر ... سأرحل غدا ، إذا كنت تعتقد أننى سبب شقائك ... ولكن هبنى هذا النصيب الأخير من الحياة ...

مـــــــارك : **(كالمجنون)** فى السجن ، مطرودا ، مختفيا .

الأم : لا يجب أن يحدث ذلك يا مارك . لا يجب !

مـــــــارك : أنت الآن عجوز ولا تحبينه. أنا واثق من ذلك ... أما أنا فإننى شاب وأحبها.

الأم : أجل ، إننى عجوز ! انظر إلى. إنه آخر عشاقى ، ذلك الذى أستجديه إياه . إن هاتين العيتين لن تقاوما إلا بضع سنوات أخرى. وهذه التجعيدة سرعان ما سأعجز عن إخفائها تحت اللزقات . إننى لا أحبه ، كلا ، وربما لا يزال معى لمجرد المتعة . ولكننى بعد ذلك ، أعرف أننى لن أحصل على غيره، وقد مضى هذا . إننى لم أعش إلا من أجلهم .

مـــــــارك : أسكتى .

الأم : كلا ! مادمت تريد أن تنتزع منى هذا الأخير فاعلم إنك إنما تنزع الحياة من أحشائى !

(تصرخ)

إننى لم أعش إلا لكى آخذهم بين ذراعى ، هل تسمعنى ؟

مـــــارك : اسكتى . إننى أخجل .

الأم : أما أنا فلا أخجل أن أقول لك إننى لم أعش إلا من أجل الحب ، لأنك تشبهنى .

مـــــارك : كلا .

الأم : بلى . إن هذه السعادة التى تسعى إليها بزواجك من هذه الفتاة الجميلة ، إنما هى حلم . لن تذوقها لحظة واحدة لأنك تشبهنى .

مـــــارك : ليس هذا صحيحا !

الأم : هل تظن أننى لا أراك مع البنات اللائى يعملن عندنا هنا . إنك لا تزال تقاوم ، ولا تشعر برغبة إلا فيهن وفى بنات الشوارع .

مـــــارك : كلا .

الأم : نعم . فحينما كنت لا تزال صغيرا ، كنت تشرد بصور فى جيبك . كنت تصيب نفسك بالأمراض . أما أنا ، فلم أكن مثل الأمهات الأخريات ، كنت سعيدة لأنك كنت تشبهنى .

مـــــارك : **(يسد أذنيه)**

لا أريد أن أسمع ، لا أريد أن أسمع ، إنك تكذبين !

الأم : إنك تعرف ، أنت ، معنى هذا النداء الذي يمحو كل ما عداه . إن شعرى مستعار ، وأسناني تتساقط ، وجسمي يتغضن . ولازلت أسمعه أشد مما كنت أسمعه في شبابي . مارك ، افهم معنى أن يدرك الإنسان أنه لن يلبث أن يصرخ في الفراغ ، وافهم بأى ظمأ يشرب المرء آخر دقائقه في الحياة ... أبوك خرقة بالية ، وحتى لو لم يكن يكرهني ، فلن يستطيع أن يدرك . يجب أن أقضى عليه لكي آخذ منه هذه النقود . ولكن أنت الذي تدرك كل شيء دبر لي هذه الخمسة آلاف فرنك حتى لا تحل النهاية إلى الأبد ، ألا تحبني ؟ ربما أكون قد تسببت في شقائك دون إرادتي ولكنني اعتنيت بك وواسيتك ، وأنقذتك من آلاف الأخطار التي تتربص بالطفولة . فنظير هذه الحياة التي وهبتك إياها ودافعت عنها ضد الموت ... دعه لي شهرين آخرين أو ثلاثة حتى ولو حال هذا بينك وبين سعادتك .

مارك : **(وقد ضغط على أسنانه وبدا وجهه غارقا في الدموع)**
– كلا .

الأم : إنك مازلت تملك شبابك كله . ولسوف تدرك معنى هذا حينما يصبح الأمر آخر مرة ...
(صمت)

مارك : **(متعلقا بالكرسى)** – أريد أن أعيش .
(صمت آخر)

الأم : **(تنظر أمامها في ثبات . تدمدم)** – إنني وحيدة تماما .

جــورجــيت : **(تدخل)** سيدتي ,هل أسلق نبات الفطر الذى أحضره سيدى للظهر ؟

(صمت . لا يجيبان . تتضاحك قليلا . ثم تقول)

سيدتي ، نبات الفطر الذى أحضره سيدى هل أسلقه ؟

الأم : **(ترفع رأسها شاردة)**

نبات الفطر ؟

جــورجــيت : أجل . نبات الفطر الذى جمعه سيدى .

الأم : أجل .

جــورجــيت : إن سيدتي تحسن صنعا لو قامت بتنقيته . فإننى لست متأكدة من بعضه . وفي الحقيقة ، أنا أعتقد أن سيدى لا يفهم فيه كثيرا .

الأم : أجل .

(تنهض وتخرج كمن يسير فى أثناء النوم . جورجيت تنظر إلى مارك)

جــورجــيت : سيدى مارك ، هل ستأتي هذه الليلة ؟ إننى أضيق وحدى في حجرتي ...

(لا يجيب . تنتظر لحظة ثم تخرج وهى تهز كتفيها)

مـــــــارك : **(يكرر آليا)**

أريد أن أعيش ...

تسدل الستارة

الفصل الثانى

الديكور نفسه

الأم : هل تأكدت من منضدة السرير ؟ هل بحثت فى القمر المزدوج ؟

جورجيت : أجل ، مرتين .

الأم : لماذا خرجت بهذه السرعة ؟

جورجيت : خيل لى أنه تحرك .

الأم : ما أغباك ! وهل نظرت تحت المرتبة .

جورجيت : لقد قلت لك . اذهبى وانظرى أنت بنفسك .

الأم : لا أستطيع ، فإنهم يراقبوننى .

(تقضم أظافرها)

القذر ، القذر .

جورجيت : لا ينبغى أن نتحدث عن ميت بهذه الطريقة .

الأم : أين يمكن أن يكون خبأها ؟

جورجيت : اسألى سيدى مارك . لابد وأنه يعرف .

الأم : إنه يغضبنى ، أكثر من الآخرين .

جـــورجـــيت : ما الذى يجب عمله ، يا سيدتى ؟

الأم : جورجيت ، لا تتركينى ، قولى شيئا ، افعلى شيئا .

جـــورجـــيت : لا أستطيع أن أبحث ؛ فهم فى الحجرة .

الأم : كان عاشقا لك . أو كان يتصل بك ، كان يطاردك . من المؤكد أنه قال لك شيئا يمكنك أن تهتدى به .

جـــورجـــيت : لا شىء يا سيدتى . إن سيدى لا يثق بى .

الأم : من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء !

جـــورجـــيت : على كل حـال ، لا ينبـغى أن تعكر سـيدتى دمـهـا . فليس هناك ما يخشى مع وجودى .

الأم : جورجيت ، اذهبى إليه مرة أخرى . أخبريه بأنها مسألة ساعـات ، دقـائق . وإننى سـأحـصـل على هذه النقـود ، واطلبى منه ألا يرحل مـع الآخــر ، ســيكون لى ، أنا . سيكون لى بكل تأكيد .

جـــورجـــيت : يجب أن تعترف سيدتى بفضلى فى كل هذا . فباختصار ، دونى ...

الأم : أجل ، خذى .

(تعطيها نقودا)

جـــورجـــيت : ليس هذا كثيرا .

الأم : خـذى ثانية . وسـوف أعطيك مـا وعدتك به ، عندمـا أجـد هذه العشرة آلاف فرنك .

جـــورجـــيت : هل أطلب منه أن يأتى إلى هنا ؟

الأم : أجل . اطلبى منه أن يأتى .

(جورجيت تخرج)

الأم : **(تبدأ بالبحث داخل قطعة أثاث ، بهياج ، تسمع وهى تهمهم)**

من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء ! [١]

(شقيق الزوج ، وأخته وابنة عمه ، يخرجون مع مارك من الحجرة الملاصقة . تتوقف الأم ، وتمر أمامهم دون أن تنطق بكلمة ، وتخرج)

الأخ : لقد تعذب كثيرا .

ابنة العم : هل نتعذب كثيرا من نبات الفطر ؟

الأخ : أنا أتحدث عن العذاب المعنوى ...

(دخلوا جميعا)

مارك ، لقد عدنا إلى هذا البيت الذى لم ندخله منذ عشرين عاما ، لكى نُحيىَ الجثة العزيزة . وسنعود غدا لكى نأخذها ونصحبها إلى مثواها الأخير . كان يحبك وأنا أعرف أنك كنت تحبه أيضا . لقد كان حنانك يعزيه دائما خلال حياة الشهيد التى عاشها . إن الكلمة ليست أكبر من اللازم .

ابنة العم : كلا .

الأخ : كان يقول لنا ذلك والنحيب يختلط بصوته . ليس لى فى الوجود سواه .

(١) تقصد أنها قتلت من أجل لا شىء .

الأخــــــت : ونحن .

الأخ : ونحن ، بعد مواراة الجثة ، لن نجتاز هذه العتبة بطبيعة الحال ، ولكن يجب أن تأتى لزيارتنا .

مــــــارك : أجل .

الأخ : نحن عائلتك ، عائلتك الوحيدة .

(صمت)

مارك ، كان والدك يمتلك بعض المدخرات . ففى صباح موته وكأنه كان يتوقعه ...

(ابنة العم تتنهد)

الأخ : **(ينظر إليها ويكمل)** - وكأنه كان يتوقعه ، ولما كان لا يعلم طبعا بما يمكن أن يحدث فى مثل هذه الحال ، جاء ليسألنى أن أحفظ له هذه العشرة آلاف فرنك . فقد كان يثق فىَّ ثقة لا حدود لها

إن كل ما كان يخصه يؤول إليك الآن . سأعدُّ لك هذا المبلغ .

(يخرج الأوراق المالية ويسلِّمها لمارك)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة ، تأكد من ذلك .

مــــــارك : لقد عددتها .

الأخ : تأكد يا مارك ، فإن والدك كان يشدد على ذلك ، فقد كان شكاكا بطبعه .

الأخــــــت : مسكين يا أدريان .

(صمت ، في أثنائه يعيد مارك عدّ الأوراق بسرعة)

أما بخصوص المدفن ، فأنا لا أريد أن نتصل " بشوشارد " إن زوجته لا تحبيني كما يجب . ما رأيك يا مارك ؟

مـــــــارك : الأمر يستوى بالنسبة لى .

الأخـــــــت : كان أبوك سيوافقنى ، فهو لم يكن ليرضى ألا تُقدَّم للعائلة واجبات التقدير والاحترام .

(صمت)

الأخ : كان قديسا .

ابـنـة الـعـم : أجل .

الأخ : يجب أن تذكره يا مارك طوال حياتك وأن تحاول التشبه به .

(مارك لا يجيب)

أنت كبير الآن . وتعلم أى حياة زوجية عاشها مع أمك . ولقد بقى معها رغم كل شىء ، من أجلك . بقى حتى لا تقع تحت السلطة المفردة لتلك التي كانت تلطخ شرفه، وحتى يربيك طبقا للمبادئ التى ظلت دائما مبادئنا. هذه حقيقة لا يمكن أن تنساها .

(صمت)

الأخـــــــت : أردنا أن نقول لك ذلك قبل رحيلنا .

ابـنـة الـعـم : أجل .

(صمت)

الأخ : هل ستواصل الحياة مع أمك يا مارك ؟

مـــــــارك : طبعا

الأخـت : بعد كل ما قاساه منها .

مـارك : لقد قاسى . ولكن أنا قاسيت كذلك . وهى أيضا بلا شك .

الأخـت : لا تحنًّ لها ، يا مارك . فكر فى ذلك الذى يرقد إلى جوارنا . لقد خانته بطريقة تبعث على الخجل . بلا حياء . كانت تتعلق بأذرع الرجال . وذات مرة شاهدوها مع أحد عمال الميناء .

مـارك : أجل .

الأخ : لقد أعيته بشرورها اليومية ، تلومه على أتفه متعة ، بينما تنفق هى نقود البيت فى تقديم الهدايا لعشاقها .

مـارك : أجل .

الأخ : ورغم هذا كله كانت لا تكف عن الرد على اتهاماته بمثلها .. لقد كانت توجه إليه التهم طول حياته . دون أن تدرك ، مع أنانيتها الفظيعة ، إنه كان قديسا . لأنه بقى معها ! سامحنى . إن الغيظ يقطع كلامى . كان أولى به أن يطردها . أن يضربها بالسوط . آه لو كنت أنا .

الأخـت : لقد كنا نحب أباك ونحترمه يا مارك . كان أخانا الأكبر . وهو الذى كان يقوم مقام والدنا .

ابنة العم : كان دائما طيبا ، دائما رقيقا .

الأخـت : لقد علَّمنا القراءة ، وعلمنا كيف نكون شرفاء مثله .

الأخ : وكنا مضطرين أن نراه يقاسى طوال حياته مع هذه المرأة . أولم تقاسى أنت فى حياتك ، مما كان يقاسيه ؟

مـارك : بلى ، بل لقد كرهتها بسبب ذلك . فى سن السادسة عشرة . أما الآن فقد أدركت أنها كانت امرأة مسكينة هى الأخرى .

الأخ : امرأة فظيعة ! امرأة متوحشة !

الأخت : مارك ،لا ينبغي أن تبقى معها . ما دام قد مات الآن بسببها . فيجب أن تلقى هي في النهاية جزاء ما أذاقته له من عذاب. يجب أن تتركها يا مارك .

مارك : لم أعد أستطيع أن أتركها .

الأخ : هل تظن أنها ستصلح ؟ إن هذه المخلوقات لا تصلح أبدا . سيكون بوسعها بعد ذلك أن تعيش حياتها ، تلك الحياة الشهيرة التي طالما أرادت أن تحياها.

الأخت : نحن نعلم أن هذا أمر عسير بالنسبة لك يا مارك . واعلم أنها لم تكن أمك في يوم من الأيام ! إنها لم تعش إلا لعشاقها ، إن " أدريان " هو الذي كان يصحبك للنزهة يوم الخميس ، وهو الذي يرعاك حينما كانت تخرج في المساء . وهو الذي كان يجعلك تؤدي صلاتك ، ويرقدك وينومك حتى لا تبكي لغيابها ، لم تكن شيئا بالنسبة لك . لقد اقتصر دور الأم بالنسبة لها على تمشيط شعرك وإلباسك سروالا جميلا لكي تصحبك معها تتمشيان في الطرق المظللة بالأشجار .

مارك : (**يتوسل إليها**) أنت تكذبين .

الأخت : اذكر الليالي والكوابيس التي كنت تعانيها ، ومخاوفك إذ كنت طفلا ... أي وجه كنت تراه منعطفا على وجهك ؟

مارك : وجهها ! لأنني كنت أنتظره دائما . كنت دائما أريد أن أراه !

الأخــــــت : أجل ، هو ذاك ، وجهها في الحلم . ولكن في الحلم فقط .
فشفتاها اللتان كانتا من المفروض أن تعزياك بدلا من أيدى الخادمات الخرقاء . كانت فى ذلك الوقت تهبهما لرجل .

مــــــارك : (**يتوسل إليها**) اسكتى .

الأخ : لو كنت تشعر بأقل حنان نحوها ، لما كلّمناك بهذه الطريقة . فأية أسباب تجعلك تحبها ، ما دمت قد عرفت حقيقتها .

(مارك لا يجيب)

الأخــــــت : ثم إننا لا نخبرك بشيء لا تعرفه مسبقا . إن واجبك واضح .

مــــــارك : كلكم ضدها .

الأخ : لقد عابت الجميع . وسخرت من جميع القيم ومن كل الواجبات .

مــــــارك : ربما كانت تحبهم .

الأخ : لم تكن حتى تحبهم ! وأنت تعلم أنها تسببت فى فضائح كثيرة . فلا يمكن للمرء أن يعيش مثل هذه الحياة بلا عقاب. عندما كانت تحين اللحظة كانت تضحي بهم بالقسوة نفسها التى كانت تضحى بها بأبيك . إنها وحش .

(مارك لا يجيب ، رأسه بين يديه)

الأخ : مارك . سأحدثك كما كان سيحدثك ذلك الذى لم يعد له وجود . ففى صباح اليوم الذى مات فيه ، جاءنا – كانت هذه آخر فرصة له ، ذلك المسكين – جاء ينقل إلينا خبر

هذا الزواج العظيم الذى عهدت إليه بسره . هل تعتقد أن أصهارك الجدد سيعترفون بهذه المرأة ، بهذه الفاجرة ، بهذه ...

مارك : اسكت .

(صمت . ينهضان)

الأخ : كما تحب ، يا بنى .

مارك : أعرف أنكم على صواب ، غير أننى مع ذلك قد رأيتها ، فى الصور وهى فى تلك السن التى جاء يطلبها فيها من والدها . كانت فتاة فى السابعة عشرة تفيض بالحياة ، رقيقة . يمكن أن تجعلها تؤمن بكل شىء وتحب كل شىء ...

الأخت : فى ذلك الوقت ، لم يخطر ببالنا ما كانت ستصبح عليه !

مارك : كان قديسا ، كان زوجا رائعا ، ولكن هل سألتم أنفسكم مرة عما قدّمه لها عوضا عن الحلم الذى كان يداعبها فى الحياة ؟

الأخ : لقد قدم لها الفرصة لكى تكون امرأة شريفة .

(جورجيت تمر ، ارتدت معطفها استعدادا للخروج ، ترمقه بنظرة وهى تصلح من هندامها فى أثناء عبورها أمام المرآة . ينظر إليها وهى تخرج)

مارك : ليس بوسعكما أن تدركا ذلك .

الأخت : أخشى فى الواقع ألا تكون لغة حديثنا واحدة .

الأخ : المسألة الآن بالنسبة لك مسألة حياة أو موت . فإما أن تصبح رجلا وتتركها لمفاسدها ، وإما أن تبقى شخصا خائبا فاشلا تدور فى فلكها .

مـــــــارك : من الفظاعة أن نقتل شخصا لكى نعيش .

الأخ : إنك شاب ، أنت .

مـــــــارك : أجل .

الأخــــــت : لا تشـفق عليهـا ، فـهى لم تشـفق على أحـد ... وعندمـا تحتاج إلى النصيحة فاذكر عائلتك الحقيقية .

(تقبله . يتوجهان ناحية الباب)

ابـنـة الـعـم : **(مذعورة)** واللآلئ ؟

الأخ : صـحـيح . لقـد رأيت ، بدل الزهور الطبـيـعـيـة التى تذبل وتكلف غـاليـا ، أنه يجب أن نضـع فـوق قـبـر " أدريان " شيئا يدوم . لقد أوصيت " بريجو " بإحضـار إكليل من اللؤلؤ ، تتقاسم ثمنه كل العائلة . كان المرحوم سيوافقنى على ذلك .

(يخـرجـان . يظل المسـرح خـاليـا لحظة. الأم تدخل ، تسرع إلى إحدى قطع الأثاث ، تبحث . تكرر كالطفلة)

لابد من أن أعثر عليها . لابد من أن أعثر عليها .

الأم : **(تمر لحظة . تعتدل وقد فترت همتها ، تمرر ذراعها فوق جبينها)**

من أجل لا شىء ! يا إلهى ! من أجل لا شىء . أجل من أجل شىء .

(تذهب إلى قطعة أثاث أخرى)

لقد أغلقها .

(تجرب بعض المفاتيح . تشد . تنفخ . تخدش أصابعها . تُسمع وهى تتأوه ...

تأخذ سكينا وتحاول فتح المزلاج بالقوة .
بسرعة ، بسرعة ، بسرعة ... آى !
(تجرح أحد أصابعها ، تمصه ، تلفه بمنديل وتعاود الكرة . وفجأة ينفتح الدرج . تطلق صيحة فرح ، وتنقب . تلقى بأوراق فوق الأرض فى هياج وأخيرا تسقط آخر خطاب ، تظل بلا حراك . تنظر حولها)
لا يوجد شىء بالمرة .
(تتداعى، وتجلس القرفصاء، وتبدأ فى جمع الأوراق واحدة واحدة . وفجأة تعثر على صورة فتنظر إليها مليا ، تداعبها بأصابعها ، تسوى شعرها ، وتمسح عينيها تبتسم لها)
مارك ، حفظتها ؟ حفظت هذه الصورة ! ومع ذلك فقد بحثت عنها ولم تشأ أن تخبرنى أنك تحتفظ بها هنا مع خطابات شبابك ، كأنها صورة صديقتك ...
(لحظة)
صديقة ، أكمام ثوبها منتفخة عند الأكتاف . هل تكن لى إذن بعض الحب ، يا صغيرى ؟
(صمت)
هذا ممكن مع تلك ، أما أنا ؟
(تذهب إلى المرآة ، تتطلع إلى نفسها دون أن يتحرك على وجهها . وفجأة تمزق الصورة دون أن تنظر إليها . وعندئذ تبتسم فى المرآة ، تمط شفتيها تدير رأسها قليلا . تدلك تجعيدة)

لماذا ؟ لقد كنت نحيلة ، تبدو عليَّ البساطة . كنت كذلك !
ما أسهل ما كنت أعتقد فى الأمور ... والآن ؟

(تضع ذقنها على قبضتها ، تنظر إلى نفسها ، تبدو عليها القسوة . تهز كتفيها . يدخل مارك)

مـــــارك : ماذا كنت تفعلين هنا ؟

الأم : كما ترى . أنظر إلى نفسى .

مـــــارك : إنه وحيد تماما .

الأم : أجل لقد كنت فى أغلب الأحيان تتركنى وحيدة ، أنا التى على قيد الحياة .

(يهز كتفيه ويهم بالانصراف . يرى الصورة الممزقة . يجمعها)

مـــــارك : لماذا مزقت هذه الصورة ؟

الأم : لا أحبها .

مـــــارك : ولكن أنا أحبها ، لماذا ؟

الأم : هذا من حقى . إنها صورتى . أليس كذلك ؟

مـــــارك : **(يصرخ)** كلا !

(صمت ، ينظر كل منهما للآخر)

الأم : **(بتؤدة)** ولذلك فقد مزقتها .

مـــــارك : **(يعود فجأة إلى ركن المنضدة . يعيد تكوين الأجزاء . ويدمدم . موجها كلامه إلى الصورة)**

أماه ...

الأم : إننى أبغض نفسى فى هذه الصورة ! كنت أفضل لو لم أكن فى يوم من الأيام تلك الفتاة البلهاء الوادعة التى وافقت على الزواج منه .

مـــــارك : أماه .

الأم : **(تتحدث إلى الصورة التى يمسكها مارك حتى لا تمزقها ثانية)** ألم تكونى ترين إذن ، أيتها البلهاء ، أنه خرقة بالية ؟ كانت أسنانك بيضاء وكان جسدك غضا . وكان بوسعك أن تعثرى على شاب فى العشرين قوى يجعلك تعيشين الحياة . ولكنك كنت غبية ، ولم يكن فى بطنك شىء ! ولماذا لا أكون شابة الآن ؟

(صمت طويل)

إننى لم أصبح بعد على درجة كبيرة من القبح ، أليس كذلك يا مارك ؟

مـــــارك : **(يتحدث إليها الآن فى رفق)** كلا يا أماه .

الأم : سترى الآن ، عندما أرفع رولات الشعر ، طبعا أنا فى هذا المئزر أبدو كالمجنونة . يجب أن أشترى ثيابا وردية بمجرد أن ينقضى هذا الحداد، وأحصل على أشياء بديعة . سنقوم ببعض التضحيات . أما بخصوص الحفل ، فقد أوصيت على معطف عند " لانجلوا " .

مـــــارك : أجل ، يا أمى .

الأم : بصراحة يا صغيرى مارك ، لو كنت شابا آخر ، هل كنت أروقك ؟

مـــــــــارك : ولكن ... لست أدرى يا أمى .

الأم : دعك من هذا أيها الأبله ! يجب أن نكون الآن صديقين كبيرين . يحكى كل منا أسراره للآخر . مارك أنا لست عجوزا ، أليس كذلك ؟ سيعود حتى لو لم أعطه هذه النقود ؟

(مارك ، وقد ضغط أسنانه ، لا يجيب . الأم تبتسم لنفسها وتواصل الغنج أمام المرآة)

إننى أبدو كالمجنونة لأن أعصابى هائجة . لقد أرسلت إليه جورجيت وقد تأخرت .

مـــــــــارك : هل أرسلت جورجيت ؟

الأم : ومن ترى أن أرسل ؟

مـــــــــارك : ولكن هذا مستحيل يا أماه . فلن يلبثوا أن يعرفوها . لقد انتهيت ...

الأم : وأنا أيضا أنتهى إذا لم يأت .

(جورجيت تدخل)

الأم : **(تقفز نحوها)** - آه ، إنها هى ! هل رأيته ؟ أين هو ؟

جـــورجـــيت : لقد رحل يا سيدتى ، ولم يترك عنوانه .

الأم : أين رحل ؟ هل ترك أسياده ؟ هل غادر المدينة ؟

جـــورجـــيت : لم يترك عنوانه . وقد أخذ معه حقيبته .

الأم : ولم يترك خبرا ؟

جـــورجـــيت : أبدا .

الأم : هل أنت متأكدة ؟

جــورجــيت : مادمت أقول لك ذلك ؟

(تظـل الأم بلا حـراك . ودون أن تقـول شيئا . مارك لا يتـحرك أيضـا ولكنه يتنفس بعمق . علامة فرح تغـير وجهه شيئا فشيا . وفجأة يسرع في السير كالمجنون خلال الحجرة . يذهب إلى النافذة . يفتحها على سعتها ، يستقبل الهواء والشمس اللذين يدخلان .)

جــورجــيت : لم تأت أمس . ومع ذلك فلم يكن هناك مـــا يمكن أن يضايقنا .

مـــــــارك : **(وهو يكـاد يصـرخ فـيـهـا)** – لـن آتـى أبـدا ! لـن آتـى ما حييت . إنني أهرب منك أنت أيضـا . اغربى عن وجهى .

(يلقى بها خـارجا ، ثم يعود إلى سيره . إنه فى سن العشرين . سيعيش مع تلك الفتاة الجميلة التى يحبها ، ينبغى أن يقول هذا لشخص ما ، يهـم أن يقوله . يحجم .)

مـــــــارك : أماه ... أماه ... أماه ...

(يمسكها من كتفيها ليعلنها بهذه الفرحة العظيمة ، ينظر إليها ، يتوقف . صمت)

سامحينى يا أمى .

الأم : **(بسأم بالغ)** – ماذا كنت تريد أن تقول لى ؟

مـــــــارك : **(بصوت خـفـيض)** – كنت أريد أن أقـول إننى سـعيد . سامحينى .

(يتواجهـان ... لا يجرؤ أحدهما على النظر للآخر. تأتى حركة سوقية مألوفة لديها لتجفف يديها فى مئزرها . وهو

يلومها عادة على ذلك . يأتى حركة لا يكلمها . كلمة لا تخرج من بين شفتيه . تشمشم ، تذهب إلى الزجاجة وتصب لنفسها كأسا تشربها ، ثم تصب كأسا أخرى .)

مـــــــارك : أماه .

(تواصل الشرب دون أن تجيب)

أماه ، لا يجب أن تشربى بهذه الطريقة .

الأم : **(نافرة)** - دعنى !

(تواصل الشرب ، وتذهب لتجلس بعيدا . صمت) ومع ذلك فكان لابد أن يحدث هذا .

مـــــــارك : لا يجيب ...

الأم : **(بقسوة ، وبحركة من كتفيها كما فعلت قبل قليل)** - دعنى !

(صمت آخر)

أما هذا فلم يكن إلا من أجل المال. أما الآخرون فربما للحصول على امرأة لأننى لم أكن أطلب منهم شيئا . لأنه كان من الأسهل الذهاب إلى البيوت . كان هذا سهلا . كان الوضع دائما لا يختلف ، ومع ذلك فهذه المرة ، هو الأخير . أنا الآن عجوز . لن يرغب فىّ أحد ، حتى ولو كان ذلك أسهل . حتى البائعين المتجولين بين القطارات يجب أن أدفع الثمن .

(تقف أمام المرآة)

فلأدفع نقدا حتى يرغبوا فى هذه العجوز .

(تمسح شفتيها بطرف كمها ، كالمجنونة)

بلهاء ! بأحمرها وورولاتها لكي تكون جميلة . لم أعد الآن في حاجة إلى "رولات" لم أعد في حاجة إلى فرد شعري .

(تنزع رولاتها وتلقي بها في الحجرة)

آه ! أيتها الخصلات الجميلة !... آه ! أيتها الصبغة الإيطالية الشقراء التي تصبحين حمراء لأنك رخيصة الثمن . تستطيع خصلاتي أن تصبح كما تشاء الآن .

مـــــــارك : إن الشعر الأبيض جميل يا أماه .

الأم : أما شعري فأصفر . أصفر قذر . ويمكنه أن يظل أصفر بشعا ويتدلى كما يحلو له فوق تجاعيدي .

(تدعك وجهها)

فلا أحمر ، ولا أبيض ، ولا أسود . كعجوز ، عجوز دميمة قذرة يتركونها في ركن من الأركان دون أن يقولوا لها شيئا .

(تلتفت)

فلتسعد الآن . هكذا كنت تريد أن تراني ؟

مـــــــارك : أماه .

الأم : (تمسك بالزجاجة) سأكون أكثر هدوءا . سأصنع لنفسي أطباقا صغيرة وسأشتري مشروبات روحية أحبها . وسأقرأ الطالع .

مـــــــارك : إنك تعذبينني يا أماه !

الأم : لا ينبغي ذلك . ربما كنت أنت على حق ، فقد كانوا يسخرون مني ، ولم تكن بي رغبة شديدة تدفعني إليهم. كان هذا نوعا من العادة ، كعادة الشرب.

(تأتى على كأسها دفعة واحدة)

مـــــــــارك : إنك تسرفين في الشرب .

الأم : دع لى هذا على الأقل . كنت تفضل أن أكون عجوزا ، تحب الحلوى كما يفضل غيرى . وربما كان هذا أليق بى .

مـــــــــارك : لماذا تقولين هذا ؟

الأم : سأحاول أن أحب الحلوى وأحيك الجوارب حتى تكون مسرورا ... سأربى دجاجا وأرانب ، وأصادق عجائز مثلى ، أذكر معهن الآخرين بالسوء .

مـــــــــارك : إن كل ما تقولين يبعث على السخرية .

الأم : أجل ، أجل . سأحصل على هذا كله . وإذا تزوجت أنت ، مادمت تريد أن تتزوج ، فسأكون خادمة لزوجك ، سأنزه أطفالك لو قبلت هى أن تقوم أنت بإيوائى ...

(تنهار فجأة وهى تنتحب)

أوه ! ليس هذا صحيحا ... ليس هذا صحيحا . ماذا فعلت إذن طوال هذه الفترة ، ماذا جنيت حتى ينتهى ذلك الآن ؟ ليتنى أملك ذكرى لحظة من السعادة الحقه ، لحظة من الحب أو الحنان . ولكن لا شيء ! لا شيء غير حركاتهم ، وأيديهم ، وشفاههم يفتر تلهفها عاما بعد عام ! حتى ذلك الذى ذهب مع امرأة أخرى ، لأننى لم أستطع أن أعطيه هذه النقود ...

(لحظة)

مارسيل ، هو الأخير . يجب أن أتذكر هذا الاسم . مارسيل !

(صمت)

لقد فزت يا مارك . أنا عجوز ، وليس لى عشاق . وسأصبح امرأة كريمة فلا تستمر فى هذا العناد . وليكن أحدنا على الأقل سعيدا ...

مارك : لماذا يجب أن يكون أحدنا سعيدا ؟

الأم : **(بعد صمت . بصوت خفيض)** - لأنك تبغضنى .

مارك : إننى أحبك يا ماه .

الأم : أنك تبغضنى وتخيفنى منذ اليوم الذى لم تعد فيه طفلا صغيرا ، يقول لى كل شىء . إننى أذكر ذات مساء . كنت فى الحادية عشرة . وكنت قد عدت من المدرسة بادى الإصرار . رفضت أن تلعب معى ومع الكلب كالعادة . كنت وادعا و رزينا طوال المساء والأيام التى أعقبته ، ولكنك كنت تقبلنى وشفتاك مضمومتان .

مارك : إن ذاكرتك قوية . إنه ذلك المساء .

(لحظة)

فاتنى موعد دخول المدرسة . فقابلتك مع رجل فى الطريق .

(صمت طويل)

الأم : هل شقيت لذلك ؟

مارك : هل تسألينني ؟

الأم : لم كن أدرى ، لقد كنت صغير جدا .

مارك : لقد كنت دائما تظنين أننى صغيرا جدا . حتى بعد ذلك .

الأم : وأنا أيضا كنت بائسة بسبب شفتيك المضمومتين . وبدأت أخشاك .

مـــــــارك : وبدأت لا أقول لك شيئا .

الأم : كنت أعتقد أنك تكرهنى . وأنك تفضل أباك على . آه ! لماذا لم تخبرنى فى ذلك اليوم بما كان يشقيك ؟

مـــــــارك : كنت أشعر أن الأطفال لا يستطيعون أن يتحدثوا فى هذا الأمر إلى أمهاتهم . وفضلا عن ذلك فلم أكن أدرى معنى ذلك بالضبط . ثم حتى لو كنت أخبرتك كنت ستظنين أننى طفل . وكنت ستستمرين فى ذلك الطريق .

الأم : لم أكن أحبهم .

مـــــــارك : وذات مرة ، رأيتك مع رجل تشيكىّ يسكن عندنا . رأيتك ، فاهمة ، رأيتك داخل حجرتك .

الأم : مارك ...

مـــــــارك : ولابد أن ذلك كان السبب الذى جعلنى أخشى الحب زمنا طويلا .

الأم : مارك ، وهذا أيضا لم أكن أحبه . كان يضربنى . ولم أكن أحبهم ، لم أكن أحب سواك. ولكنك لم تكن تتحدث معى أبدا ، كنت تتركنى وحيدة مع أبيك الذى كان يبغضنى وأبغضه . لو أنك كنت تقول لى كلمة واحدة ...

مـــــــارك : لقد كنت تحبين الجنس .

الأم : ربما ليس ذلك أيضا .

(لحظة)

كنت بكل بساطة أخشى أن أظل بالقرب من ذلك الميت . كان دائما على صواب وكان يضحى دائما . ولكنه كان

ينغص حياتي كل يوم بمسائل نقوده ... كان لابد أن أهجره ، وأن أستمع إلى صوت آخر وأن أشعر بذراعين وجسد يفيض حياة بالقرب مني ، جسد يضحك ، ويتعذب ، ويتكلم وينفق نقوده ، باختصار جسد يتحرك ... ألا تفهمني ؟ ألا تفهم أنني كنت ميتة تريد أن تمسَّ الأشجار والدواب والأحجار الدافئة ؟

مـــــارك : **(بعد لحظة صمت ، ورأسه بين يديه)**

بلى ، إنني أفهم .

الأم : لم أكن أذهب معهم فى أغلب الأحيان إلا لكى يكون أحد إلى جوارى ، لكى أفر من ذلك الجسد الهزيل ، من ذلك الصوت الأجوف ، من تلك الحسابات التى كان يقوم بها حتى خلال أحلامه . الحب ؟ أوه أجل - لكم كنت أثق فيه وأنا صغيرة ...

مـــــارك : ألم يحبك أحد فى حياتك ؟

الأم : أبدا. كنت أبحث . كنت أبحث عن رجلى بين جمع هؤلاء الرجال ، ولكننى طبعا لم يكن بوسعى أن أجده بينهم ... لو لم تعد ذات مساء بجبين بادى الإصرار ، ولو أنك تحولت بكل وداعه من طفل صغير إلى رجل بين ذراعى ، فلربما بقيت بالقرب منك . فلابد وأن الأخريات يفعلن ذلك . ولكنت أصبحت جميلة فى نظرك . ولأبكيتنى ، ولأسعدتنى ولما شعرت بحاجة إليهم .

(لحظة)

وكانوا مع ذلك يتشاجرون معي بسببك ، فقد كنت أدعوهم باسمك عندما أكون شاردة الذهن .

مـــــــارك : صحيح ؟

الأم : وعندما كنت تمرض ، كنت لا أقابلهم حتى ولو توسلوا إليَّ . وعندما كنت تسرف في البكاء ، كنت أعود بسرعة . انظر ، لقد كنت أفعل كل ما أستطيع .

مـــــــارك : **(يكاد يبتسم)** – كل ما تستطيعين .

الأم : لماذا تبتسم ؟

مـــــــارك : لماذا لم أوت القوة التي أستطيع بها أن آخذ بين ذراعي هذه الطفلة الكبيرة، هذه الطفلة العجوز ؟

الأم : تسخر مني ! ليس هذا لطيفا منك .

مـــــــارك : كلا ، إنني أنصت إليك . إنني أتصور أنك أمي وأشعر أنني عجوز .

الأم : لم تكن أبدا مثل الآخرين . فعندما كنت صغيرا ، كنت رزينا وواثقا من نفسك كالرجال .

مـــــــارك : كان ينبغي ذلك . هل كنت ، أنت ، واثقة من نفسك ورزينة يوما واحدا في حياتك ؟ هل كان هو رجلا مرة واحدة ؟

الأم : **(تنتفض)** – لا تحدثني عنه . هل تعتقد أنه تعذب يا مارك ؟

مـــــــارك : لقد قال الطبيب ذلك .

(تذهب إلى المرآة . تنظر إلى نفسها ، تجذب خصلاتها فوق عينيها)

الأم : هل عثرت على نقوده فى منضدة السرير ؟

مارك : لقد عهد بها إلى أخيه . ولقد أعطانى إياها قبل لحظة .

الأم : آه !

(صمت . لاتزال تنظر إلى نفسها فى المرآة . فجأة تسرع إلى مارك . تتعلق به ، تركع وتتشبث بركبتيه)

لن تهجرنى يا مارك ؟ لن تهجرنى ؟ لن تدعنى وحيدة تماما ؟

مارك : أعدك بذلك

الأم : إننى أريد أن أكون عجوزا ، ولكننى لا أريد أن أكون عجوزا وحيدة فى بيت ، تعيش مع أفكارها . لابد لى ممن يتحدث معى ، ويثير الضوضاء من حولى ، ولكن لا ينبغى أن أترك وحيدة ، ولو للحظة واحدة .

مارك : لسوف نكون كثيرين حولك يا ماه . وقد يصبح هناك أطفال يثيرون الضوضاء .

الأم : أوه . ولكننى لن أستطيع أن أراها ، هى ! فلسوف تكرهنى .

مارك : كلا . سوف تحبك . إنها تعلم كل شىء .

الأم : ولكننى دميمة ضخمة . قبيحة لا أهتم بنفسى ، كما تعلم .

مارك : سنشترى لك أثوابا تليق بك ، سننظم كل شىء هنا . فيجب أن تكونى فى هيئة حسنة .

الأم : كنا سنصير على ما يرام وحدنا . لماذا تريد أن تذهب معها ؟

مـــــــبـارك : لأنها هي أول من بين لي أنه من الممكن أن يجد الإنسـان كتفا يستند عليها ويستريح . وأنه من الممكن ألا نظل أبدا ننقذ الآخرين. ونفكر في الآخرين .

الأم : لا أريد أن أراها .

مــــــــارك : قد أنغص عليك بدوري قليلا ، ولكنني أريد أن أقول لك هذا . لقد عذبتني وأخجلتني وجعلتني أحبك وأبغضك كامرأة . لقد كنت بالنسبة لي امرأة تزوجتها منذ مساء أكتوبر ، وتخونني . لقد حللت مكان جميع النساء . لم أستطيع أن أكون غرا معهن مرة واحدة ، وأن أسعد لكوني غرا . كن يتعجبن أن يرين شابا في العشرين يعرفهن إلى هذه الدرجة الكبيرة . أما وضعي مع " جاكلين " فكان على النقيض من ذلك ، فقد اكتشفت معها هذه القوة الهادئة ، هذه الطيبة البسيطة التي يستطيع الإنسان أن يخبئ فيها رأسه ، في المساء ، حينما يستولى عليه الشر أو يتملكه الجبن الشديد . إنني أتمنى لو تفهمينني : إنني أحبك ولكنني أعاملك على أنك طفلة أتوقع منها دائما نزوة لا تلبث أن تشقيني . طفلة لا أستطيع أن أؤنبها لأنني لا أملك الشجاعة . لكي أراها تبكي ... إنني معك عجوز حزين . أما معها فعلى النقيض من ذلك ، أستطيع أن أكون طفلا ، أنا ، لأول مرة في حياتي .

(يقف . يصيح بهذه الكلمات الأخيرة بسعادة بادية على وجهه ، كما حدث قبل لحظة . صمت . الأم تنقبض ، تعيد شعرها على عينيها . تجاعيدها تغور)

الأم : إنني أكرهها .

مارك : لا ينبغي ذلك يا أماه . لسوف تحبينها ، أنا واثق من ذلك فهي جميلة .

الأم : وأنا قبيحة ، أنا !

مارك : إنها طيبة ، تعرف كل شيء . ولسوف تساعدك على الخلاص .

الأم : وأنا شريرة . لا أريد لأحد أن يخلصني .

مارك : ستكون وادعة صبورة . إنها تعرف العبارات والنظرات التي نجهلها والتي تقتل الشكوك والأفكار الخبيثة .

الأم : أريد أن أظل في ركني كما أنا . مادمت تخجل مني ، مادمت وحشا ، أريد أن أظل هنا ، لا أقوم أبدا ، ولا أتحرك أبدا ، ولا أفكر أبدا وبخاصة لا أفكر أبدا .

مارك : ماذا بك ؟

الأم : لا أريد أن أراها ، تلك التي تتمتع بجميع الخصال الحميدة . فسأخفيها .

مارك : لماذا تريدين أن تعذبيني مرة أخرى ؟ سترينها . سنكون سعداء معا وأنا واثق أنك ستكونين جدة طيبة .

الأم : **(ساخرة)** أنا جدة ؟ ...

مارك : لماذا تتخذين هذه الهيئة البغيضة . إنك تحبين الأطفال الصغار .

الأم : (**ساخرة**) لقد قتلت منهم الكثيرين .

مـــــــارك : أماه . أتوسل إليك . يجب أن تكونى سعيدة معى ، لكى تمنحينى الحق فى أن أكون سعيدا أنا أيضا .

الأم : أنا ، جدة ... حينئذ ستكون لدى قصص جميلة أحكيها لأولادك ، قصص تميتهم من الخوف .

مـــــــارك : أماه ...

الأم : إننى أطلب منك ألا تمسنى .

مـــــــارك : لماذا ؟

الأم : فإننى أنفرك . وأخجلك وأبعث على اشمئزازك !

مـــــــارك : ولكنك مجنونة يا أمى . أقسم لك أنك لن تبعثى على اشمئزازى أبدا .

الأم : (**تصرخ فيه**) - لو قلت لك ...

مـــــــارك : ماذا ؟

الأم : لو قلت لك . وغفرت لى لأصبح كل شيء ميسورا .

مـــــــارك : ولكن ، ماذا ؟

(**صمت**)

الأم : لا شيء . أنا مجنونة . أنت على حق .

(**صمت آخر**)

مـــــــارك : إننا لا نستطيع أن نظل على هذه الحال ، وهذا الحرج يقوم بيننا . ماذا كنت تريدين أن تقولى ؟

الأم : يبدو لى أنه قد يتوقف عن تحريك ساقيه وإدارة عينيه ، لو كنت معى. كان هذا يحدث دائما . فما إن كان يشعر بك معى ، حتى يخاف .

مـــــــارك : عمن تتحدثين ؟ وممن تريدين أن أحميك ؟

الأم : منه .

مـــــــارك : ولكنه الآن ميت .

الأم : أجل إنه ميت .

(صمت)

مـــــــارك : فماذا ؟

الأم : لا شيء يا مارك . إنني لا أدرك ما أقول .

(تشرب . ينظر إليها دون أن يقول شيئا . صمت طويل)

الأم **(تهم بالخروج)** سأذهب لأرتدى ثيابا أليق من هذه .

مـــــــارك : **(يوقفها)** – أمـاه .

الأم : ماذا تريد ؟

مـــــــارك : لقـد كنت تكرهينه ، ومـع ذلك فـإن تلك الحـيـاة الطويلة المشتركة قد خلقت بينكما نوعا من العادة ؟

الأم : ربما

مـــــــارك : حينما كان يتعذب ،حينما كان يصرخ أمس فى سريره ، هناك ، كنت ...

(ينظر إليها)

إننى مجنون .

الأم : أجل ،إنك مجنون ، دعنى .

(تتقدم خطوة)

مـــــــارك : أمـاه .

(تتوقف)

كنت تكرهينه ، ولكنك في الواقع كنت لا تتــمنين له مكروها ؟

الأم : لست أدرى .

مـــارك : ففى تلك الكراهيـة ، كـان هناك جـانب من التـبرم ، من الحقد على حياتك الفاشلة ، وليس عليه هو ؟

الأم : كلا ، عليه هو ؟

مـــارك : ومع ذلك . فحينما كان يمرض كنت تعنين به فى كل مرة .

الأم : صحيح ! لقد اعتنيت به . إن مكافحة الأمراض ،عملية انعكاسية ،لا إرادية .

مـــارك : كان من الممكن أن تكرهيه . ولكنك لم تكونى تتمنين له هذه الآلام المبرحة التى قاساها .

الأم : الآلام ، لا .

مـــارك : ولا موته أيضا .

الأم : كلا . لقد كنت دائما أتمنى له الموت .

مـــارك : ليس هذا صحيحا يا أماه . وإلا لما اعتنيت به فى كل مرة كنت تفعلين ذلك وحينما كان يتأخر فى الرجوع مساء ، كنت تشعـرين بالقلق فى بعض الأحيـان . فـقـد كنت تخشين أن يقتل نفسه من الإرهاق .

الأم : (**بابتسامة رهيبة**) لأننى كنت أخاف من الدم ، من الجثث . ولكننى كنت أتصور الجنازة ثم الحرية ... حريتى !

مـــارك : أوه ! إنك فظيعة .

الأم : لقد قلت لك ذلك .

مـــــــارك : ولكن أية مصلحة ، وأية سعادة يمكنك أن تنتظريها من وراء موته ؟ فقد كنت حرة وكان بوسعك أن ترحلى منذ زمن بعيد .

(لا تجيب)

من الممكن أنك كنت تتمنين موته كما كنت أتمنى أنا موت عشاقك . دون أن نؤمن بذلك كثيرا .

الأم : **(تمرر يدها فوق جبينها)**

أجل ، ربما . دون أن نؤمن بذلك كثيرا .

مـــــــارك : انظرى ، ما كان ينبغى ذلك . لقد جاء الموت من تلقاء نفسه ، والآن تشعرين بالخوف لأنك كنت تتمنَّينه .

الأم : أجل .

مـــــــارك : **(يمسكها)**

أيتها الأم العجوز المسكينة ! لا ينبغى أن تشعرى بالخوف ، فربما كان هو أيضا يتمنى موتك . يجب أن تحاولى أن تكونى سعيدة . بلا أفكار شريرة .

الأم : أجل . بلا أفكار شريرة .

مـــــــارك : إنك بالقرب منى . لا تخشين شيئا ؟

الأم : ألن تهجرنى يا مارك ؟

مـــــــارك : نعم لن أهجرك ، يا أماه .

(صمت)

الأم : هل صرحوا بدفنه ؟

مـــــــارك : أجل . منذ لحظة . لماذا تسألييننى عن ذلك ؟

الأم : أبدا . كنت أريد أن أعرف . فلما كانت هناك حالة تسمم ، فقد كان بوسعهم أن ...

مارك : كان بوسعهم ... ماذا ؟

الأم : لا شيء . إجراء تحقيق .

مارك : لماذا ؟ لقد عثروا على آثار نبات الفطر الذى تسبب في الوفاة إنه أصفر صغير ، ومفعوله مدمر . الحالة واضحة ؟

الأم : أصفر صغير ؟

مارك : أجل . أصفر صغير . مسكين والدى العجوز كان يعتقد أنه من المستحيل أن يصاب بنبات الفطر .

الأم : كان دائما يعتقد أنه لا يُهزم . كان يلقن الآخرين دروسا عن كل شيء .هو الذى لم يكن قادرا على شيء ... كان يُذعر عندما نقترب من حصاده . ومع ذلك . فكان يجب في كل مرة أن أقوم أنا بتنقيته . ياللغباء .

مارك : هل قمت بتنقيته أول أمس ؟

الأم : كلا . لم أفعل ذلك أول أمس . كنت ثائرة الأعصاب . بل إنني لم أدخل المطبخ . ويمكن أن تخبرك جورجيت بذلك .

مارك : ومع ذلك ، فإني أتذكر الآن أنها جاءت تبحث عنك لكي تطلب منك أن تقومي بتنقيته . وكانت تقول إنها غير متأكدة من جمعه .

الأم : لا أذكر ذلك . لابد وأنك مخطئ .

مارك : حينما جاءت تبحث عنك . ذهبت أنت معها .

الأم : أنا لم أدخل المطبخ .

مـــــــارك : (**يصيح فجأة**) - ولكن لماذا تقولين ذلك ؟ لقد نزلت أنا بعد ذلك .
فرأيتك بعيني في المطبخ ...

الأم : مادمت لا تريد أن تصدقني ، فلا تصدقني .

مـــــــارك : ولكنني أريد أن أصدقك يا أماه . أريد ذلك بكل قواي . ينبغي أن أصدقك ، ولكن لا تقولي كذبا ، كذبا لا يجدي .

الأم : إنني لا أقول كذبا .

مـــــــارك : لا تلحي ، أتوسل إليك . إن الأمر بسيط جدا . فلماذا هذه الكذبة التي يمكن أن تجعلني أظن الظنون الخاطئة ؟

الأم : لم أكن في المطبخ ، قلت لك .

مـــــــارك : ولكنني رأيتك يا أماه ! مررت من باب الحديقة ، واجتزت الحجرة ، كنت أسرع وكنت أنت هناك . عن يميني .
(**يصيح**)
أماه لقد كنت أمام المنضدة ! إنني أستعيد منظرك الآن .
كنت تقومين بتنقية نبات الفطر هذا ؟

الأم : أنت تكذب .

مـــــــارك : ولكن لا تقولي هذا ! الأمر بسيط بكل تأكيد . وأنت تعلمين تماما أنني لا أفكر في اتهامك بشيء ... من الممكن جدا أن تكوني قد انتقيت نبات الفطر شأنك في المرات الأخرى ، ولم تعرفي الفاسد منه . هو ذاك ، أليس كذلك؟ هو ذلك ؟ أنت لا تعرفين .

الأم : أجل ، أنت على حق لم أكن أعرفه .

مـــــــــارك : هو ذاك ،هو ذاك . فـأنت لم تشـاهديه . لقـد أخـبـرنى الطبيب أنه يوجد منه كمية ضئيلة جدا فى الإقليم . وأنه يوجد بنوع خاص فى مناطق الألب . فى مسقط رأسك . فإذا كنت رأيتيه فلم يكن ذلك إلا هناك ، فى الماضى . إنه صفير أصفر ، صفير جدا ...

(يتوقف ، مذهولا . ينظر إليها . صمت طـويل جدا ، لا يكاد يهمهم)

لقد قلت لى قبل برهة إنه أصفر صغير . إذن فقد رأيته ؟ كنت تعرفينه ومع ذلك فلم تتعرفيه . لقد أسـأت تنقيـة نبـات الفطر ، ولذلك فـأنت تشـعـرين بالخـجل ... كنت مريضة ، شاردة ؟ ولكن أجيبينى ، أجيبينى بـ " أجل " !

الأم : لم أعد أدرى ، يا مـارك . إننى أفقد صوابى أمام هذه الأسئلة التى توجـهها إلى . لا تسـألنى عن شىء . إننى فى غاية الشقاء ، فى غاية الضياع . صحيح إننى طفلة ، إننى طفلتك الصغيرة بدورى . فدونك أكون وحيدة تماما . أنت الذى كنت دائما تنقذنى من كل شىء . فخذنى بين ذراعيك كما فعلت قبل لحظة . أتوسل إليك .

(تجلس القرفصاء عند ركبتيه)

مارك ! أريد أن أكون جدة كما وعدتنى . أريد أن أكون عجوزا طيبة ، مستقيمة . جدة لها حفدة. لن يخافونى ، أقسم لك . سوف أضحكهم ولسوف ألعب معهم لعبة الطبلة والكلب ، كما كنت أفعل معك حينما كنت صغيرا .

ماذا تريد أن تسألني ؟ لماذا أسئلتك تخيفنا نحن الاثنين ؟
مارك ، أريد أن أكون سعيدة كما وعدتني ولا أفكر في شيء .

مارك : لماذا لم تحسني تنقية نبات الفطر ؟

الأم : لم أعد أذكر . لقد قمت بتنقيته كالمرات الأخرى . أؤكد لك .

مارك : لماذا لم تلقي بالفاسد منه ؟

الأم : لأنني لم أكن أعرفه يا عزيزي ! هذا أمر بسيط . ماذا تريد أن تعرف أكثر من ذلك ؟ صدقني .

مارك : أريد ذلك يا أماه . أريد أن أصدقك . ولكنه نبات فطر من مناطق الألب . وكنت فتاة في ذلك الريف . وقد رأيته .

الأم : أقسم لك أنني لم أره .

مارك : أنت ترين جيدا أنني لا أستطيع أن أصدقك ! فقبل برهة ، قلت لي إنه كان أصفر صغيرا .

الأم : قلت ذلك ، أجل . ولكن ذلك لأنني لابد وأنني سمعت الطبيب يقول ذلك . أجل هو ذاك ، هو ذاك . لقد سمعت الطبيب يقول ذلك . لا داعي للبحث لا داعي أبدا للتساؤل . مارك ، خذني بالقرب منك ... تبحث ثانية ؟ ماذا إذن تريد أن تعرف ، لكي نتعذب نحن الاثنين ؟

مارك : الحقيقة . وسأعرفها : ولو كانت أرهب حقيقة .

الأم : لا ينبغي ذلك يا مارك ، لا ينبغي !

مارك : (**ينادي**) جورجيت .

الأم : مارك . أتوسل إليك . إن حياتنا يمكن أن تصبح سعيدة لو شئت ... أقسم لك إنك أخطأت ، نحن ضحيتان

لملابسات فظيعة ، لأسرار لا نعرف كيف نهرب منها .
لا يجب أن تسأل أكثر من ذلك .

مـــــارك : جورجيت .

الأم : مارك . كلا . يا مارك ، أنت شاب ، طيب . وستحصل على هذه الفتاة الجميلة التي تشبهك كثيرا . فاسعد ، ودعني أنتهي في هدوء ، دون أن تسألني عن شيء . فما جدوى ذلك الآن ؟ قل ما جدوى ذلك ؟

مـــــارك : جورجيت .

(تدخل)

جورجيت . أنت . ألم تكوني متأكدة من نبات الفطر الذي جمعه والدي أول أمس ؟

جـورجـيت : كلا ، يا سيدي مارك .

مـــــارك : هل قمت بتنقيته ؟

جـورجـيت : أنا لا أفهم شيئا .

مـــــارك : وسيدتك هل قامت بتنقيته ؟

(جورجيت لا تجيب)

أجيبي .

(جورجيت تنظر إلى الأم)

الأم : أجيبي يا جورجيت ! فقد كنا معا . كما تذكرين . وقد تخلصت مما اعتقدت أنه فاسد .

جـورجـيت : لقد ألقيت ببعضه . هذا صحيح .

مـــــارك : هل لاحظت بعضا منه كان أصفر صغيرا في الطبق الذي قدمته إلى والدي ؟

جــورجــيت : زهور سقوط .

مـــــــارك : زهور سقوط ؟

جــورجــيت : هكذا نسميها في بلدتنا .

مـــــــارك : هل كنت تعلمين أنها سامة ؟

(صمت)

الأم : **(تندفع نحوها)**

جــورجــيت ، أظن أنك لن تكذبي الآن ؟ وتقــولي إنك أخبرتِني بذلك . ليس هذا صحيحا !

مـــــــارك : دعينا .

(يدفعها بحركة عنيفة)

لو سمحت ، أجيبي ، هل كنت تعرفين ؟

الأم : كلا ! لم تكن تعرف !

مـــــــارك : هل كنت تعرفين أيتها الفاجرة ؟

(يلوى رسغها)

جــورجــيت : آي !... إنك تؤلمني .

مـــــــارك : سأظل ألوى حتى تجيبي !

الأم : ولكن لماذا تريد أن تجيبك ؟ ستكذب .

جــورجــيت : آي ! آي ! آي ! أجل . كنت أعرف .

(يتركها . صمت طويل . الأم ، منبطحة تكرر آليا)

الأم : إنها مجنونة ... إنها مجنونة ... إنها مجنونة ...

مـــــــارك : لماذا قدمته له مادمت كنت تعرفين ؟

جـورجـيت : **(تصمم فجأة)** - إنها سيدتى التى أمرتنى بذلك . قالت لى إنها ستعطينى خمسمائة فرنك حينما تحصل على العشرة آلاف فرنك .

(مارك لا يتحرك . الأم تصبُ لنفسها لكى تشرب دون كلام)

جـورجـيت : **(تدعك رسغها)** - لقد أخبرتك أنت بذلك . ولكننى سأسكت من أجل الشرطة . إنه الآن سر بيننا نحن الثلاثة .

(صمت آخر)

لن أذيعه أبدا ، بكل تأكيد . كل ما هناك أنه يجب إعطائى الخمسمائة فرنك . ويجب أن يكون سيدى مارك لطيفا معى .

مـــــارك : **(يصرخ فجأة كالمجنون)**

جاكلين ! جاكلين ! أنقذينى .

تسدل الستارة

الفصل الثالث

الديكور نفسه

(مارك في فراشه . نائم . الصباح . الشيش مغلق . شعاع من الشمس . الأم تجلس القرفصاء أسفل السرير . تتطلع إلى مارك دون حراك . هناك إحساس بأنها في هذا الوضع منذ فترة طويلة. صمت طويل . مارك يتقلب فجأة وهو نائم ، ينكشف ، تغطيه ، ينكشف مرة أخرى)

الأم : نغط إذن . مالك تضطرب ؟ لابد أنك تحلم أحلاما مزعجة . والذنب ذنبي.

(مارك يمرر ذراعه على جبهته عدة مرات)

أطرد هذا الكابوس ، اطرده ... آه تبتسم الآن ، لابد أنك لم تعد تفكر فيَّ . هذا أفضل .

(تشرب وتعود إلى حلمها)

أنت جميل وأنت نائم . كم ستكون سعيدة معك ، تلك الفتاة . أنت تعرف كيف تسوِّى أمورك بكلمة واحدة وتتغلب على كل المشكلات . تنفذ كل شيء بنظرة

أو بإيماءة . ما أجملك وأنت نائم . لم أكن أدري يا حبيبي ،
لم أكن أدري . كنت أبحث كالبلهاء بين الرجال . لو كنت أعرف ...
(صمت طويل . يتحرك)
هذه آخر مرة تنام فيها في سريرك الصغير . أصبحت
تفزع مني وستذهب إلى حال سبيلك . آه ليتك توافق على
البقاء هنا معنا . قليلا فقط ... حتى لا يكون عثوري عليك
وفقدك في يوم واحد .
(صمت)
إنك حتى لا تجرؤين على أن تطلبي منه ذلك ، أيتها الأم
البلهاء. أم جميلة .
(تشرب)
بهذه الكئوس الصغيرة وهذا البرنس .
(جورجيت تدخل)
(الأم تشير لها بألا تحدث ضوضاء)
ما يزال نائما .
(صمت)

جورجيت : ومع ذلك فعليك أن تصلحي من هندامك قليلا ، وأن تنظفي نفسك على الأقل ، وتمشطي شعرك .

الأم : فيم يفيد ذلك ؟

جورجيت : هكذا تستطعين الإبقاء عليه .

الأم : لم أعد أملك طريقة للإبقاء عليه . ولم أوت طريقة على الإطلاق . لوكان صغيرا ، فربما حاولت أن أتحدث إليه ، أما الآن ...

جـورجـيت : ومع ذلك فيستحسن أن تنظفى نفسك وأن ترتدى ثوبا .

(لا تجيب . تشرب)

وألا تشربى بهذه الكثرة .

الأم : لا تضايقيني ، أنت الأخرى ؟

جـورجـيت : ومع ذلك فليس هذا أمرا عاديا ، أن تهمل امرأة نفسها وتشرب بهذه الطريقة .

الأم : دعيني وشأني .

جـورجـيت : إذا أردنا أن نثير إعجاب الرجال فعلينا بالنظافة . هذا هو الشرط الأول .

إنني أعرف تماما أن هذا أمر ليس مسليا دائما ... ثم إنك تستيقظين متأخرة عني . فلديك الوقت .

الأم : لا أريد أن أثير إعجاب الرجال .

جـورجـيت : هذا كلام .

الأم : لقد انتهى الأمر.

(صمت)

جـورجـيت : والسيد مارسيل هذا – كان مع ذلك يبدو محبوبا .

الأم : ربما . لست أدرى .

جـورجـيت : كان حسن الهيئة . ليس كسابقه . وحينما كنت ترسلينني إليه برسالة كان يحاول أن يقترب مني . الرجال كلهم متشابهون . أنا لا أقول ذلك لكي أغضبك .

الأم : ليتك تعلمين أن هذا لا يهمني .

جـورجـيت : أما بخصوص السيد مارسيل فقد كان الأمر مفاجئا . ومن شأن هذا أن يحدث صدمة حينما تكون الواحدة منا متعلقة .

الأم : يحث صدمة ، أجل . وبعد ذلك نكف عن التفكير فيه .

جـورجـيت : يجب أن نبقي عليهم دائما . فما إن نتركهم حتى يذهبون . إن منهم من يسهل الإبقاء عليهم .

(تنظر إلى مارك بقسوة)

الأم : إنه جميل ، أليس كذلك ؟

جـورجـيت : **(ببرود)** أجل . ولكنه يؤلم . إنه ماجن . ثم إن الأمر معه لم ينته .

الأم : **(بالقرب من السرير)** وأنت أيضا يا صغيرى تعلم أن الأمر لم ينته ؟

جـورجـيت : علما بأننا لو كنا نصده فى تلك الأوقات ، لقتلك .

الأم : **(تكرر)** لقتلك ... ولا تريد أن تصفح عني ...

(صمت . تنظر إليه)

إنه جميل . أليس كذلك ؟

جـورجـيت : **(كما فعلت قبل برهة)**

أجل

الأم : سيرحل غدا . يريد أن يعود إلى الأخرى .

جـورجـيت : كلا . سيرحل بمفرده .

الأم : هل أخبرك بذلك ! متى ؟

جـورجـيت : هذه الليلة .

الأم : هل كنت هنا ؟

جـورجـيت : أجل .

الأم : هل استبقاك ؟

جـورجـيت : أجل .

الأم : هل كان يرغب فيك ؟ هل كان ...

جـورجـيت : أجل .

الأم : وأخبرك ! وأخبرك بما سيفعله ؟ إذن فهو يثق فيك ؟
إذن فهو يحبك ؟

جـورجـيت : (**تهز كتفيها**) إنني أعجبه . وسينقضي ذلك .

الأم : لو أنك ، يا جورجيت ، تجعلينه يبقى ؟
(**تهز كتفيها**)
مادام يريد أن يرحل بمفرده . مادام لن يعود إلى الأخرى ، فهذا ممكن .

جـورجـيت : ربما .

الأم : جورجيت ، أنك تستطعين أن تجعليه يبقى إذا كان يرغب فيك . اجعليه يتعلق بك أكثر . اجعليه لا يستغني عنك .
حينئذ لن يقوى على الرحيل .
لماذا لا تردين علي ؟

جـورجـيت : إنه شبه مجنون . إنه يعذبني .

الأم : ولكنك سعيدة معه . هل تحبينه ؟

جـورجـيت : كلا .

الأم : سأعطيك مالا إذا أبقيت عليه .

جــورجــيت : كلام . إنك حتى الآن لا تستطعين أن تعطينى الخمسمائة فرنك .

الأم : سأبيع بعض الخواتم . سأعطيك إياها .

جــورجــيت : إنه يعذبنى .

الأم : ذلك لأنه يحبك ،أيتها الصغيرة البلهاء، جورجيت . إذا رحل فعلى السلام، إننى وحيدة مع جثة الآخر الذى يلاحقنى . وأنا الآن غير قادرة على حب الرجال الآخرين . إنه هو الذى كنت أنتظره يا جورجيت . إن احتفاظنا به ، وعدم بقائنا وحيدتين فى هذا المنزل ، أمر يرجع إليك أنت . ألا يهمك هذا الذى أقوله لك !

جــورجــيت : أنا أستطيع العثور على آخرين .

الأم : ليس فى جماله ولا فى طيبته .

(تصرخ)

جــورجــيت : حذار . فستوقظينه .

الأم : (برقة) ليس فى قوته ، ليس فى رقته ...

جــورجــيت : إذن ، يجب أن تزيدينى . فقد عرض على أكثر .

الأم : سأزيدك . أعدك بذلك .

جــورجــيت : تزيديننى مائة فرنك ؟

الأم : أجل . مائة فرنك .

جــورجــيت : ثم إن العمل هنا شاق .

الأم : ستنزلين متأخرة . وسأصحو أنا أولا . وسأقوم بالأعمال التى تضايقك إذا بقيت .

جــورجــيت : (**بارتياب**)
ستغسلين الآنية ؟

الأم : أجل ، سأغسل الآنية . انظرى إليه ، أيتها الصغيرة البلهاء . أتظنين أن بوسعك أن تعثرى على عاشق آخر كهذا ، أو يحبك مثله ؟

جــورجــيت : إننى كما تعلمين أفضل لو أحبنى أقل من ذلك ...

الأم : لا تقولى هذا ! إنك بلهاء . هذا لأنك طفلة . لابد من أنك تعرفين كيف تسعدينه وتصبحين سعيدة . يجب أن تعرفى . تضايقينه ، تعذبينه ، يكون فى قبضتك .
(صمت ، تمرر يدها فوق جبينها)
سأعلمك .

جــورجــيت : أجل ، فأنت تجيدين ذلك ، أنت .

الأم : **(دون أن تسمعها)** – ما فائدة ذلك ؟ المهم أن يبقى ... سأعلمها .

جــورجــيت : كل ما هناك أنه يجب عليك أن تساعيدينى . فلو أنك دفعته إلى الرحيل كلما نظر إليك ، فإننى لا أضمن شيئا .

الأم : سأصلح من هندامى .

جــورجــيت : إذا كان يحبك عجوزا ، فلا يجب أن تقاومى . فإننى أتركه يفعل بى ما يشاء . لا ينبغى أن نتعب أنفسنا فى محاولة الفهم .

الأم : أنت على حق . سأفعل ما يريد . سأمارس التمرينات الرياضية .

جـورجـيت : الشرب هو الذى يزيد وزنك .

الأم : لن أشرب أبدا .

جـورجـيت : هناك أشياء كثيرة فى هذا البيت لا تعجبه . فأنا أعرفه .

الأم : سنقوم بعلاجها كما تريدين .

جـورجـيت : أجل . يجب طاعتى فى كل أمر إذا كنت تريدين أن ننجح فى الإبقاء عليه هنا .

الأم : سأنفذ كل ما تريدين .

جـورجـيت : حسن . سأسخن لك ماء . أولا سأحمل هذه الزجاجة .

الأم : خذيها .

(جورجيت تخرج)

سأعلمها يا مارك كيف تصنع . وسوف ترى . ستكون سعيدا . ستبقى يا حبيبى . وحينما تملها سنبحث لك عن أخرى . لكى تبقى معنا ...

(لحظة صمت ، تتأمله)

مـــارك : **(يفيق من النوم)**

أنت هنا ؟

الأم : نعم .

مـــارك : **(فى اللحظة التى لا نذكر فيها شيئا)**

جـورجـيت : أولا، يجب أن تكونى نظيفة . وأن تتركى هذا المئزر. وأن تلبسى جوارب.

(تلمس بطنها)

تقللى وزنك .

مــــــــارك : صباح الخير يا أماه . كنت أحلم .

الأم : صباح الخير يا صغيرى ...

(تهم بالاقتراب)

مــــــــارك : **(بقسوة)** آه ! اعتقدت أننى كنت أحلم . هل أعددت حقيبتى ؟

الأم : ليس بعد .

مــــــــارك : سأقوم وأعدها بنفسى .

الأم : ثم خمسة دقائق أخرى وسأعدها لك ، كما أعددتها لك حينما ذهبت لقضاء الخدمة العسكرية .

مــــــــارك : كلا .

الأم : هبنى هذه المتعة يا مارك . فما عسى يكلفك هذا ؟

(يسقط على السرير من جديد . تبدأ هى)

هل ستأخذ جميع المناديل ؟

مــــــــارك : أجل ، جميعها .

الأم : وجميع القمصان ؟

مــــــــارك : أجل .

(صمت)

الأم : ألن تعود إذن ؟

مــــــــارك : بلى .

الأم : سترحل معها ؟

مــــــــارك : لا تكلمينى .

(صمت)

إننى مضطر لأخذ نصف هذه النقود لكى أعيش فى انتظار أن أجد عملا .

وسأرسل إليك بها . أما الباقى ففوق المدفأة ، تحت إناء الزهر ويمكنك أن تفعلى به ما تشائين .

(صمت)

الأم : أنت تكرهنى ؟

(مارك يهز كتفيه)

قبل أن تعرف بخمس دقائق ،كنت تأخذنى بين ذراعيك ، وكنت تحبنى .

هذا لأنك عرفت ذلك .

(صمت)

لو أنك قرأت هذا فى قصه ،لأفزعتك تلك المرأة التى تقتل لكى تعيش مرة أخرى .

(لا يجيب)

كلا، أليس كذلك ؟ طالما سمعتك تقول هذا لأصدقائك . لا يجب أن نحيا إلا للحب ، يجب أن نحطم كل شىء ، وأن نتغلب على كل شىء . إيه حسن . فهذه هى الحياة للحب كما ترى .

(لا يجيب . صمت)

وعندما تكون امرأة عجوزا فإننا لا نغفر لها .

مارك : لا تكلمينى .

الأم : أوه ! دعنى على الأقل ، أكلمك ، دون أن تجيبنى . فعندما سترحل سيقضى على بصمت أبدى .

مـــــــارك : تكلمي إذا شئت .

الأم : **(بعد أن عملت لحظة في صمت)**

أنت على ما يرام في سريرك الصغير ، أنت تعرف جميع أركانه الآن لقد اشتريناه معا من مدخرتنا رغما عنه ، فقد كان يريد أن تحتفظ بسرير عمك القديم المصنوع من الحديد . قبل زمن بعيد كنا نتآمر معا .

مـــــــارك : قبل زمن بعيد . أجل .

الأم : وأمس . حينما تحادثنا ، رأيت أن ذلك يتكرر مرة أخرى . لطالما تمنيت أن تعطيني الفرصة لأشرح لك قبل أن ترحل .

مـــــــارك : كلا ، لم أعد أريد أن أفكر في ذلك . أريد أن أمحوه من حياتي بوجهه الأخضر ويديه اللتين فوق بطنه ، وأمحوك من حياتي ، أنت أيضا وأصبح بعد ذلك يتيما ، يتيما بلا ذكريات .

الأم : كنت أرجو فقط أن تعرف كيف حدث هذا بسرعة . لقد كنت دائما أتمنى دون أن يخطر ببالي أنني سأقتله . وفي ذلك اليوم رأيت نبات الفطر الأصفر الذي لم أكن متأكدة منه . فأنا لم أجمعه . بل إنني حتى لم أحاول أن أعرف إذا كان ساما فعلا . لقد تركته ، هذا كل ما في الأمر .

(صمت . تنظر إليه)

إنك تستطيع أن تغفر لي ، أنا أعرف ذلك . ولكنك تعرف هذا الظمأ، وهذا الضباب الذي يغطي العيون .. تعرف أننا من الممكن أن نخاطر بحياتنا في لحظة واحدة .

(لا يجيب)

هل تريد مع ذلك أن تأخذ الصورة ؟ الصورة التى كنت تحبها . لقد لصقتها من جديد .

مـــــــارك : هاتها .

(تخرجها من صديريتها)

الأم : لقد لففتها فى ورقة حتى لا تتهلهل .

(صمت . تنظر إلى الصورة . تحلم)

أمر فظيع أن يكون ذهابك الآن بالذات وقد كان كل شىء قد بدأ يصبح جميلا . " لا مجال للتوافق والمبادلة " . ربما أحببتنى أنت ، حينما كنت أذهب معهم . كنت تتألم ، وكنت أتغابى . آه ! لو كنت تعلم ماذا كانوا ، وماذا أخذت منهم ... لقد فات الأوان . " لا مجال للتوافق والمبادلة " إنها أغنية كنت أسمعها حينما كنت شابة .

(تحاول أن تغنى)

" ومع ذلك فلا مجال للتوافق والمبادلة "

" يذهب الحب حينما يأتى الحب " .

إننى أغنى نشازا . بين الأمهات والأبناء فى العادة ، يكون ثمة توافق ومبادلة . وبعد ذلك فأنت شاب ، يجب أن تعيش . وأنا عجوز .

(تجلس القرفصاء كما فعلت قبل برهة بالقرب من السرير . تتناول كأسها التى كانت فوق الأرض وتأتى عليها)

لن تمنعني بعد ذلك من الشرب . لقد أرادت جورجيت قبل برهة أن تقدم لي الموعظة . طلبت مني أن أغتسل ، وأن أصلح هندامي حتى لا أنفرك كثيرا ، وتتولى هي الباقي ، هي . هل تحبها ؟

مـــــــارك : كلا .

الأم : إنك ترغب فيها . إن ظمأك ليس إلا لها ، ولكنك أكثر مني مكرا وأكثر مني تدبيرا . فلن تبيع حياتك بثمن بخس نظير فعلة . لسوف تتزوج من فتاتك الجميلة . وسيكون لك أطفال على قدر من الجمال . ولسوف تخرس كل هذه الأصوات القذرة التي تصرخ فينا داخل بطوننا ... أنت على حق . يجب أن يكون الإنسان جادا شريفا . ولابد من أنه بذلك يصبح سعيدا .

(تشرب)

أما أنا فقد فات الأوان ، حتى لكى أصبح جدة . وأما أنت فوضعك أفضل . إن ما أريده هو ألا تسرف في بغضي . لقد كنت قاسيا - كما تعلم - لا تتنازل عن حقك في بعض الأحيان كوالدك ، كالآخرين ...

أنت ! وربما لو كنت مددت إليَّ يدك لكنت تعلقت بها .

(صمت)

مارك ، حتى لو كنت أثير اشمئزازك الآن ، فإنني أود أن تعدني بأن تترك فترة من الزمن تنقضي ، ثم بعد ذلك تفكر بطريقة أفضل . لو أعرف أنني لا أنفرك فمهما

أصـبـحت ، يلـوح لى أن ذلك سـيـجـعلنى أشـعـر أننـى لازلت شابة .

(صمت)

ألا تجيبنى ؟ ومع كل فـإننى أجـد متـعة فى أن تتـيح لى فرصة الكلام . أعتقد أنها أول مرة أتحدث فيها إليك . وأقول لك جانبا مما يجثم فوق قلبى . إننى لا آمل طبعا أن أجعلك تدرك أنه كان لى مع ذلك دور صـغير ، صـغير جدا لدرجة أننى كنت أفـقده من آن لآخـر . ولا آمل أن أجعلك تـدرك أننى إذا كنت أما سيئة - كما لابد من أنهم أخبروك - فإننى مع ذلك أحبك على طريقتى الخاصة ...

(صمت)

مـــــــارك : يجب أن أنهض !

الأم : أى قطار ستأخذ ؟

مـــــــارك : لست أدرى . الأول .

الأم : ألن تراها ، هى ؟

مـــــــارك : تظنين أننى أستطيع أن أراها ، الآن ؟

الأم : لست أدرى ، أنا . فأنا لست على علاقة كبيرة بالتقاليد العالية .

(تضحك قليلا بعصبية)

مـــــــارك : (ينهض ، يهزها)

ماذا بك ؟

الأم : لا شىء . لا تـهـزنى هكذا ! فـقـد أصاب بالمرض . ربما أسرفت في الشرب .لازال الوقت مبكرا . لقد أخذت منى

زجاجتي قبل لحظة . ولكنني هنا منذ الثالثة صباحا . صحوت لكي أنظر إليك . كنت أخشى أن ترحل دون أن تقول لي شيئا .

مـــــارك : لا يجب أن ترتدي مثل هذه الثياب . هذا فظيع .

الأم : دعني .

مـــــارك : يجب أن تتـــركي هذا المئـــزر . وتصلحي هندامك . وتمشطي شعرك .

الأم : ما الفائدة ؟ لمن ؟

(تتداعى فوق الأرض)

مـــــارك : لنفسك ... لي ...

الأم : أنا ، أنا عاهر .

مـــــارك : أماه .

الأم : وأنت ذاهب ، إذن ...

مـــــارك : لابد لك حتما أن تذهبي وترقدي ، وتعتني بنفسك .

الأم : عندما ترحل ، بعد لحظة . أما الآن فإنني لا أريد أن أفقد دقيقة واحدة . كما تعلم . يجب أن أراك حتى النهاية ، ليكن ذلك زادا لي خمس سنوات أو ست حتى الموت ...

مـــــارك : أماه ...

جــورجــيت : **(تدخل مذعورة)** - سيدى مارك ، الفتاة .

مـــــارك : ماذا ؟

جـــاكلين : **(تبعد جورجيت)** - أجل ، أنا . دعيني أدخل .

(تتوقف)

ما معنى هذا يا مارك ؟

مــــــارك : كما تريد . إننى أقوم من النوم .

جــــاكلين : لا تسخر منى . ما معنى هذا الخطاب الذى كتبت لى فيه أنك لن ترانى بعد ذلك ؟

مــــــارك : هذا يعنى أننى ذاهب .

جــــاكلين : مع من ؟ وإلى أين ؟

مــــــارك : ليس مع أحد ، ولا إلى أى مكان ...

جــــاكلين : لماذا ؟

مــــــارك : لقد منعتك أن تأتى لتسألينى عن ذلك .

جــــاكلين : إننى أحبك وواثقة من أنك تحبنى . من حقى على الأقل أن أعرف هذا .

مــــــارك : أجل ، أننى أحبك ، ولكننى راحل . ولن تعرفى شيئا .

جــــاكلين : اخرج معى !

مــــــارك : كيف ؟

جــــاكلين : أخرج الآخرين إذن

مــــــارك : كلا . أريد أن يبقوا .

جــــاكلين : أخرج على الأقل هذه الصغيرة التى تنظر إلى وكأننى جئت هنا لكى أسرق شيئا .

مــــــارك : كلا ستبقى .

جــــاكلين : حسن . سأتحدث أمامها ، فإننى لا أشعر بأى خجل ، أنا

مــــــارك : لو شعرت بالخجل لكنت مخطئة . إنك فى هذه اللحظة أجمل ما كنت بهذا الغضب وهذا الحب اللذين يمتزجان .

بوسعك أن تقولى أى شيء أمامهما ، فى هذه الحجرة التى تسودها الفوضى ، لهذا الشاب الأشعث الأغبر . ستكونين جميلة مع ذلك . وستكون جميع حركاتك بالضبط كما يجب أن تكون ...

جـــاكلين : إنك لا تحبنى فى هذه اللحظة .

مـــارك : بلى ، يا جاكلين .

جـــاكلين : يوجد نبرة حقد فى صوتك .

مـــارك : صحيح . إننى أعجب بك بحقد . أنت بالغة الجمال ، وكل ما هنا بالغ القذارة ، بالغ الفقر ، بالغ الفشل .

جـــاكلين : لماذا تخبرنى بهذا اليوم ؟ لقد جئت هذه الحجرة قبل ذلك .

مـــارك : ها أنت تقتحمينها مرتين .

جـــاكلين : سامحنى يا مارك . كان ينبغى أن أتحدث إليك

مـــارك : **(يصرخ فيها)**

ستقولين لى إنك تحبيننى ؟

جـــاكلين : أجل .

مـــارك : وأننى احبك ؟

جـــاكلين : أجل .

مـــارك : وأنك ستسعديننى ؟ وأنك ستمحين جميع الأوساخ وجميع الآلام التى تطبع وجهى ؟

جـــاكلين : أجل ، يا مارك .

مـــارك : وأننى مجنون ، أختلق الآلام ؟ انظرى ، إننى أعرف كل ما ستقولين ، فاذهبى .

جـــــاكـلـين : (بحزن بالغ)
سأرحل طبعا إذا أردت ذلك . ولكن دعني أحصل على كلمة ، على الأقل حتى لا أصاب بالجنون ... لماذا يا مارك ؟ لماذا ؟

مـــــــارك : أتريدين أن تزيدى من شقائي قليلا بإرغامي على إخبارك ؟
ما الفائدة اذهبى إذن مادمت أريد ذلك .

(تنصرف دون أن تنبس بكلمة وهى تترنح . وكلما ابتعدت ، غير الألم وجه مارك . ولا تكاد تخرج حتى يصرخ فيها)

أحبك ، يا جاكلين . أحبك ! أقسم لك . ارحلى وأنت تعلمين ذلك .

(تلتفت شاردة . يجرى ويركع أمامها)

ما أجملك ! ما أجملك ! ياللطيبة ، وياللنور فوق وجهك !
دعيني أنظر إليك مرة أخرى . مرة أخيرة .

جـــــاكـلـين : مستحيل يا مارك . لن يلبث هذا أن ينتهي ، ولن نلبث أن نفيق .

مـــــــارك : كلا . قد تظنين أنني أضحي بك في سبيل غرور ، أو خوف غامض ......
إنه سر واضح ،لا يرحم ، ذلك الذى يفصل بيننا .

جـــــاكـلـين : تستطيع أن تخبرني بكل شيء ، فأنت تعرف ...

مـــــــارك : بكل تأكيد ...

(ينهض ويسير كالمجنون وقبضتاه فوق عينيه . ينفجر ضاحكا)

إننى أعرف ، أجل . أعرف حتى إننى أستطيع أن أخبرك بكل شيء . ستعرفين كل شيء ، وستغفرين كل شيء ! أجل أستطيع أن أقدمهما إليك هاتين المرأتين . وأقول لك إننى ابن هذه وصورتها الصادقة .

(يهز جورجيت)

وأقول لك إن تلك جاءتنى هذه الليلة فى الفراش ، ولم أطردها ...

جورجيت : اتركنى !

مارك : أظهرى نفسك ! أظهرى نفسك ! انظرى . إنها فاجرة جميلة ، هيه ؟
إننى لا أحبها . وهى لا تحبنى !

(يهزها)

جورجيت : دعنى إذن ،إنك مجنون !

(تخلص نفسها وتهرب)

مارك : ليست لديها الشجاعة لمواجهة الموقف . لقد رأيتها ! وستكونين رائعة كعهدى بك دائما . أجل إننى أحبك . أجل ، أنت الأجمل ، وأنت الأرق ومع ذلك فإننى فى حاجة إلى هذه القردة الصغيرة .

جاكلين : مسكين يا مارك ...

مارك : ترثين لى . لقد فهمت ، لأنك قادرة على فهم كل شيء . أليس كذلك ؟
وهذا الفهم العجيب لابد من أنه جزء من تربيتك الممتازة .

جـــــاكلـين : مسكين يا مارك . أهذا هو السبب ؟

مـــــــــارك : ليس هذا وحـــسب ! انتظرى ، إنك لم ترى كل شىء ،
هناك الفصل الآخير! انظرى هناك بالقرب من السرير .
فوق الأرض . إنها أمى . أتسـمعين ! أنت التى اطلعتنى
على صـورة أمك البـاسـمـة المعلقـة على جدار حـجـرة
استقبالك ، تلك السيدة الجميلة التى ترتدى الدنتيلا،
وسط أصدقائها فى يوم من أيام الاستقبال الحافل .

مـــــــارك : هذه أمى ! وعندها هى الأخرى يوم استقبال . هو اليوم .
هيا انهضـى . سلمى . انهضى ! سلمى . على الآنسة .

الأم : ماذا بك ؟ أهذه هى يا مارك ؟

مـــــــارك : يجب أن تعذريها . فهى لا تعرف كثيرا كيف تحيى الناس .

جـــــاكلـين : أوه ! مارك . أتوسل إليك ...

مـــــــارك : هل أنت مسرورة ؟ هذه التى كنت تريدين رؤيتها ؟

(يدفع أمه ، تكاد تسقط فوق الأريكة)

انظرى ،إنها تسقط حينما نتركها ، ينبغى أن أسر إليك
إنها أسرفت فى الشرب .

جـــــاكلـين : مارك ، ماذا بك ؟ إننى خائفة . أنت مجنون .

مـــــــارك : لأنها تشرب ! إنك لم ترى شيئا بعد ! يجب أن تشاهديها
وهى تشرب ، أين زجاجتها ؟ صحيح لقد أخذوها منها .
ولكننا سنفتح لها أخرى . فدائما يوجد زجاجات هنا !

(يفتح زجاجة)

هيا . اشربى . اشربى .

الأم : مارك ، أنت مجنون .

مـــــــارك : أقول لك اشربى .

الأم : ولكنك ستخنقنى أنت مجنون ، أنت مجنون .

جـــاكلين : مارك ، أنا لا أحب ذلك ! إننى أمنعك ! ...

مـــــــارك : (**يدفعها**) . دعينى . اشربى . اشربى إذن !

الأم : (**تضحك قليلا وهى تشرب**) - أنت مجنون ، يا صغيرى أمام الناس ، أمام خطيبتك ...

مـــــــارك : لأننى نسيت ذلك . إنها خطيبتى ...

(**يصرخ**)

خطيبتى . وليمة الخطبة . زهور الخطبة . تعارف الخصم . أمى . أمك فى المستقبل . هيا ،الانفعال . الانفعال . عشاقها المختلفون ليسوا موجودين . اعذريهم . فقد احتجزتهم أعمالهم أو بعض الواجبات الاجتماعية . . ولكنهم كثيرون . على الأقل اثنا عشر . سنقدمك إلى أولئك الذين سنستطيع أن نجدهم منهم .

الأم : ولكن ماذا بك يا مارك ؟

مـــــــارك : ومع ذلك فإنك تعرفين أحدهم . آخرهم وأجملهم . السيد مارسيل ! السيدمارسيل ، يا ترى فى أى ناد قابلته ؟ ألا تذكرين جيدا ؟ إنه سائق والدك . السائق الذى سرق ، وقمتم بطرده . وها أنت ترين أن لنا أصدقاء مشتركين . فأمى كانت عشيقة لسائق والدك . والآن ماذا تفعلين هنا ؟

(**ينهار من الإعياء . صمت طويل**)

جـــــاكلـين : **(مخاطبة الأم)** سامحيني . إنني سأرحل . إنني لا أفهم شيئا . لو يسمح لي بالبقاء لحظة ، وبالتحدث إليه .

الأم : **(ضجرة ، ورأسها على الأريكة)**
أوه ! افعلي ما تريدين ... فأنا الآن قد فقدته .

جـــــاكلـين : **(تضع يدها فوق كتفه)** - مارك ...

مـــــــارك : إنني أبله . دعيني يا جاكلين . إنك أعظم من هذا كله وأكبر .

جـــــاكلـين : كلا ، يا مارك .

مـــــــارك : دعيني ، مادمت أطلب منك . فأنت تعرفين تماما أننا لا ننقذ الناس رغما عنهم .

جـــــاكلـين : أريد أن أنقذك رغما عنك ، يا مارك . أنك أعظم من الحقد الذي يعتمل في نفسك ، ومن هذا المشهد الرهيب ، ومن كل شيء . كنت أعرف هذا كله . فقد كنت أشك فيه منذ فترة طويلة . فالصغيرة مثلا ، أول يوم جئت فيه هنا ، أدركت أنها عشيقتك ، وأنها تحبك .

مـــــــارك : إنها لا تحبني . أنا أدفع لها الثمن .

جـــــاكلـين : وأدركت أيضا ، منذ فترة طويلة ، أنك تتعذب بسبب أمك . سا محيني يا سيدتي ، ولكن يجب أن نتكلم الآن بمنتهى الصراحة .

الأم : مارك . دعني أخرج . فما عساها ستقول ؟

مـــــــارك : أبقي ، يا أمي .

جـــــاكلـين : لا تخافي . فلن أقول شيئا يخجلك ، أو يضايقك . لقد تعذب مارك بسبب حياتك . بسبب استهتارك . ولكنني

أعتقد أنك كنت بائسة شقية ،أليس كذلك ؟ فإذا شئتما ساعدتكما ، حتى هذا الحقد الذى يقوم بينكما ، يبدو لى أننى أستطيع أن أقضى عليه .

الأم : دعنى أذهب يامارك ...

مـــــارك : كلا .

جـــاكلين : سنذهب لنعيش في الريف . أنا غنية . من المخجل أن أقول هذا ، ولكنكما ستريان أن كل شىء يصبح سهلا بقليل من المال . إن مارك يحبنى وأنا أحبه ولسوف يحب بعضنا بعضا .

الأم : **(تتوسل)** – دعنى أذهب يا مارك .

مـــــارك : ابقى يا أمى !

جـــاكلين : لماذا تريدين أن تذهبى ؟ هل أبدو غبية خرقاء فى نظرك ؟ ربما يكون فى كلامى ما يجرحك . يجب أن تسامحينى ! إننى أشعر برغبة شديدة فى إسعادك ، مارك ! لم هاتان اليدان فوق وجهك ، مادمت ترى أن كل شىء ممكن ...

مـــــارك : لا شىء ممكن . اذهبى .

جـــاكلين : أهى تكرهنى ؟ ألا تريد أن تأتى معنا ؟

مـــــارك : بلى ، هو ذلك .

جـــاكلين : ربما سأكون قاسية . ولكننى لا أقول ذلك من أجلى ، وإنما لأننى أحبك يا مارك ، عليك أنت الآن أن تحيا ! إنك لا تستطيع أن تبقى هنا يوما آخر . فأنت من جنس آخر . وأن الترف والمال والمجد وغيرها من الأشياء التى لا معنى لها بين يدى الآخرين ، إنما هى من أجلك أنت .

مـــــارك : (**بمنتهى البساطة**) ليس هذا هو كل شىء يا جاكلين . فإن أمى لكى تحصل على خمسمائة فرنك تعطيها لعشيقها ، قتلت أبى قبل ثلاثة أيام .

جـــاكلين : ماذا تقول يا مارك ؟

مـــارك : (**يصرخ فيها**) أقول لك إنها قتلت أبى ! أتجدين لذة فى سماع هذه العبارة مرتين ؟

جـــاكلين : ولكنك لا تدرى ما تقول ؟

مـــارك : إننى أدرى ، بكل أسف .

جـــاكلين : أبوك مات ؟

مـــارك : دفن بالأمس .

جـــاكلين : وكيف مات ؟

مـــارك : لقد تسمم من أكل نبات القطر .

جـــاكلين : ماذا ؟

مـــارك : نبات فطر سام قدمته له أمس . عمدا . هل فهمت الآن ؟

(صمت)

الأم : (**تهمهم**) – لا يجب أن تخبرها يا مارك ..

جـــاكلين : (**تنظر أمامها فى ثبات**)

(صمت أخر ، تسأل فجأة)

وأنت ، هل كنت تعلم ؟

(لا يجيب)

لم تكن تعلم . أنا واثقة من ذلك . سنهرب من هذا الكابوس ، ونصبح سعيدين . ستهيئ لها حياة رغدة

وهدوءا ، حيث تريد . وسنرحل إلى الطرف الآخر من العالم . قل ، لم تكن تعلم ، يا مارك ؟ فلا يمكن أن تتحمل عبء هذا الذنب . يجب أن تتركها ، وتأتى معى ، أنا التى أحبك ، وسأنقذك .

مـــــارك : **(بعد صمت ، وجها لوجه)**
نعم ، كنت أعلم .

الأم : مارك .

مـــــارك : لقد ساعدتها ...

الأم : أنت مجنون يا مارك ، لماذا تقول هذا ؟
(صمت آخر)

جـــاكلين : ولكن ماذا تقول ؟

مـــــارك : **(يسير نحوها وهو يصرخ كالمجنون)**
لقد ساعدتها . لقد أعددت نبات الفطر . هل تسمعين ؟ قدمته بهاتين اليدين ، ورأيته وهو يأكله . وكنت أنظر إليه وهو يتلوى ويخضر لونه فوق الفراش ، بعينى هاتين ... هل أدركت الآن ؟

جـــاكلين : **(تتراجع وتدمدم)**
بواسطتك أنت يا مارك ؟ لماذا ؟

مـــــارك : لست أدرى سببا . إننا هنا لا ندرى شيئا من الأسباب . من أجل النقود . من أجل الحصول على الصغيرة . من أجل لا شيء . إن هذا يخيفك ، فاذهبى . لست هنا فى بيتك ... هذه المرة لا تستطعين أن تفهمى . كلا . لا أريد

أن أحبك ! كلا ! لا أريد أن أذهب معك ! كلا ، لا أرغب في شفقتك . ولا أرغب في حبك . أريد أن أبقى هنا وسط قذارتي ... معها .

(يسشير نحوها رافعا قبضته . تخرج وهي تجرى ، يظل لحظة مشدوها . ثم يذهب فيسقط فوق سريره . الأم تقترب في خشية)

الأم : لو شئت ، وضعت المنضدة الصغيرة ، وتناولت إفطارك في سريرك ، كما كنت تفعل حينما كنت تتمارض لكي لا تذهب إلى المدرسة . ستكون على ما يرام .

(صمت)

انظر ، لقد تلاقينا بعد سنوات طويلة من الفراق . سنكون على ما يرام . فلن يخجل أحدنا من الآخر عندما نكون بمفردنا . لا يجب أن نرى الآخرين . هذا كل ما في الأمر .

(تحوطه بذراعيها)

تغط يا عزيزى !

تخيل أنك صغير ، وأنني لست تلك العجوز الشمطاء . وإنما الأم الجميلة التي في الصورة ، التي تحبها . سنتناول إفطارنا معا ، ولن نفترق ، أليس كذلك يا مارك ؟

مارك : **(والدموع تسيل فوق وجهه)**

بلى !

الأم : ستبقى ! إنك تريد أن تبقى مع ذلك ! أوه ، إذن لم يضع كل هذا الوقت وكل ما فعلت . لم يضع ما دام كان لابد منه لكي نتلاقى ! صغيرى مارك! رجلى الصغير !

(لجورجيت التى تدخل)

سيبقى ، سيبقى ، يا جورجيت . سنكون على ما يرام نحن الثلاثة . لن نطلع أحدا على أسرارنا . انظر كم هى جميلة ، هذه الصغيرة ستكون لك كل يوم وستقوم على خدمتك . ستسعدك ، ولسوف ترى . أليس كذلك يا جورجيت .

جورجيت : **(بابتسامة وضيعة)**

أنت تعرف ذلك تماما يا سيدى مارك .

(ينظر إليها بذعر . وفجأة ينهض ويرحل وهو يجرى كالمجنون)

الأم : **(تظل بلا حراك . ثم تصرخ وهى مكانها)**

مارك ! مارك ! مارك !

(تنظر إلى الباب لحظة ، لا تزال مشدوهة ، ثم تتداعى فوق الأرض وتجلس القرفصاء بالقرب من السرير وذراعاها حولها ، كما لو كان أصابها البرد فجأة . تهمهم)

لقد رحل .

(التى لم تتحرك)

جورجيت أجل . ولكن يجب إعطائى الخمسمائة فرنك إذا أردت ألا أقول شيئا .

(الأم لا يبدو عليها أنها سمعت)

تسدل الستار

نهاية جيزابيل

مجهولة آراس

مسرحية من ثلاثة فصول

أرمان سالاكرو

عرضت مسرحية « مجهولة آراس » لأول مرة يوم الجمعة الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥، على مسرح الشانزليزيه ، من إخراج " لونيى بو " وديكور " موليز" وموسيقى "ديلانوا " . وقد أدرجت المسرحية ضمن عروض " الكوميدى فرانسيز " كما عرضت فى قاعة مسرح لوكسومبرج من إخراج " جاستون باتّى " ، وذلك فى الحادى عشر من يناير ١٩٤٩

آرمان سالاكرو

ولد في رووان عام ١٨٩٩ ، درس الصيدلة والطب . هجر التخصص وتوجه إلى المسرح وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، اتخذ إنتاجه منذ البداية الطابع السريالي الذى لفت إليه المبدعين . كان صديقا لاثنين من كبار مخرجي العصر هما لويني بو وشارل دولان .

يجمع في مسرحية بين الفودفيل والدراما الطبيعية ، ومسرح البولفار (مسرح الشباك) والمسرح الفكرى .

يرى سالاكرو أن العمل المسرحي ما هو إلا نوع من التأمل فى الوضع الإنسانى ، فجاء إنتاجه حافلا بألوان العذاب والشقاء والمعاناة التى تحل بالإنسان دون أن يدرك لها سببا أو مغزى .

بدأ يعرف النجاح عام ١٩٢٤ مع مسرحيته " امرأة حرة " . ثم جاءت مسرحية "مجهولة آراس" ١٩٣٥ لتجعل منه أحد أعمدة الطليعة ، وهي أعظم أعماله . وهى تسجل لحظة الاستنارة التي يتوصل إليها الإنسان وهو على مشارف الموت . وقد أثارت المسرحية إعجاب السرياليين وكتاب المسرح المعاصر ؛ لما يغلب عليها من طابع التفكك الذى هو من سمات الأحلام ، عالم السرياليين . وقد اعتبرها المخرج

الشهير لويني بو " منشور المسرح المنتظر " ولخّصها قائلا: " مجهولة آراس تستمد قيمتها بنوع خاص من الطريقة المبتكرة في عرض دراما الإنسان الداخلية .

بعد مجهولة آراس كتب سالاكرو العديد من المسرحيات من أهمها :

رجل كالآخرين - الأرض كروية – ليالي الغضب – قبيلة لونوار .

الشخصيات

أوليس
نيقولا
الأب
الجد
ماكسيم ، ٣٧
ماكسيم ، ٢٠
مدير المدرسة

صبى المقهى
الشحاذ
يولاند
مادلين
المجهولة
بيت
الأم فينو

الفصل الأول

* الدقات الثلاث .

* أغنية بصوت امرأة بينما يفتح الستار على ظلام . ثم نميز فى الركن الأيسر كرسىٌ فوتوى ومنضدة صغيرة ومصباحًا .. هذا الديكور يمثل نهاية حجرة استقبال أو بداية شرفة مساء يوم من أيام الصيف . نسمع طلقة مسدس شديدة جدا . الأغنية تتحول إلى صراخ . رجل يحتضر فى الفوتوى .

* صوت المرأة المنزعجة ، يتساءل : " انتحر ؟ انتحر ؟ "

* خادم يظهر . يرى الجثة . يخرج من ناحية اليمين بسرعة فى الديكور الذى بدأ ينير ويتشكل . الخادم يصرخ " النجدة ! " . هو الآن فى الشارع . سلم يصعد فى العمق يتصل بشارع آخر مرتفع به منازل .

* الضحية ما يزال فى الفوتوى ، وتصل المرأة .

* الأغنية وعملية الانتحار والصراخ وجرى الخادم ودخول المرأة ، كل ذلك لم يستغرق خمس عشرة ثانية (ربع دقيقة)

يـــولانـــد : سامحني ! سامحني !

نيـــقـــولا : (**من أعلى**) النجدة ! النجدة !

يـــولانـــد : لا ! مستحيل ! (**ثم تمس بإصبعها صدر زوجها وتقرر :**)
هذا دم ! النجدة !

نيـــقـــولا : (**يكرر كالصدى**) – النجدة ! (**ثم صارخا :**)
سيدى قتل نفسه ، لأن سيدتى كانت سيئة .

يـــولانـــد : (**كمن تحدث نفسها**) – أنا كنت دائما طيبة .

نيـــقـــولا : (**مواصلا**) ... وأنانية ... وطائشة ... وكسولة (**تتبل**)

يـــولانـــد : وأنت كنت طيبا . كنت تحبني كثيرا . صحيح أنني
ضحيت بكل شـــيء في سبيلك . .

نيـــقـــولا : (**ما يزال يواصل وهو أعلى الشارع**) ... وكذابة !

يـــولانـــد : . شبابي .. وجمالي ، .. وسحرى ...

نيـــقـــولا : سحرها ؟... جمالها ؟... صحيح ، حينما كانت تريد هدايا
أو تريد السفر .

يـــولانـــد : (**وهي تنتحب**) – لن أنساك أبداً .

نيـــقـــولا : وتبكي . ولكنه **قتل نفسه** لأن هذه المرأة أرادت ذلك !

يـــولانـــد : (**تنتصب**) – **لا** تصدقوا هذا ! ... **لا** أحد يصدق هذا .
(**مخاطبة الميت**) حبيبي . الحقيقة أنا تصورت أنك كنت
تمثل عليَّ كعادتك دائماً .

نيـــقـــولا : (**ساخطا**) يمثل ! إليكم ما حدث : سيدى ، شاب في
الخامسة والثلاثين من عمره ، كانت سعادته الوحيدة
في الحياة هي حبه لهذه المرأة ... سيدى هذا قرأ قبل

قليل رسالة موجهة منها إلى أحد أصدقائه تبدؤها بعبارة "حبيبى" وحبيبها هو الرجل الآخر . هذه أشياء تقع كل يوم ونقرؤها فى الصحف (**الجمهور**) ولكن حينما عرض عليها سيدى هذه الرسالة وهو فى قمة الأسى والحزن ، هل تعرفون ماذا فعلت هذه المرأة - وهو ما قد لا تفعله زوجاتكم - لقد راحت تضحك وتغنى .

يـــولانـــد : (**للميت**) تصورت أنك كنت تبكى لكى تثير حنانى وشفقتى . وربما أيضاً لكى تحفظ ماء وجهك وتحافظ على كرامتك .. وأنك كنت تبكى مراعاة للأعراف الاجتماعية ، ولكى أثبت لك أننى لم أكن مخدوعة بدموعك ، فقد غنّيت .. بالرغم منى أيضاً ، لأننى كنت مع ذلك منزعجة قليلا . ولكننى ينبغى أن أعترف بالحقيقة ، لقد غنّيت فعلا .

نيـــقـــولا : " احكى لى عن حبك
احكى لى وعيدى ، (**إلخ**)
(**تغنى**)

نيـــقـــولا : (**بصوت خفيض**) - حينئذ ، تناول سيدى المسدس . وهو الآن بموت (**عاليا**) وزوجته تغنى ، ما تزال تغنى . اسمعوها !

يـــولانـــد : (**تفاجأ بأنها ما تزال تغنى**) غنيت بكل بلاهة . ولكن كان ينبغى عليك أن تفهم . صحيح أنك لم تفهمنى أبداً

نيـــقــــولا : وليس مـن المسـتـبـعـد أبداً أن يسمع سـيدى كل هــذا الكلام . ما أبأس ميتـة الرجال !

يــــولانــــد : ردَّ عليَّ يا حبيبى . شاور لى بجفـونك التى ما تـزال مفتوحـة ... هـل تسمعنى ؟ أوه ! نيقولا ! جفونه تتحرك ! بسرعـة ! جرَّاح بسرعة ! سيدك ربما لم يمت تمامـا . بسرعـة ! (للميت) إذن ، هل تسـمـعنى ؟ الحـمـد لله ! إذن هل تستطيع أن تقول كلمة ؟ طمئنى يا حبيبى !

نيـــقــــولا : لا تفكر إلا فى نفسها .

يــــولانــــد : طيب قل اسمى .

نيـــقــــولا : الفاجـرة !

يــــولانــــد : اسمى الذى كنت تحبه كثيرا : يولاند .

نيـــقــــولا : سيدى يتعذب . يتعذب أكثر لأنه يعرف أن هذا هو آخر عذابه . ومـع أنـه يبدو ساكنـا ، ككل الموتى الشبـان ، إلا أنه يصـارع كالمجنون . تُنتـزع منه عـاداته القـديمـة ويدخل غـريبـا فـى السـر الكبـيـر . إنه يخـتنق وهو أعـمى وأصـم فى مـجـال يتـقلص من حـوله ويضـيق . وهـى ، هل سـمـعتموها ؟ تريد منـه أن يطمئنها ! هـى ! تريد منه أن يقول لها اسمها ! أوه !

يــــولانــــد : يقولا ! إنه يتحرك ! يهتز ! سيتكلم ! حبيبى ! حبيبى ! ردَّ عليَّ . (**بصوت محايد ، تلاحظ**) إنه ينهض ! إذن ، تلك الطلقة النارية ... هذا الدم ... ما هذه التمثيلية إذن ؟ أنت لم تمت ؟ إذن تكلم ! ا شعورك ؟ كيف حالك ؟

أوليس : **(الميت ، على عكس كل التوقعات ، يرد قائلا :)** فى منتهى العظمة ...

يولاند : **(ترتعد من الخوف)** - نيقولا !

أوليس : ... ومندهش .

يولاند : **(كالسابق)** - نيقولا !

أوليس : يبدو لى أن كل شىء يجرى بسرعة جنونية ، لكن تفكيرى ما يزال أسرع . لذلك ، لدى انطباع ببطء غريب .

يولاند : نيقولا !

نيقولا : **(بالقرب منها ، وبكل بساطة)** سيدتى ؟

يولاند : **(تنتفض مذعورة)** لقد أفزعتنى **(ثم هامسة)** سيدك يهذى .

نيقولا : من المذنب ؟

أوليس : لا تناقش يا نيقولا . ما يحدث ، كنت أتوقعه . وأنا حى ، كانت تريدنى ميتا . وأنا ميت تريدنى حيا .

يولاند : **(فى قمة الفزع)** أنت وهو ، هل أصابكما الجنون ؟

نيقولا : **(ببساطته السابقة)** أبدا ، يا سيدتى .

يولاند : إذن الحزن أصابنى بالجنون ؟

نيقولا : أوه ، كلا ، يا سيدتى ، كل ما هناك أنك هنا زيادة .

يولاند : **(التى لم تفهم)** - زيادة ؟ كيف أنا زيادة ؟

نيقولا : **(بكل رقة)** انصرفى !

يولاند : أنصرف ؟

نيقولا : أوه ! ستعودين ، للأسف . ولكن حينما يحين دورك .

يـــولانـــد : دوری ؟

نيـسقـــولا : فی المشـهـد الأخـيـر (**إلی يولاند التی تصـرخ**) لماذا تصرخين هكذا عاليا ؟

هل قرصك أحد ؟ ولكن ، لا ، يا سيدتی أنت لا تحلمين .

يـــولانـــد : إذن ، ما هـذه التمثيلية التی تمثلانها علیَّ أنتما الاثنان ، عقابـا لی علـی جريمة لا أعرفـها ؟ (**لزوجها**) لكن ، مـادمت تنظر إلينا وترانا ، تكلم . أو إذا كنت تصـر علی السكوت ، فأغلق عينيك (**سمت**) ولكن مـاذا يجری هنا ؟

نيـــقـــولا : سيدی أطلق علی نفسه الرصـاص قبل قليل . هل تعرفين ؟ لا ؟ لابـد أنك خير من يعـرف ذلك ، مـادمت أنت سبب هذا الجنون .

يـــولانـــد : لا ! لا ! لا أريد أن يتكرر هذا مرة أخری .

نيـــقـــولا : ربما ، اليـوم . ولكن بعد ستة أشـهر ، ستبدئين بكل فخر واعتزاز تقصِّين أحداث هذه الدقيقة القاضية المميتة - وبعد عـام سوف تقذفين بذكری هـذه الطلقة النارية بين سيقـان الرجـال مـثل الصـاروخ لكی ترتعد فـرائصـهـم أمامك .

يـــولانـــد : حبيبی إذا كنت تسمع هذا الرجل ، فلا تصـدقه ، فقد كان دائما يكرهني .

نيـسقـــولا : علی أية حـال ؛ الطلقـة خرجت من المسـدس . وسـبق السيف العذل كما يقولون . ولا يمكن الرجوع في ذلك . سيدی سيموت بعد قليل .

يـــولانـــد : لا ، لا أريد ذلك ، لا أريد ذلك .

نيـــقـــولا : إذا كان ندمك صادقا ، فلا تسمّمي عليه آخر لحظات حياته . وطبقا لقواعد الانتحار الكلاسيكية ، تعرفين أنه ينبغي عليه أن يسترجع حياته كلها ؟

يـــولانـــد : يسترجع حياته كلها ؟

نيـــقـــولا : وقد بدأ هذا فعلا !

(موسيقى)

يـــولانـــد : إذن ، دعني وحدى مع سيدك .

نيـــقـــولا : لا . ليس لدينا وقت نضيّعه : ثلاثة وثلاثون عاما عليه أن يسترجعها في جزء من الثانية ! انصرفي ، بسرعة !

أولـــيـــس : (**الذى لا يريد أن يسترجع حياته**) - كلا ، لا أريد .

يـــولانـــد : (**لنيقولا**) - أرأيت ، هو لا يريد أن أنصرف .

أولـــيـــس : لا أريد شيئا

يـــولانـــد : ولكنني لا أستطيع أن أنصرف هكذا ، يجب أن أشرح لك

أولـــيـــس : (**الذى لا يفهم شيئا**) تشرحين لي ؟

يـــولانـــد : (**وهى تخر على ركبتيها**) - صدقني . ليس ذنبي وحدى . إذا كنت تعرف ...

أولـــيـــس : لا أريد أن أعرف شيئا . لقد أردت أن أموت . وها قد بدأ كل شيء من جديد .

نيـــقـــولا : إذن ، أسرع يا سيدى . ما إن تمر مرحلة التعذيب حتى ترتاح إلى الأبد .

أولـــيـــس : ولكن لماذا تريد مني أن أستعرض أيام حياتي من جديد ؟

نيــــقـــولا : أولا ، لأن هذه هي القاعدة .
أولـــيـــس : ولكن لا فائدة من ذلك .
نيــــقـــولا : كلا ، يا سيدى . تصرفات حياتك كلها اكتسبت منذ قليل معناها النهائي .
أولـــيـــس : ألا يكفي أن نعيش مرة واحدة ؟
نيــــقـــولا : وهل هذه حياة تلك التي عشتها ؟ كما يعيش البشر جميعا ... الأيدى مبسوطة نحو الدقائق التي تولد ... نحو الساعة الآتية ... الأيدى مرتعدة على مشارف اليوم الذى يشرق ، كأعمى ، يحاول أن يتنبأ ويخمن قدرًا أو مصيرًا لا ينفك يولد بصفة دائمة وبلا انقطاع ؟ (**متابعا أوليس الذى يحاول أن يهرب منه**) آه ! سيدى ، لقد عشت كما يعيش الناس جميعا حياتك بأسرها على أطراف مستقبلك .
يــــولانــــد : (**وهي تمسك أوليس**) – حبيبى ! أنا امرأة أفكارك ، حبك الأخير ، حبك الوحيد .
نيــــقـــولا : (**مواصلا**) ... أما الآن ...
أولـــيـــس : الآن ؟ ماذا الآن ؟
نيــــقـــولا : كل شيء قد تغير ،لأن كل شيء في مصيرك أصبح اليوم في مكانه النهائي . كل الرؤى والتطلعات قد انتهت . أنت الآن رجل مكتمل ، لم يعد له مستقبل .
أولـــيـــس : (**صائحا**) – أريد منكما أن تلزما الصمت أنتما الاثنان .

(بهذه الصيحة ، الموسيقى التى كانت خافتة ، تعلو وتتضخم ، وتتحول إلى طنين متصاعد)

أولـــيـــس : (**بشىء من القلق**) ما هذه الضوضاء التى فى رأسى !

نيـــقـــولا : اسمع ...

أولـــيـــس : ماذا ؟

نيـــقـــولا : انظر !

يـــولانـــد : ما هذه السحابة ؟

(الإضاءة التى كانت واضحة ، تظلم)

نيـــقـــولا : (**مخاطبا أوليس**) - هذا هو الوصول ... هذا مرور جميع الألفاظ التى نطقت بها خلال حياتك . جميع الكلمات ، جميع الجمل التى شكلتها شفتاك ، تعود حولك وستشاهد الآن العرض .

أولـــيـــس : جميع هذه الألفاظ المنسية ستنفصل لكى تمر أمامى الواحدة تلو الأخرى ؟

نيـــقـــولا : نعم .

أولـــيـــس : إذن ، سنسمع كلاما لا قيمة له .

نيـــقـــولا : نعم يا سيدى ، وهو ليس الكلام الذى نأسف عليه .

يـــولانـــد : ولكنها عاصفة !

نيـــقـــولا : تصوَّرى جميع الألفاظ التى يمكن أن ينطق بها إنسان طيلة خمسة وثلاثين عاما وتصل جميعها دفعة واحدة .

أولـــيـــس : (**بمرارة**) عاصفة حقيقية ! نعم ، لكنها عاصفة بلا برق !

نيقولا : لا تكن قاسيا هكذا فى الحكم على نفسك .

أوليس : يا إلهى ! لماذا كنت ثرثاراً إلى هذه الدرجة !

يولاند : (**مخاطبة أوليس**) مادمت تحبنى . تحبنى حتى الموت ، تعال ... اجلس هنا ... وكلمنى عن الحب . قل لى ...

أوليس : (**عنيفا**) - آه ! لا ! (**مخاطبا نيقولا**) اطرد كل هذا الذباب الصغير الثرثار ... اسحق ألفاظى ...

نيقولا : (**وهو يطرد السحابة**) إلى الوراء ! اختفى ! بست ! قلت لك إلى الوراء ! ولكن يا سيدى هناك ألفاظ من كل لون ، وأخرى جميلة جدا . أوه ! هذه مثلا ... لقد اختفت ! يالى من أخرق ! كنت أود أن أقتلها ، هذه الكلمة !

أوليس : لماذا ؟

نيقولا : كلمة قلتها لى ذات يوم وأنت ظالم ومتوتر الأعصاب .

أوليس : ما هى إذن ؟

نيقولا : هذه ... ألا تسمعها ؟ مازال صوتها يدوى فى أذنى قلت لى " يا غبى " .

أوليس : أنت تذكرها أنت أيضا . لكم ندمت على هذه الكلمة . لماذا لم أحدثك عنها مرة أخرى . أنا أعتذر لك يا نيقولا .

نيقولا : للأسف يا سيدى أنت قلتها وإلى الأبد .

أوليس : (**يرفع يده نحو الظلمة**) - ألا يمكن أن نمسك بها ؟

نيقولا : الأسف أو الندم الذى نبديه ليس سوى عملية شطب على الكلام . والشطب لا يمحو الكلمة . إن الإنسان ، وبلا لحظة واحدة من الراحة أو التوقف ، يبدع أشياء نهائية .

أوليس : **(جزعا)** هذه إذن كل الضوضاء التى عملتها فوق الأرض . كل ما قلت وأنا ألقي أشعار فيرجيل - وصراخى حينما أجروا لى عملية جراحية دون تخدير فى أثناء الحرب . وجميع الألفاظ التافهة وانفجارات الغضب وهمسات المتعة ، كل ذلك اللغو العقيم ...

يولاند : انظر يا حبيبى ، إلى العبارات التى كنت تعبر لى بها عن حبك ...

نيقولا : هذا نهاية العرض ...

يولاند : حبيبى . تعال ! لنبق وسط ضوضاء حبنا .

أوليس : **(مخاطبا يولاند)** فاجرة ! فاجرة ! فاجرة !

نيقولا : نعم ، هذه يا سيدى آخر كلمة قلتها بشفتى رجل حى : فاجرة . هذا هو آخر آخر العرض . انظر ، لقد راحت .

(أوليس يجرى وراء كلماته ويسقط وسط المنصة)

الصوت : فاجرة !

(صمت)

نيقولا : جميع الكلمات التى كان من المفروض أن تقولها فوق الأرض قيلت .

أوليس : فعلا ؟

نيقولا : للأسف !

يولاند : حبيبى ...

أوليس : اسمع !

نيقولا : هنا .

يـــولانـــد : ماذا ؟

نيـــقـــولا : ألا ترى هذه الكلمة التائهة التي تدور ؟

أولـــيـــس : ماذا تقول ؟

الصـــوت : شكرا

نيـــقـــولا : حاجة بسيطة ... اسمع ...

الصـــوت : شكرا .

أولـــيـــس : شكرا ؟ أي " شكرا " ؟ في أى تاريخ قلتها ؟ ولماذا ؟ ولمن ؟

الصـــوت : شكرا !

أولـــيـــس : الإنسان يقول " شكرا " كثيرا في حياته ... ربما كان ذلك من أجل الخبز .

الصـــوت : شكرا .

أولـــيـــس : ... من أجل دليل أو إعلان في شارع . وقد يكون من أجل خدمة أداها لنا صديق . . ، ربما كان ذلك لتلك السيدة التي أحرق دمي من أجلها فوق الأرض .

الصـــوت : شكرا .

أولـــيـــس : كلمة مسكينة تائهة . هذا كل ما خلفتُه ورائي . كلمة " شكرا " مجهولة الهوية تدور حول نفسها في ضوء السماء .

يـــولانـــد : ولكن هاهو ذا العرض يعود من جديد .

نيـــقـــولا : لا !

يـــولانـــد : ولكن انظر !

نيـــقـــولا : (مخاطبا أوليس) - هذه المرة ، هذا العرض لجميع الألفاظ التي سمعتها أنت ، منذ أول يوم فى حياتك حتى آخر يوم .

يـــولانـــد : جميع الألفاظ التى تخصنى هنا ؟

نيـــقـــولا : اطمئن ! تلك التى قلتَها لها والتى سمعتها منها فقط وليست الأخرى .

أولـــيـــس : ما أجمل نظام الأبدية والخلود .

نيـــقـــولا : أنت لم تصبح بعد من الأبدية والخلود . أنت تتصارع مع ذاكرتك . هذا كل ما فى الأمر .

أولـــيـــس : اطردها ! اطرد هذه أيضا ! أنا أفضِّل الألفاظ التى قلتها أنا على الألفاظ التى سمعتها .

نيـــقـــولا : نعم ، الناس جميعا يفكرون على هذا النحو . حتى أولئك الذى يستمعون الآن إلى الألفاظ التى قلتَها لهم .

أولـــيـــس : ما أغبانا جميعا .

نيـــقـــولا : هل شاهدت فى حياتك زوجا من الجمبرى ، ذكرا وأنثى ، يحاول كل منهما أن يداعب الآخر ، ثم يسيران " أنجاجيه " يتأبط كل منهما ذراع صاحبه كأنهما فى عرس ؟ شيء مقزز ، أليس كذلك ؟ هذا التقزز نفسه هو ما يثيره اثنان من جنسنا البشرى ، يحاول كل منهما أن يلاطف الآخر ويعبر له عن حبه .

أولـــيـــس : كنت دائما أظن أنك فتى يتحلى بالذوق الرفيع ورقة المشاعر .

نيــقــولا : هس ! اسمع !

أولــيــس : لا ! هناك ألفاظ كثيرة أود ألا أسمعها بالمرة .

الأصــوات : شكرا يا سيدى .

أولــيــس : ماذا ؟

الأصــوات : بهذه السيارة القوية ...

أولــيــس : ماذا ؟

الأصــوات : لكي أعلِّمك الأدب ستأتي يوم الخميس لتقضي في الحبس من الثانية حتى الرابعة .

أولــيــس : الطفلة المسكينة !

الأصــوات : آه ! طيب ! لقد بدأ الصيف ينتهى !

أولــيــس : أى صيف ؟

الأصــوات : قذر ! قذر !

أولــيــس : ليس هذا صحيحا ؛ يا نيقولا ! لقد أخطأ .

الأصــوات : أحبك .

يــولانــد : نعم ! يا حبيبى !

نيــقــولا : اسكتى ! هذه امرأة أخرى تتكلم .

أولــيــس : ماذا ؟

يــولانــد : لا يمكن أن أتصور أن موت إنسان يسبب كل هذه الجلبة .

نيــقــولا : لماذا تريدين أن يكون موت الإنسان أكثر هدوءًا من حياته ؟ فالموت والحياة وجهان لمصيبة واحدة .

يــولانــد : مصيبة ؟

نيــقــولا : نعم . حينما يقابل رجل مثله امرأة مثلك .

يــــولانـــــد : اسمع يا أوليس ! سأعترف لك . أنا مذنبة... كان بودى أن أقــول لا ، لأننى أحـبك ولأنك تتـعـذب . ولكن كـيف أستطيع أن أنكر ؟ أنت تعرف أننى مذنبة ...

أولـــيـــس : نيقولا ، لمــاذا لم تطــرد هــذه الكلمــة ؟ يا نيـقـولا ، أنا ما زلت أفكـر فيها بمعاناة الرجل الذى يريد أن يموت ، الذى يتناول المسدس ويطلق منه الرصاصة .

نيـــقـــولا : ارحميه الآن وقد مات .

أولـــيـــس : فاجرة ! فاجرة ! فاجرة !

يــــولانـــــد : هل يمكننى أن أتصور أنك من الغباء بحيث تقتل نفسك .

أولـــيـــس : نعم ، هذه روحك ، أليس كذلك ؟

نيـــقـــولا : سيدى لقـد قـاسيت كثيرا فى خدمتك بسبب طباعك وأنت على قـيد الحياة ، فـأرجوك ألا تجـعل خـدمتى لك مسـتحيلة قبل أن تفارق الحياة تماما . دعنى أصـحب سيدتى إلى مكانها .

يــــولانـــــد : (**مخاطبة نيقولا**) إذا لمستنى سأصفعك على وجهك . منذ أسـابيع وأنا أريد أن أصفعك .

أولـــيـــس : لقد لاحظت ذلك .

نيـــقـــولا : حـذار إذا كان يهمـك رأيـه النهائى الذى سيكوِّنه عـنك . إننا ماثـلون فى ذاكرته بتصرفاتنا المميزة ، ذات المغزى .

أولـــيـــس : (**مخاطبا يولاند**) لماذا خنتنى ؟

يــــولانـــــد : كأن الزوجات يعرفن دائما لماذا يخنَّ أزواجهن .

أولـــيـــس : أخبرينى بالحقيقة .

يـــولانـــد : أنا أحبك . يا حبيبي . أنت كنت دائما متشدداً أكثر من اللازم ، متزمتا أكثر من اللازم . لم تكن تعمل حسابا للأشياء ... لقد شاء القدر العاثر أن تأخذ هذه القصة مأخذا مأساويا . ولكن جميع الرجال المخدوعين في الدنيا لا ينتحرون .

(صمت)

أولـــيـــس : نيقولا ، أخبرني : الأزهار أو الحيوانات الصغيرة التي كنت أحبها ، هل ستشارك في العرض مع ذكرياتي القديمة ؟

نيـــقـــولا : بكل تأكيد .

أولـــيـــس : لكنها لن تتكلم ؟

نيـــقـــولا : لا ، طبعا ! لماذا ؟

أولـــيـــس : أحسن . فأنا لن أستطيع أن أتحمل أن تكلمني وردة أو ياسمينة بالطريقة المبتذلة التي تتحدث بها هذه المرأة . تصورها لو كانت تتحدث . كم من المحزن أن نسمع قرنفلة تتلفظ بألفاظ نابية !

يـــولانـــد : أوه ! هذه الروح المستفزة ! (**ثم :**) سامحني ، يا حبيبي . أنا أخطأت . وأنا أعترف بذلك . كنت ضعيفة ، طائشة ، متهورة . ولكن هل هذه جريمة ؟ أنت نفسك ، من يدري أنك لم تخنِّي .

أولـــيـــس : نعم ، أنا خنتك .

يـــولانـــد : **(كأنما أصابتها صاعقة)** ماذا تقول ؟

أولـــيـــس : أوه ! حياتي الفاشلة كانت أيضا حياة معقدة !

يــولانــــد : (**مغيظة**) أنت خنتنى ؟

أولـــيـــس : (**بكل بساطة**) ألم تعرفى ذلك ؟

يـــولانـــد : ولديك الجرأة أن ... (**مخاطبة نيقولا**) كنت تعرف ذلك ، أنت طبعا .

نيـــقـــولا : هذا المشهد ليس وقته الآن . اتبع ترتيب سنوات حياتك . ابدأ بالبداية .

أولـــيـــس : ولعل الذكرى التى احتفظت بها من هذه المغامرات التى لا أهمية لها هى التى قتلتنى .

نيـــقـــولا : الذى يقتلك الآن يا سيدى ، هو طلقة المسدس .

أولـــيـــس : فى رأسى ، ذكريات واضحة ودقيقة لجميع تلك النساء .

يـــولانـــد : جميع تلك النساء ، شيء رائع .

أولـــيـــس : ذكريات بلا حب . تطفو فيها النساء فى أوضاع مزْرية .

يـــولانـــد : أوه ! أرجوك . دعك من التفاصيل !

أولـــيـــس : ولم أستطع أن أتصور أن رجلا آخر يحتفظ فى رأسه أو فى جسده بمثل هذه الذكرى المخزية لامرأة كانت زوجتى فى يوم من الأيام .

يـــولانـــد : نيقولا . انسحب !

أولـــيـــس : فى بيته ، نزعتِ عنك ثوبك ، بينما هو ينظر إليك وظهر له ...

يـــولانـــد : أنت مجنون ! لا ترفع ثوبى أمام نيقولا .

نيـــقـــولا : لا يستولى عليك الحياء إلى هذه الدرجة . هيا . الله موجود . وسيراك عارية تماما ، وبكل تقزز ونفور .

أوليس : ثم نزعتِ عنكِ كل شيء وضاجعك هو ...

يولاند : اسكت !

أوليس : هل كان أول عاشق لك ؟

يولاند : نعم . أقسم لك .

أوليس : وانطرحتِ أمامه على الفراش ...

يولاند : ارحمني ، اهدأ .

أوليس : أهدأ ؟ وهل يكون الرجل هادئا حينما يتناول مسدسا ويطلق النار ؟ آه ! وشفتاك تنضم وتنفرج لكي تقول هذه البلاهات ؟ أهدأ ! تقولين لي هذه الكلمات بهذا الفم الذي لعق وسال لعابه على جسد الآخر. آه ! كان ينبغي أن أقطع شفتيك قبل أن أقتل نفسي .

يولاند : النجدة ! النجدة !

أوليس : (**الذي يضطر يولاند للركوع ، مخاطبا نيقولا**) أجبني بصراحة .

نيقولا : أنا تحت أمرك .

أوليس : أنا في الجحيم ، أليس كذلك ؟

نيقولا : لا ، يا سيدي ، أنت ما تزال مع ذكرياتك .

أوليس : هذا هو الجحيم .

يولاند : دائما يريد أن يعرف أكثر من الآخرين .

أوليس : (**مخاطبا يولاند**) أخبريني بالحقيقة .

يولاند : ثانية ؟

أوليس : وكوني صريحة ، مادمتُ بعد لحظة ، سأعرف الحقيقة ، حتى لو كذبتِ عليَّ .

يولاند : ومن يستطيع أن يخبرك خيراً منى ؟

أوليس : من يدرى ! إذا كنت فى هذا العالم الذى أنا مقبل عليه لن أعثر على أثر لجميع تصرفاتك ، ضجيج كل أفكارك ، حتى الأفكار التى تخجلين منها .

يولاند : يا للفظاعة !

أوليس : حتى الأفكار التى ، التى نسيتها أنت اليوم ...

يولاند : لا أريد .

أوليس : نعم ... الإنسان منا يعيش دائما كأنما الآخر لن يعرف كل شىء يوما من الأيام .

يولاند : أنا أمنعك أن تسأل أى شخص كان – ولو كان الله تعالى .

أوليس : ولعلها إحدى كوارث الموت ، أن نكتشف الأفكار الخفية للأشخاص الذين كنا نحبهم .

يولاند : ولكن ، ألم تعرف كل شىء فعلا ؟

أوليس : تلك الرسالة ، يا نيقولا ، أين هى ؟ أين هى ؟

نيقولا : فى هذه اللحظة ، أنت طفل وليد ، ثم تشاهد وأنت تعيش حياتك ، وتواصل أيامك ولياليك . بعد ذلك ، وفى النهاية ، وبعد مغامرات كثيرة ، نصل إلى هذه الرسالة .

يولاند : لماذا يولد طفل من جديد، ثم يكون شابا وكل ما بقى حتى النهاية ، ينبغى أن يصل إلىَّ أنا ، إلى حبى ، إلى حبنا .

أوليس : لو أننى كنت أعلم الغيب فى مطلع حياتى وعلمت مسبقا بما سيكون من أمر علاقتى بك ، لالتزمت الجمود منذ البداية حتى لا أصل إليك – حتى لا أعرفك ...

يـــولانـــد : ومن يستطيع أن يخبرك خيراً منى ؟

أولـــيـــس : من يدرى ! إذا كنت فى هذا العالم الذى أنا مقبل عليه لن أعثر على أثر لجميع تصرفاتك ، ضجيج كل أفكارك ، حتى الأفكار التى تخجلين منها .

يـــولانـــد : يا للفظاعة !

أولـــيـــس : حتى الأفكار التى ، التى نسيتها أنت اليوم ...

يـــولانـــد : لا أريد .

أولـــيـــس : نعم ... الإنسان منا يعيش دائما كأنما الآخر لن يعرف كل شىء يوما من الأيام .

يـــولانـــد : أنا أمنعك أن تسأل أى شخص كان – ولو كان الله تعالى .

أولـــيـــس : ولعلها إحدى كوارث الموت ، أن نكتشف الأفكار الخفية للأشخاص الذين كنا نحبهم .

يـــولانـــد : ولكن ، ألم تعرف كل شىء فعلا ؟

أولـــيـــس : تلك الرسالة ، يا نيقولا ، أين هى ؟ أين هى ؟

نيـــقـــولا : فى هذه اللحظة ، أنت طفل وليد ، ثم تشاهد وأنت تعيش حياتك ، وتواصل أيامك ولياليك . بعد ذلك ، وفى النهاية ، وبعد مغامرات كثيرة ، نصل إلى هذه الرسالة .

يـــولانـــد : لماذا يولد طفل من جديد، ثم يكون شابا وكل ما بقى حتى النهاية ، ينبغى أن يصل إلىَّ أنا ، إلى حبى ، إلى حبنا .

أولـــيـــس : لو أننى كنت أعلم الغيب فى مطلع حياتى وعلمت مسبقا بما سيكون من أمر علاقتى بك ، لالتزمت الجمود منذ البداية حتى لا أصل إليك – حتى لا أعرفك ...

يــــولانـــــد : لا تنكر الأوقات السعيدة التي قضيناها معا ...

أولـــيــــس : نيقـولا ، الرســـالـة – رسالة زرقـــاء -- تبـــدأ هكـذا :
" حبيبي ... " أنا قرأتها.
(مخاطبا يولاند) كنت أعتقد أنك كتبتها لي لنا
" حبيبي " كانت طريقة كتابتك توحي بأنها لي ، تماما .
ولكنني وأنا أقرؤها عرفت أن رسالتك تخص شخصاً آخر ،
كتبتها بخطك ، باسمك ، لشخص آخر .

نيــــقــــولا : سيدتي ، أنت المسئولة ، ليس فقط عن موته ، وإنما عن
كونه يموت ميتة صعبة .

أولـــيــــس : إنك حتى لم تغيري اسمك ، لم تغيري خطك ،
ورسالتك كانت هناك ، كقطعة الأثاث ، كالشجرة ،
كالحجر ، تقول لك :" أنا من أنا ولا أستطيع أن أكون
شيئا آخر

يــــولانـــــد : نيقولا ، مادام لم يعد هناك فوق الأرض سواك بيني
وبينه ، وأنك وحدك الذي تستطيع أن تغلِّب كفة الأصوات ،
قل لسيدك إنه أناني وأننا لا نترك زوجة في مثل هذه
الحالة إذا كنا نحبها ! ماذا سأقول لأصدقائه غداً ؟
أصدقاؤه الذين لا يحبونه ، الذين لو استطاعوا لما ترددوا
في النوم معي، نعم ، كلهم ، أنا أعرف ذلك ؛ إن الفتاة
الصغيرة تدرك مثل هذه الرغبات . ولكنهم ، غدا
سيتباهون باحتقاري – سينقمون عليَّ لكي يقنعوني أنهم
كانوا يحبونه !

أوليس : أريد أن أرحل .

نيقولا : نعم ، تعال بسرعة

يولاند : لماذا لم تعطنى الفرصة لمواساتك ؟

أوليس : تحدثينى حديث المربيات .

يولاند : مع الوقت ، كنت ستنسى .

أوليس : أنسى ؟

يولاند : نعم هناك أمثلة كثيرة مشهورة .

أوليس : أنا لا أريد أن أنسى .

يولاند : إذن لماذا لم تعطنى الفرصة لكى أندم ؟ كنا سنتقدم فى السن مثل الآخرين .

أوليس : وفضيلتى تغرق فى العادات ؟ كلا ! لقد أردت حياةً من نار .

نيقولا : تنتهى بطلقة من نار .

أوليس : من نار ؟ هل سأظل إلى الأبد فى هذا الجحيم ، وأمامى هذه الرسالة الزرقاء ، وهذه الزوجة الفاسدة ؟ يا إلهى ! ولكننى قبل أن أكون رجلا ، كنت طفلا صغيرا سعيدا – وقبل أن أكون طفلا ، لم أكن سوى رغبة فتيَّة لوالدىَّ – إلهى ، أسألك العودة إلى تلك الحقبة التى لم يكن حتى لأبوى فيها وجود . إلهى ، استرد روحى ، استرد جسدى ، هبنى القدرة على أن أمحو أثر مرورى على الأرض ، بل وعلى تدمير ذكرى المغامرات الكبرى التى كنت أحلم بأن أكون بطلا لها .

(يخر راكعا)

نيـــقـــولا : لابد وأنه كان يحب رغباته وأحلامه وأعماله التى لم تتم ، حتى إنه ليتعذب كثيرا لانتزاعه منها .

أولـــيـــس : نيقولا ، ما هـذه المعجـزة التى تجعلنى أتعـذب كل هذا العذاب من هـجر ما كان من الممكن ألا أعـرفه ؟ إلهى ، قيِّض لى أن أنسى أفكارى الحاضرة .

(ضوضاء هائلة في الكواليس)

نيـــقـــولا : (من أعلى الشرفة) – هـل يشـك سيدى أن طلقـة نارية يمكن أن تحرك أشياء كانت لا تتحرك؟ المنزل يتعرض للغزو الكامل، لقد امتلأ بمعارف قديمة ، وأثاث قديـم ، والبقية تأتى . لقد امتلأ الشـارع ! من كـان يظن أن سـيدى لديه كل هذه الذاكرة ؟ سيكون هناك ناس أقل في جنازتك .

يـــولانـــد : حبيبى ، هل تذكر أنك كنت تحبنى أكثر من أى شىء فى الدنيا ؟

أولـــيـــس : ومازلت أحبك أكثر من أى شىء فى الدنيا ، للأسف .

يـــولانـــد : فلنحرق هذه الرسالة .

أولـــيـــس : (لنيقولا الموجود فوق) فى هـذه الفوضـى ، ابحث لى عن يوم أمـس ، سنقـوم بالقضـاء عليـه ، بإحـراقـه (ليولاند) ذلك اليوم الذى انطرحت فيه عارية من أجل رجل آخر ...

نيـــقـــولا : سيـدى ، سيـدى ، آنيـة قـديمـة ، وصـور بـلا أطـر ، ومـصـاصـات ، ولعب مكعبات ، ورجل مسن يعـرج فى

مشيته ، وعربة بحصان تتقدم تحت ضوء القمر ، وأنت بداخلها تغط فى النوم – وجميع تلك النساء ! أوه ! أوه !

أوليس : ماذا ؟

نيقولا : هذا لم يعد طلقة من مسدس ! بل دوىّ جرس رائع !

يولاند : **(وهى تحاول أن تمسك أوليس)** – حبى الكبير !

نيقولا : سيدى . كل شيء قد حضر . حياتك بأسرها ! الرجال والنساء والأثاث والأولاد والبنات والكتب وأشياء أخرى من كل صنف ، بدءًا من المولِّدة التى أخرجتك إلى الدنيا حتى بائع السلاح ! فيما عدا احترامك ، تعرض كلها فى لمحة عين مع جميع ملحقاتها . عمرك البالغ ثلاثة وثلاثين عاما كأنه سوق خردة أو جراج للروبابيكيا .

يولاند : حبيبى . أغمض عينيك ، ابق بين ذراعىّ .

نيقولا : أكثرهم هياجا ، كرسى فوتوى بالقطيفة الحمراء ذراعه اليسرى ملطخة بحبر أخضر .

أوليس : ماذا تقول ؟

نيقولا : ويوجد فوقه طفل صغير يبول .

أوليس : هذا أنا . **(ليولاند)** أنا رويت لك ذلك . هذا أوليس الصغير .

أصوات رجال ونساء : أوليس ! أوليس ! أوليس !

يولاند : **(وهى تمسك أوليس)** لماذا لم تحاول أن تفهمنى فى عواطفى الكبيرة كما فهمتنى فى نزواتى الصغيرة ؟

نيقولا : سيدى ! أمطار جليدية تسقط ، وأنت تلعب بهذا الجليد ، أول جليد فى حياتك .

أوليس : هل معى قطتى الصغيرة تحت إبطى ؟

نيقولا : لا ! لقد هربت قبل قليل ، وهى تهز قوائمها على إفريز النافذة .

يولاند : كن عادلا : لقد عشت معى فترات صمت طويلة ، فترات غياب طويلة .

أوليس : (شاردا) وقد عرفت كيف تستغلينها !

نيقولا : سيدى ! تلك القطة الصغيرة ، أنت تقوم بدفنها فى الحديقة فقد ماتت منذ ساعة

أوليس : اسكت يا نيقولا ، إن قلبى ثقيل تغشاه الكآبة .

يولاند : حبيبى !

أوليس : فى صدرى ، صدر الطفل ، قلبى تغشاه الكآبة : هذه القطة الصغيرة لن تعود للحياة أبداً . وحتى لو صرت شيخا طاعنا فى السن كأمثال أصدقاء والدى ، فإننى لن أستطيع أن آمل منها أن تأتى ذات صباح ، صباح واحد ، فتوقظنى كما كانت توقظنى وهى تقفز فوق فراشى .

يولاند : أنت طفل صغير .

أوليس : كان عمرى ثمانية أعوام ، وكنت أعيش مع ميتة .

نيقولا : لكنها هنا يا سيدى ، تنتظرك .

الأصوات : أوليس ! أوليس ! أوليس !

يولاند : (**لأوليس**) – يولاند هنا يا حبيبى ، بين يديك .

أوليس : أخبرينى . هذا الرجل هل كنت تحبينه ؟

يـــولانـــد : لا ، بل ظننت أني أحبه .

أولــيـــس : وخلال تلك الساعات ، كان الأمر بالنسبة له وبالنسبة لك كأنك كنت تحبينه.

الأصـــوات : أوليس ! أوليس !

أولـــيـــس : وخلال تلك الساعات ، أين كنت أنا ... أنا الذى كنت أفقد سعادتى ؟

نيـــقـــولا : سيدى ؟ هل لى أن أقول شيئا معقولا ؟ هل تسمح لى بأن أذكرك بأنك انتحرت لكى تنسى هذه المرأة ؟

(الأم " فينو " وهى عجوز نحيفة من عامة الشعب تتقدم الذكريات)

الأم فـــينو : من هنا ...

الأصـــوات : أوليس !

يـــولانـــد : هاهم أولاء ! لن أتركك بعد الآن . تعال !

الأم فـــينو : أسرعوا ! إنه ينصرف ...

الأصـــوات : أوليس !

أولـــيـــس : يولاند - بإمكاني الآن أن أكون حيا بين ذراعيك الحيَّتين ، وأعتقد في السعادة .

يـــولانـــد : أحبك ! تعال .

(تسحبه ويخرجان)

نيـــقـــولا : (**إلى الذكريات**) لا تتدافعوا !

مـــادلين : حاسبوا !

المجـــهـــولة : أود أن أستلقى وأنام .

نيقولا : هدوء ! أولا هو ليس هنا !

المدير : **(داخلا)** أوليس !

المجهولة : **(مشيرة إلى مدير المدرسة)** من هذا الشخص ؟

مادلين : هذا رجل سمج **(ثقيل الظل)** . حذار ! إن لديه حكاية حول كل كلمة .

المجهولة : ماذا ؟

مادلين : **(صارخة ، متوترة)** أسرٌّ إليكم أن هذا بائع بيانوهات .

المدير : بهذه المناسبة ، أنا مدين له بأجمل إجابة أدلي بها إليَّ طالب خلال مدة خدمتي الطويلة كرجل تربوى مغمور .

مادلين : آه لقد بدأ !

المدير : ذات يوم سألت التلاميذ : ما أجمل آلة موسيقية ؟
أنا أعترف بأن هذا السؤال مع أنه خارج المقرر ، إلا أنه ليس أكثر ذكاءً من غيره من الأسئلة. المهم ، زملاؤه فى الفصل رفعوا أصابعهم قائلين : سعادة المدير ... البيانو !

المجهولة : **(إلى مادلين)** برافو !

المدير : وآخرون أجابوا قائلين : لا ، لا ، إنها الكمان . إنها الكنترباس ، إنها البوق . وقال فنان شاب : إنها القيثارة . أما هو وحده ، فقد أجاب قائلا : سيدى المدير . إنها صوت الإنسان .

مادلين : حقا ؟ طز !

(صيحات)

الأب : **(بلهجة أهل مرسيليا)** – أفسحوا لى حتى أدخل ،
يا إلهى ، قلت لكم إني والده ، أنا أبوه !
(يبدو عجوزًا بلحية بيضاء)

النســـــاء : **(باحترام)** أبوه !

الأب : لم أره منذ ثلاث سنوات . لقد فارقت الحياة . لكنه فى هذه اللحظة يفكر فيَّ .
أنا أشعر به . إنه يبحث عنى . سأذهب لاستقباله وآتى به إليكم .
(يخرج)

مـــــادلين : بسرعة ، هه !

الأم فـــينو : لماذا تطلبون منه أن يأتى بسرعة .

مـــــادلين : حتى ننتهى بسرعة .

الأم فـــينو : سيداتى ، بادئ ذى بدء أود أن أعبر لكن عن عميق احتقارى .

مـــــادلين : ولماذا أيتها الساحرة الشمطاء .

الأم فـــينو : أنا أعرف مع من أتحدث . أنا أتحدث مع زمرة من الفاجرات . هس ! نحن النسوة يعرف بعضنا بعضا بسرعة . الرجال يطلبون منا النصائح لتكوين رأى معين . أما نحن النساء ، فيكفى أن تنظر إحدانا إلى الأخرى لكى تكوِّن رأيها ، لكى تحكم عليها .

المجـــهولة : أنا لا أسمح لك ...

الأم فـــينو : يؤسفنى أن أقول لَكُنَّ إن ذكريات أوليس الصغير ليست هى الذكريات التى يستحقها . ولكن – صبرا !

مـــــادلين : (**مشيرة إلى ثوبها**) أوه ! إنني أضيق بهذه الثياب . أولا ، انظرن كيف أبدو في هذه الثياب العتيقة. شيء فظيع أن تتغير المودة في عشر سنوات .

المجـهـولة : وأنا ! قدماي مبتلتان . لكي يتذكرني هذا الغلام ، كان عليه أن يختار يوما آخر - يوما آخر أكون فيه أكثر استعدادا - وقدماي جافتان .

مـــــادلين . وأنت ما اسمك ؟

المجـهـولة : لا أعرف .

مـــــادلين : كيف ، لا تعرفين ؟

المجـهـولة : لا أذكر شيئا على الإطلاق . لا أعرف من أين أنا آتيه ، ولا أعرف إلى أين أنا ذاهبة . لكن قدميَّ مبتلتان . ويستولي عليَّ حزن غريب يذكرني بمصيبة وقعت ، أو ينذرني بمصيبة ستقع .

الأم فـينو : وأنت ، ألم تتمكني من كسب ودِّه ؟ لقد قلت لك إنك لم تكوني تحبينه .

مـــــادلين : وهل تعرفين أنت معنى الحب ؟ إيه تكلمي إذن . أنا أسمعك ... لا ، دعك من الشتائم ! أنا جريت وراء رجال كانوا يهبونني المتعة ... لكن لم يكن هذا هو الحب . وانتظرت ، بكل عرفان وامتنان، رجالا أعطوني المال ، حين كنت في حاجة ماسة إليه ، وبذلك منعوني من ارتكاب كثير من الحماقات . ولكن لم يكن هذا هو الحب . واستمعت لشبان ظرفاء وأنا مغمضة العينين - ولكن

لم يكن هذا هو الحب . ورحلت مع رجل صحبني في رحلاته . وشاهدت معه بلادا كثيرة ، ومدنًا ، ومقا هي وجبالا ، وبحيرات وقرى وفلاحين ، وكان هذا الرجل يضربني . وقد انتقلت معه في البلاد سنوات ، ولكن لم يكن هذا هو الحب . بعد ذلك ، ولما تعبت من السفر ، فضلت أن أستقر في بيت لا أغادره . وهناك ، عرض عليَّ رجال كثيرون ، وكانوا يعودون لرؤيتي مرة أخرى . لم يكونوا يفكرون إلا في الحب - ولكن لم يكن هذا هو الحب أبدا ، أبدا .

المجهولة : بكل تأكيد ! بعد الرجل الأول ، ينتهي الحب ! ولكن هذا الأول يجب أن نحبَّه لكي نهب له أنفسنا ... نعم ... أنا أتذكر ...

مادلين : الأول ؟ كنت أريد أن أتعلم ... كان مجرد فضول ، لم يكن حبا .

(بيت تدخل)

بيت : أوليس ؟

مادلين : إيه ، ماذا عن أوليس . هيا ، تكلمي . أنا أسمع لك .

بيت : **(وهي تفك أزرار ثوبها)** - انظري !

المجهولة : هذه رصاصة ؟

بيت : نعم .

مادلين : هل قتلك ؟

بيت : أوه ! لا ! أنا التي أطلقت النار .

مـــــادلـين : قتلت نفسك من أجله ؟

يـــيــــت : كلا ! لقد أخطأتُ التصويب : وقضيتُ ثلاثة أسابيع فى المستشفى . هذا كل ما فى الأمر .

مـــــادلـين : ولكنك كنت مجنونة يا حبيبتى .

المجـهــولة : كنت تحبينه لدرجة أن ...

يـــيــــت : نعم .

مـــــادلـين : وهو ، هل كان يحبك ؟

يـــيــــت : أعتقد . لست أدرى . لكننى مازلت أحبه ... أحبه . وسأظل أحبه إلى الأبد .

(تبكى)

مـــــادلـين : وماذا قال لك ، بعد ذلك ؟

يـــيــــت : أنا لم أره بعد ذلك . أبدا . ومع ذلك وأنا أعيش حياة عادية . مرَّ بعض الوقت ، وقابلت شابًا طيبًا ، تزوجته وعندى منه طفلان . والآن أعيش فى الريف فى هدوء .

(تصل يولاند وتحاول أن تشق لها طريقا وسط مجموعة من النسوة يردن الدخول أيضا)

يـــولانـــد : دعننى أدخل . أريد أن أدخل ! يا إلهى ، يالهن من سوقيات ! غريبة ! نساء أخريات هنا ! سيتضايق أوليس جدا لأنه وضعنى وسط هؤلاء !

مـــــادلـين : (بلهجة هجومية) ماذا ؟

يـــولانـــد : أسأل نفسى كيف أن امرأة مثلك يمكن أن يكون لها مكان فى ذاكرة زوجى.

نيــــقــــولا : هيا . لا عليكن . لقد أحبكن الواحدة تلو الأخرى .

مـــــادلـين : وليس في بيت واحد بطبيعة الحال !

يـــولانـــد : حينما نرى أنفسنا جميعا هنا ، ألا ترين أن ذاكرة الرجال من نوع رديء للغاية ؟

الأم فــينو : لا تذكُرْن أوليس بالسوء ، إنه في الخامسة من عمره . وشعره أشقر جميل ، وأنفه صغير يرتفع نحوى . ويداه طويلتان . أبحث عنه فأجد مكانه نسوة مضطربات لا تشبه إحداهن الأخرى !

(النساء مغتاظات . الأم مرهقة فتجلس)

(يصل شابان . الأول هو ماكسيم ، والثاني شاب في زى عسكرى يعود إلى عام ١٨٧٠)

ماكسيم ٢٠ : إذن فأنت لا تعرفه ؟

الجـــــد : لا . ولاحظ أننى جده !

ماكسيم ٢٠ : جده ؟

الجـــــد : كل شيء يصبح واضحًا إذا علمت أننى مت وأنا فى العشرين من عمرى فى " جرافيلوت " . كانت زوجتى حاملا فى شهرها السادس . كانت تنتظر طفلة . أوجينى الصغيرة التى لم أراها أبداً

ماكسيم ٢٠ : أنت مت وأنت فى سن العشرين ؟

الجـــــد : فى سن العشرين !

ماكسيم ٢٠ : عفوا لفضولى وسؤالك ؛ فى مثل هذه الظروف ، ماذا تعمل هنا ؟

الجـــــــد : أنا جـــئـت مع أثـاث الصـالون . فى الإطـار الذى
شـاهدنى فيه أوليس كثيرا وهو راكع فوق أحد الكراسى
لكى يرانى عن قرب . أنا أسف للحديث كثيرا عن نفسى .
أنت أحد أصدقاء حفيدى ، أليس كذلك ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أعـز أصدقائه . وقـد تصافحنا آخـر مـرة أمس
فقط ، هنا بالضبط ، وبالمصادفة البحتة .
– " صباح الخير يا صديقى العزيز
– " كيف حالك يا صديقى ؟ "
لا شىء أكثر من ذلك ، لا تتصور شيئا آخر. أقسم لك .
مثل هذه الدناءة لم تكن جالت بفكرى بعد .. فضيحة ،
يا سيدى ،..

الجـــــــد : ماذا بك ، يا سيدى ؟

ماكسيم ٢٠ : أقسم لك : لم أكن أعرف أنه سينتحر . ثم كان كل منا
قد غاب عن صاحبه فترة من الوقت . أولا ، أنا متزوج
وعندى ثلاثة أبناء . وأنـا أعمل مهندسا للطرق والكبارى ،
وحاصل على وسام " جوقة الشرف " . إذن لم يكن لدينا
شىء مهم نقوله .

الجـــــــد : (مندهشا) – مهندس ، متزوج ، وثلاثة أبناء ؟

ماكسيم ٢٠ : نعـم ، قـد أبدو أمامك صـغيرا إلى حد مـا . ولا أدرى
لذلك سببا ، لأننى فى الحياة حاليا لى شارب كبير أسود
وبطن كبير إلى حد ما . عجيبة . ومع ذلك فعمرى سبعة
وثلاثون عاما .

الجـــــــد : صحيح ؟

ماكسيم ٢٠ : وقبل قليل وعلى حين فجأة ، عدت إلى مطلع شبابى دون أى تفسير .

الجـــــــد : ربما بسبب حفيدى ؟

ماكسيم ٢٠ : ربما . ثم علينا أن نجد لأنفسنا الأعذار . فلا يمكن أن يظل الإنســان منا فى العشرين من عمره إلى الأبد .

الجـــــــد : بلى . أحيانا ، للأسف !

ماكسيم ٢٠ : كيف ذلك ؟

الجـــــــد : انظر إلىَّ ، أنا سأظل فى العشرين إلى الأبد .

ماكسيم ٢٠ : شىء عجيب .

الجـــــــد : لا . هـذا يحدث كثيرا . ولكن الآخرين لا يفكرون فيه . هـذا كل ما فى الأمر ...

(يدخل الأب والابن)

أولـــيـــس : لن أسمح بأى عتاب أو توبيخ .

الأب : لعلك تريد من أبيك أن يهنئك ؟

نيـــقـــولا : آه ! سيدى ، لقد بحثت عنك تحت جميع قطع الأثاث ، بين النساء ...

أولـــيـــس : رأسى فى دوامة من ضحك الأطفال والهرج والمرج السعيد ...

نيـــقـــولا : سعيد ؟ ماذا كنت أقول لك ؟

أولـــيـــس : أعرف بأى ألفاظ ينضج هذا المزاح السعيد .

الجـــــــد : **(مخاطبا ماكسيم)** – والآخر – العجوز ذو اللحية ، من يكون ؟

الأب : **(إلى أوليس)** ستستمع الآن إلى أبيك العجوز .

الجـــــد : هـذا الشـيخ .. صـغـيـرتي أوجينـي ! ؟ أوجـينـي ؟ ! يا للفظاعة !

أوليــــس : **(لنيقولا)** – كل هذه الذكريات انقضت عليَّ أشد وأعنف من مائة امرأة غيور .

الأم فـــينو : **(للجد)** – نعم ، هذا الشيخ ، هو أملك في طفلة صغيرة !

أوليـــس : حينما يكون المرء منا على قيد الحياة ، ويفكر في ماضيه ، فإن النسيان يجعلنا نختصر أشياء لم تكن في الحسبان .. لم أكن أتصور أن حياتي طويلة إلى هذا الحد وحافلة بالأحداث ..

الأب : أريد منك أن تبرر موقفك ..

أوليــــس : الذي أدهشني هو عدد الدقائق والساعات الضائعة . دقائق الانتظار ، كم هي طويلة وكثيرة .. كأنها علامات على الطريق .. الساعة الثانية إلا خمس دقائق.. ننتظر حتى الساعة الثانية ! خمس دقائق لا يحدث خلالها شيء سوى أن ننتظر حتى الثانية .. ننتظر امرأة . ننتظر الحافلة . ننتظر تحرك القطار – ننتظر الساعة حتى تدق .. تصور **(إلى الأب)** في حياة طويلة مثل حياتي ، أنا متأكد أن الدقائق التي ضاعت في الانتظار وحدها يمكن أن تشكل حياة بشرية بأكملها ، أقصر من حياتي ، ولكنها قد تكون رائعة .

الأب : **(بشيء من الضيق)** آه ! الموت لم يغيرك !

نيـــقـــولا : لكنه ما يزال حيا يا سيدى ! الوقت اللازم لإنهاء هذه الرحلة .

أولـــيـــس : لا . أنا قررت أن أجلس هنا ، وألا أسمع شيئا وألا أرى شيئا .

(إلى نيقولا) عفوا يا صاحبى ، أريد أن أبقى وحدى .

الأب : الطفل الذى بذلنا من أجله أعظم التضحيات !

الأم فـــينو : **(للجد)** – هيا ! إنه ينتظرك أنت .

(تصحبه)

أولـــيـــس : جدى !

الأم فـــينو : واسمه أوليس ، مثلك .

أولـــيـــس : أنت ... ! أنت ! ... أنت !

(يعانقه ويبكى)

الجـــــــد : أنا أدرك انفعالك وتأثرك – وأنا نفسى ...

أولـــيـــس : جدى ، أودُّ ... أن أدعوك " جدى " كنت دائما أفكر فيك بهذا الاسم ...

الأم فـــينو : **(وهى تسحب الجد)** – وذو اللحية البيضاء هذا . ألا تقبله ؟ إنه ابنك .

(موقف صعب عسير)

الأب : **(للأم)** تعرفين أن هذه أول مرة نلتقى فيها .

الأم فـــينو : حسنا . حاول أن تكون أقل عبثا من الموقف . على أية حال هو أبوك .

أولـــيـــس : **(للجد)** – لقد حاولت دائما أن أستخلص السمات التى انتقلت إلىَّ منك ، الصفات التى عاشت منك فى

شخصي . وحينما بلغت العشرين وأربعة أشهر وسبعة أيام – أنت قتلت في هذه السن ، ظللت طوال الليل أرتعد . أنا أيضا كنت جنديا في الجيش ، في الشمال . وكم كان غضبي شديدا حينما كانت تشرق الشمس بعد تلك الليلة التي تمثل موعد موتك في حياتي .

الجـــد : عزيزي أوليس !

أوليــس : كنت أعيش في الجبهة – كانت المرة الأولى التي أدركت فيها كم كانت حياتك قصيرة فوق الأرض . كنت أقول لنفسي : " في مثل عمري ، كان كل شيء قد انتهى بالنسبة له . "

الجـــد : ولكن ، لماذا إذن ترتكب هذه الحماقة اليوم ؟

الأب : أرأيت ، حتى جدك يقول إنها " حماقة "

الجـــد : لماذا ؟ هل كنت فقيرا محتاجا ؟

أوليــس : فقيرا ؟ لا . ياله من سؤال غريب !

الأب : بابا مثلي ، يريد أن يفهم . ولكنك تضيع وقتك . من المستحيل أن نفهمه. تصور ، لقد تطوع في الحرب ...

الجـــد : هل كانت الحرب ما تزال مستمرة ؟

الأب : نعم .

الجـــد : ضد بروسيا ؟

الأب : طبعا .

الجـــد : مرة أخرى ؟

الأب : نعم .

الجـــــــد : ولكن ماذا كان مصير حربنا نحن ؟

الأب : خسرتموها .

الجـــــــد : وحربكم ؟

نيـــقـــولا : كسبناها .

الجـــــــد : ما أسرع الأحداث !

أولـــيـــس : فى كتب التاريخ ، هذا صحيح .

الأب : بعد الحرب التى خسرتموها كنا أسعد حالا مما كنا بعد الحرب التى كسبوها ! صحيح أنها استمرت ! استمرت ! كانت مستمرة حتى ثلاث سنوات مضت حينما تطوع فى الجيش بدلا من أن يدعنى أعيش شيخوختى فى هدوء مع حبى الأبوى .

الجـــــــد : ثلاث سنوات .

الأب : لقد استمرت أكثر من أربع سنوات .

الجـــــــد : لا تقل هذا يا صغيرى .

الأب : لم يركن للهدوء أبدا .

أولـــيـــس : هدوء فى العالم الذى قدمه جيلكم للأطفال فى مثل سنى ؟

الأب : (**مغيظا**) - هل ستحملنى مسئولية الحرب ؟

(يدخل مدير المدرسة)

أولـــيـــس : آه ! سيدى المدير ! تفضل يا سيدى المدير .

نيـــقـــولا : (**بكل لطف وكياسة**) هل من جديد ، يا سيدى المدير ، غير الإنذارات الليلية وقصف القنابل ؟ آه ! الحزن الذى يخيم ليلا على صوت صفارات الإنذار داخل المخابئ والكهوف .

المـــديـــر : يا صغيرى أوليس ، أنت فخر مدرستى . ستذهب بعيدا وسترفع إلى أعلى عليين .

أولـــيـــس : لا أعرف إذا كنت سأصل بعيدا ، لكن من المؤكد أننى سأرتفع إلى أعلى عليين لأننى سأعمل طياراً .

المـــديـــر : أنت ! البارع فى فقه اللغة اللاتينية !

أولـــيـــس : وهل اللغة اللاتينية تتعارض مع الملاحة الجوية ؟

المـــديـــر : طيار ؟ لماذا ؟

أولـــيـــس : أمام حروبكم العصرية ، لأن المرء لم يعد بإمكانه أن يصبح جنرالا فى سن العشرين ، هل بقى لنا شىء آخر سوى المعارك الفردية التى يخوضها المرء برشاشه وحظه ؟

المـــديـــر : ولكن تلاميذ فصلك لم يُستدعوا بعد للتجنيد .

أولـــيـــس : إن فخر مدرستك ينبغى أن يكون من الذكاء بحيث يتخذ لنفسه موقعا فى حرب عالمية . ليس أمامى إلا أحد احتمالين : أن أتطوع أو أن أهرب من الخدمة .

المـــديـــر : أنت مجنون . لكى تهرب من الخدمة يجب على الأقل أن تنتظر حتى يتم استدعاؤك للخدمة العسكرية .. وأبوك الذى كان يقول لى بالأمس إنهم تنبئوا لك بمستقبل باهر .

أولـــيـــس : حسنا ، إن حربا عالمية يبدو لى أنها مستقبل باهر لشاب مثلى فى سن الثامنة عشرة .

المـــديـــر : ولكن العلوم ؟ والفنون ؟ وشعراءنا ؟

أولـــيـــس : (**ساخرا**) - مدافع ! ومؤن وذخيرة !

المــــديــــر : الحـرب يمكـن أن تنتهـي غـدا . مـن الواجب عليك أن تنقـذ روحك . إن وطننا العزيز سيكون فى حـاجـة إلى شبان مثلك ، غدا أيضا .

أولـــيـــس : غدا ، هذا بعيد جدا .

المــــديــــر : ستكون جنديا كـالآخـرين ، فى حـين أننى أرى أنـك موهـوب ومـؤهل لكى تصبح فخراً للفكر المعاصر .

أولـــيـــس : سيدى المدير ، لا تقدم لى اختياراً غير محدود لمصائر كبرى .

المــــديــــر : من السهل أن نسخر من شيخ طاعن في السن .

أولـــيـــس : بالضبط . غـدا حينما أصبح شـيخـا عـجوزا ، ويسـألنى أبنائى عن الحرب ، أجيبهم قائلا : " أنا لم أسمع شيئا ، فقد كنت أقرأ أشعار فيرجيل . " ؟ كلا !

المــــديــــر : أتمنـى لك أن تنجـو مـن الحـرب ومـن حـماسـتك . أى بُنىَّ ، إن الأشـخـاص الذين فى مـثل سنى يعـيشـون شيخـوخة صعبة . أنا أقوم بتربية تلاميذى وأكن لبعضهم معزَّة خـاصـة ، ثم يُنتزعون منى جـمـيعـا .إننى بثقـافتى الإغريقـيـة واللاتينية أحدثهم وهم ينصـتون لى وغدا تسـمـع آذانهم أصـوات المدافع . إن أنت يومـا تذكـرت مديرك العجوز الذى يحبك فلربما استطعت أن تفهم .

أولـــيـــس : سـوف أتذكـرك يا سـيدى المديـر ، مـادمت تعـدنى بـأن أكـون فـخـر العلوم والفنون والسـعـادة فى الخـامـسـة والثلاثين .

المـــديـــر : **(ضيقا ساخطا)** - يجب أن أنصرف . عطلة سعيدة يا بني .

أولـــيـــس : لا توجد عطلات في زمن الحرب . أنت نسيت أنه منذ ثلاث سنوات ، أنني استبدلت بلعبة القزم الأصفر لعبة أعلام صغيرة من بحر الشمال حتى البحر الميت ، كما استبدلت بتلاوة الصلاة اليومية ، قراءة بلاغ يوقظني كل صباح بضجيجه ، ضجيج المعركة .

المـــديـــر : حاليا ، نحن الذين نكسبها .

أولـــيـــس : إذن ، هم الذين يخسرونها . أنا أود أن يكون مصير الحرب بالنسبة لي سواء ، حتى أشعر أكثر بفظاعتها وهولها .

المـــديـــر : وتريد أن تتطوع ؟

أولـــيـــس : كمتفقّه في اللغة اللاتينية لا يشق له غبار ! لكي أواجه الخطر مع زمني وعصري . ولأنني أريد أن أحيا ، بلا تحفظ ، حياة بطولية .

المـــديـــر : أدّخر قواك يا بني . ستحتاج إلى طاقة عظيمة لتدعم حماساتك .

(المدير يختفي بعد ذلك)

نيـــقـــولا : سنرى إلى أين سيقودنا حب المغامرة هذا

أولـــيـــس : ما قيمة الحياة إن لم نولد لكي نصبح أبطالا ؟

نيـــقـــولا : هل تحب أن أحضر الميداليات التي حصلت عليها في حياتك والإشارات باسمك في الجيش وحتى في البلاغ .

(موسيقى ، أجراس ، فرقعات ، صراخ – ثم يدخل جنديان)

الأول : انتهت الحرب !

الثانى : انظروا ! اسمعوا الأغانى !

أوليس : **(بمرارة)** – إنهم يسكرون !

الأول : هل تريد دموعًا لتروى بها الهدنة ؟

أوليس : ما أعظم فرحة الشعوب يوم يبدءون الحرب ويوم ينهونها . ما أحوجهم إلى الرزانة و الوقار .

الأب : **(للجد)** واستولى علينا الخوف شهورًا عديدة ، لأننا كنا نفكر فيك وفى الكارثة التى وقعت لك فى جرافيلوت .

الجد : نعم ، كارثة .

الأب : أما هو ، فحينما كان يأتينا بإذن كان يقول : " أنا أخوض الحرب لكى أُقتل "

أوليس : **(عنيفا ، يقبل على الأب والجد)** – لعلك كنت تريدنى أن أخوضها لكى أضحك وألهو ؟

الأب : هو يرى أن الحرب مبعث عار .

الجد : أنا أيضا .

الأب : هو يخوض الحرب مثل المتمردين الذين يشعلون النار فى المنزل .

أوليس : كنت مثل عصرى ، عنيفا وسافلا .

نيقولا : لماذا تتحدث على هذا النحو أيها العقيد ؟

الأب : **(للجد)** – كانت تلك وصفته خلال الحرب .

الجــــــد : وما معنى " طيار " .

الأب : لا شىء . سأشرح لك .

نيـــقـــولا : **(للآخرين)** - كان بطلا ، وقد قيل .

أولـــيـــس : كنت أجيد التصويب . هذا كل ما في الأمر . ولكن هل أدركتم الخوف الرهيب الذى كان يعتصر بطنى ؟ لا أدرى لماذا كنت أخاف مع أننى لم أكن أهتم بشىء أو أحرص على شىء . كنت أشعر بالخوف مثل الأشخاص الذين لا يحبون أن يتناولوا الطعام ومع ذلك فهم يشعرون بالجوع . وكنت أفكر فيك يا جدى مع أنى لم أعرفك ، ومع أنك مت في "جرافيلوت " والدم على سروالك الأحمر وأنت فى العشرين من عمرك .

الجــــــد : كنت أصرخ من الألم واليأس طول الليل .

الأب : **(لأبيه)** - كنت بطلا .

أولـــيـــس : لا ! الحرب حل فى غاية السهولة . فى حين أنهم وعدونى بحياة مجيدة ، فإن الحرب لأغراض بطولية ، لم تكن سوى مصنع لإنتاج الملابس الجاهزة . لماذا تتطلعون إلىَّ هكذا ، أنتم الثلاثة ؟

الجــــــد : يا بنى ، أنا لا أفهم شيئا مما تقول .

أولـــيـــس : أنت لا تفهم يا جدى ؟

الجــــــد : لا !

الأب : أرأيت !

أولـــيـــس : ولكن أنت الذى مت فى مقتبل العمر ...

الجـــــد : أنا لم أفعل ذلك متعمداً .

أولـيـس : هل ندمت على حياتك ؟

الجـــــد : وما زلت أندم عليها .

الأب : أسمعت ؟

الجـــــد : ولو أمكننى أن أحيا ، لحييت .

أولـيـس : وماذا تعرف عن الحياة ، أنت الذى لم تعشها ؟

الجـــــد : ولكننى ظللت أصرخ طول الليل ، وبطنى يتمزق . كنت أصرخ . كنت لا أريد . آه ، يا أبنائى ، قلبى على أولئك الذين يموتون فى سن العشرين فى ساحة القتال .

أولـيـس : أنت لا تعرف الحياة يا جدى .

الجـــــد : للأسف .

الأب : (**بلهجة من يتحدث بين أفراد أسرته**)- أن يموت المرء فى مقتبل العمر وهو زوج وأب لطفل لم يولد بعد .

أولـيـس : نعم . والطفل جاء إلى الدنيا . ونبتت لحيته وقد فارق الحياة

الأب : ما أشد عناد هذا الطفل !

أولـيـس : لا أعرف كيف أعبر عن وجهة نظرى ، ولكننى لا أفهم سببا لندمكم لأنكم لم تعرفوا طفولة هذا الرجل الذى لم يعد حتى شيخا عجوزا على قيد الحياة. إن عقم الحياة ، حتى ولو كانت سعيدة ، لم يبدُ لى بمثل هذا الوضوح والبداهة .

الجـــــــد : لكنه ختم حياته هو ، في حين أنني باق بغير نهاية في مستقبل غير مؤكد، مع حنين لمستقبلي . كيف تسنى لك يا بني العزيز أن تقتل نفسك بنفسك ؟

أولـــيـــس : لأنك لم تعرف هلاك الحياة ودمارها .

الأب : في سن الخامسة والثلاثين .

أولـــيـــس : العار الذي تشعر به لأنك لست أكثر من إنسان .

الجـــــــد : ماذا تريد أن تكون أكثر من ذلك ؟

أولـــيـــس : آه ! أريد أن تفهمني . ألا يكفيك أن ترانا هنا نحن الثلاثـة بمصائرنا الشخصية في هذا اللقاء غير العادي ، لكي تقتنع ؟

الجـــــــد : أقتنع بماذا ؟

أولـــيـــس : كيف أشرح لك ؟ أنا مشرف على الموت ، وجسدي أنتن وروحي تنشر رائحة ألعن .

الجـــــــد : اهدأ واشرح لي ما تقول .

أولـــيـــس : (لنيقولا) – دع ذكرياتي تدخل .

(نسمع أغنية يولاند)

أولـــيـــس : نيقولا . لا . لن أستطيع . اعرض عليهم أنت حياتي يوما بعد يوم ودعني أرحل .

نيـــقـــولا : يجب أن تبقى يا سيدي .

الجـــــــد : ماذا هناك ؟

أولـــيـــس : ليس لدي الشجاعة لكي أبدأ من جديد .

الجـــــــد : وهل واتتك الشجاعة لكي تقتل نفسك ؟

نيـــقـــولا : بالضبط .

الجـــــــد : أنت تتعذب كثيرا يا بنى .

أولـــيـــس : حينما ترى هذه السيدة .

الجـــــــد : أية سيدة ؟

الأب : لقد انتحر من أجلها .

الجـــــــد : ولم تستطع نسيانها ؟

أولـــيـــس : نسيانها ؟ لم يكن فى حياتى سواها . إنها كالشمس فى الصحراء .

(تدخل يولاند)

يــــولانـــد : هل تنادينى ، يا أوليس ؟

الجـــــــد : ما أجملها !

أولـــيـــس : لو كنت تعلم يا جدى !

الجـــــــد : ولكن على أية حال ، لا شىء يستحق أن نقتل أنفسنا من أجله .

أولـــيـــس : ربما أكون شخصا يبعث على السخرية ، ولكن لعل السخرية أصبحت شكلا جديدا أو عصريا للعظمة ، عظمة مائلة بعض الشىء ، تتردد بين السماء والأرض .

نيـــقـــولا : مثل برج بيزا ، الذى ينتظرك هنا أيضا ، مع ذكرياتك .

أولـــيـــس : جدى . أريد أن تفهم . بعد قليل سنلتقى فى رهان رهيب . بعد قليل ، ستناولنى أنت المسدس الذى سيحررنى . لا أريد أن أرحل قبل أن تعطينى أنت هذه القبلة التى طالما انتظرتها . قبلة الكرب والأسى التى

يمكن للرجل فقط أن يعطيها للرجل حينما يدرك كل
منهما أنهما ضائعان .

الجـــــــد : أنت تشعر بمدى حبي لك .

أولـــيــــس : ولأنك في العشرين من عمرك ، فستفهمني الآن حالا .
يا نيقولا ، أعط الكلمة لجميع هذه الأشباح ، جميع هؤلاء
الفارين من ذاكرتي . دعهم يتكلمون ...

يـــولانـــد : **(بحنان بالغ)** أوليس !

أولـــيــــس : أريد أن تفهمني يا جدى ، من أجلك ، سأراها ، للأسف
وأموت مرتين .

الجـــــــد : لسنا بصدد أن تموت ، وإنما أن تحيا .

أولـــيــــس : انتظر يا جدى ، - انتظر .

ســـتار

الفصل الثانى

(الديكور نفسه)

الأم فينو تتكلم أمام يولاند وماكسيم (**فى سن السابعة والثلاثين**)

الأم فينو : لقد عثرت على صغيرى أوليس .

يولاند : ولكن أنا أيضا كنت طفلة ، أناس أيضا كنت فى الثالثة والرابعة والخامسة .

وكان لى شعر معقوص وابتسامة مازالت أمى تتحدث عنها ...

ليست كابتسامة أوليس ! كان طفلا ذكيا وكان يحبنى

الأم فينو : ويقول لى : " غنى يا أمى فينو " وكنت أغنى .

على جسر نانت
حفل راقص ...

(تتوقف وتنصت)

لا يفكر فى الغد أيامه لا تتصارع فيما بينها . طفل صغير سيد نفسه ، سيد العالم .

ثم يهبط الليل ...

في المرة الثانية
عثرت قدمه

... ستبكي ... ما أطيب قلبك يا حبيبي أوليس ، حينما ...

(تغني)

في المرة الثالثة
انهار الجسر

(تجلس . يسمع في المساء شدو طيور وصراخ أطفال . ثم صوت طفل : " غني ثانية يا أمي فينو " (حينئذ ، ودون تحرك ، تستأنف الأم فينو أغنيتها)

يـــولانـــد : **(تهمس لمكسيم ٣٧)** – هي أجنُّ مما تتصور . إنها تسمُّ أوليس . ألـم يحدثك عنها أبدا ؟ تلك العجوز التي كانت جارة لأبويه وماتت وهو في الرابعة من عمره . لقد نسي ملامح وجهها . لم يبق منها في ذاكرتـه سوى ثوب أسـود وشـعـر أشيب قـذر . كـانت تظهـر له في بعض الصور الثابتة في طفولته . كيف ؟ أنت صديق عمره ، ألم يرو لك أبدا قصـة الأم فينو ، تلك التي قالت ذات يوم لبـعض جـاراتها : " أوليس ، ذكي جـدا ، في الثـالثـة والثلاثين من عمره سيصبح رئيسا للجمهورية ؟

مـاكسيم ٣٧ : **(ينفجر ضاحكا)** رئيسا للجمهورية ؟

الأم فـــينو : **(وهي تفيق من نومها)** تضـحكان ، أنتمـا الاثنـان ؟ بئس الصحبـة ! لا تقترب يا بني . هذه المرة لن تأخذوه مني ! أنا قادمة إليك ...

(تخرج)

ماكسيم ٣٧ : وفي سن الثالثة والثلاثين ، رئيسا للجمهورية ؟

(تسمع أغنية " جسر نانت ")

يـــولانــــد : نعـــم . والأسرة أيضـا كـانت تـضـحك . لكن الطفـل أوليس كان يبدو رزينا أمـام هذا الكلام الذى كان لا يدرك معناه ، والذى لن يلبث أن ينساه لكي يذكر فقط أن امرأة عجوزاً تنبأت له بغزو العالم . ثم ، وفي سن العاشرة ، بدأت هذه التفاهات الشائهة تتخذ طريق الأسطورة التى ستوحى له بحنين غامض لمصير عظيم . للأسف ، نحن لا نستطيع دائما أن نلزم الصمت أمام الأطفال ، ولكن فالكلام الذى ينبغى أن نقوله حتى لا نصبح مسئولين فيما بعد ، عن بؤسهم ؟

ماكسيم ٣٧ : هل هذه هي القصة البارعة التي تتعشمين أن تهدئي بها أوليس حينما يأتى بعد قليل ليسألك الحساب عن بؤسه وشقائه ؟

يـــولانــــد : مازلت لا تفكر إلا فى نفسك .

ماكسيم ٣٧ : أنا أفكر فيك أيضا – وفيه .

يـــولانــــد : الوقت تأخر الآن قليلا .

ماكسيم ٣٧ : يولاند ، هل تشعرين بوخز الضمير ؟

يـــولانــــد : وأنت ؟

ماكسيم ٣٧ : نحن أمام موقف جديد ...

يـــولانــــد : أهكذا تسمى انتحار أوليس ؟

ماكسيم ٣٧ :... جديد ومفاجئ .

يـــولانـــــد : لا . ليس مـفـاجـئـا . يبـدو لي الآن أنني كنت أعــرف أوليس بما فيه الكفاية لكي أتنبأ بقراره . أنا لا عذر لي . لا أستحق الصفح .

ماكسيم ٣٧ : لا .

يـــولانـــــد :... وأثير السخرية .

ماكسيم ٣٧ : السخرية ؟

يـــولانـــــد : حينما أتصور أنني كتبت إليك أنت رسالة أقـول لك فيـها " حبيبي " !

ماكسيم ٣٧ : ألم تكوني تحبينني ؟

يـــولانـــــد : ما أعمى النساء حينما يردن بأي ثمن أن يتخذن عاشقا .

ماكسيم ٣٧ : لكنك أحـبـبـتني ، يا يولاند . أمس فـقـط كنت عـارية بين ذراعي ...

يـــولانـــــد : أوه ! لو كنت تـدري كيف أن مـصـيبـة يمكـن أن تغـيـر عواطفنا على حين فجأة .

ماكسيم ٣٧ : هـنـاك كلمـات نلفظهـا في لحظات مـعـينـة وحـركـات صادقة تعتبر أدلة على الحب ، ولا تستطيعين إنكارها .

يـــولانـــــد : أنا أنظر إليك جيدا وأكتشف أنك دميم وغبي - ولم أعد أفهم نفسي .

ماكسيم ٣٧ : لن أسمح لك أن تقولي ...

يـــولـــنــــد : ونفـسك وضـيـعـة ، مـادمت خنت مـعي أخلص وأعـز أصدقائك .

ماكسيم ٣٧ : أأنت التي تلومينني على خيانة أوليس ؟ لست أنت التي تتحدثين الآن ؛ يا يولاند . كلا . أنت الآن لست إلا مجرد ذكرى بين ذكريات أوليس . وأوليس هو الذي يوحي إليك بهذا الذي تقولينه .

يولاند : ليس صحيحا . إنه يعرف أنني أفكر فيما أقول فعلا .

ماكسيم ٣٧ : دعك من هذا . إن أوليس يمكن أن يتنازل عن نصيبه في الجنة لكي يسمع الكلمات الصريحة التي ستقولينها لي حينما نلتقي حقا .

يولاند : ولكنني لم أعد أريد أن أراك ثانية . لن نلتقي ما حييت . وأرجو ألا تحضر جنازة زوجي .

ماكسيم ٣٧ : هذا فعلا ما يسائل به أوليس نفسه . لكنني ، حفظا للأعراف ولسمعتي وسمعتك ، سأكون مضطرا للمشاركة في الجنازة ، ثم ، أنا كنت فعلا أحب أوليس . وأخيرا فأنت نفسك ستشاركين فيها !

يولاند : لا ! أنا ، بعد كل هذه الانفعالات ، سأكون مريضة .

ماكسيم ٣٧ : يا يولاند ، منذ تزوجت أوليس قبل أربع سنوات ، كانت لدي الفرصة لكي أدرسك جيدا . وهذه الأسابيع الأخيرة التي أحببنا فيها بعضنا ، قد ختمت هذه الدراسة وأكملتها .

يولاند : وأسلوبك أسلوب بيروقراطي ! آه ! لو أن كلمة " أحبك " هذه ، ليست كلمة جاهزة ، ويضطر الرجال في كل مرة أن يبتكروا كلمات الحب الذي يشعرون به ، لكان في ذلك منجاة للكثير من النساء !

ماكسيم ٣٧ : أنت الآن فى حالة يأس وخيبة أمل . ولست أنا السبب فى ذلك .

يولاند : من إذن ؟

ماكسيم ٣٧ : أوليس ! أوليس الذى انتحر من أجلك ، والذى يقضى آخر ثانية فى حياته بين ذكرياته الغريبة عنك .

يولاند : هو مضطر لاستعراض مرحلة شبابه . ولكنه فى النهاية سيعود إلىَّ لكي يموت ، للأسف ، فماذا أقول له ؟

ماكسيم ٣٧ : لو كنت أفهمك جيدا ، فإن يقينك من أن أوليس سينتحر هو الذى يمنعك أن تصبحى عشيقتى ؟

يولاند : نعم .

ماكسيم ٣٧ : إذن ، فأنت لم تكونى تحبيننى حقا .

يولاند : ليس إلى هذه الدرجة .

ماكسيم ٣٧ : إذن ، فقد انتحر أوليس بلا طائل حقا . ولكننى لا أصدق ما تقولين . أنت أحببتنى . ومازلت تحبيننى حتى هذه اللحظة ، وفى جسدك الحقيقى ، وأنت تصرخين من الرعب بجوار أوليس الذى يموت .

يولاند : لا ، لا ، لا .

ماكسيم ٣٧ : غدا ستقولين لى كلاما آخر لن يسمعه ، ولن يستطيع أن يسمعه أبدا . وهو، إن كان قد أحبك حقا ، لما أطلق الرصاصة التى تصل إلى مخه فى هذه اللحظة .

يولاند : إن أوليس أيضا هو الذى يوحى إليك بالكلام الذى تقوله .

ماكسيم ٣٧ : هو يعرف أننى أفكر فعلا فيما أقول .

يـــــولانــــــد : وزوجتك ؟

ماكسيم ٣٧ : ماذا عن زوجتي ؟

يـــــولانــــــد : وأبناؤك ؟

ماكسيم ٣٧ : ألم تكوني على علم بأن لي زوجة وأولاداً حينما أصبحت عاشقة لي ؟

يـــــولانــــــد : كنت أعتقد أن ضعفي سيظل سرا . وهاهو كل شيء يتحول إلي حدث تاريخي . لابد من تبرير . والآخرون ، وحتي اليوم الذى سيجدون فيه أنفسهم فى وضع مماثل ، سيصرون على ألا يفهموا وسيلقوننا بالحجارة كأنهم ذاهبون في رحلة صيد بريَّه .

ماكسيم ٣٧ : أنا سأدافع عنك .

يـــــولانــــــد : أنت مع ذلك كنت ستطاردني – لأنك فعلا طاردتني – لو كنت توقعت حدوث المأساة .

ماكسيم ٣٧ : هل تشكين فى ذلك يا حبيبتي ؟

(يصل ماكسيم فى سن العشرين)

ماكسيم ٢٠ : كذاب !

ماكسيم ٣٧ : **(وقد شعر بالإهانة فى البداية)** كذاب ؟ **(ثم ، ملتفتا)** أوه ، هو مرة أخرى !

يـــــولانــــــد : من هذا ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا هو للأسف .

يـــــولانــــــد : كيف أنت هو ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا هو حينما كان فى العشرين من عمره .

ماكسيم ٣٧ : نعم ، حينما كنت فى العشرين ، كنت أشبه هذا المجنون .

يولاند : أوه ! لقد عرفتك ! **(إلى ماكسيم ٢٠)** لقد أرانى أوليس صورة فوتوغرافية لك فى سن العشرين . لم أكن أعتقد أنني في يوم من الأيام سأسمعك تتكلم بصوت شبابك .

ماكسيم ٢٠ : أوليس يخلط بيني وبينه في ذاكرته . فبالنسبة له ، نحن الاثنان " صديقه " ، صديقه ماكسيم . أنا ماكسيم ، وهو ماكسيم . نحن شخص واحد : انظرى ماذا صنع بى ، بعد سبعة عشر عاما .

ماكسيم ٣٧ : أصبح لي كرش صغير ، طبعا ...

ماكسيم ٢٠ : الكرش فقط ؟

ماكسيم ٣٧ : وبعض التجاعيد ؛ ووسام جوقة الشرف .

ماكسيم ٢٠ : أيها الخائن . تخون مرتين . تخون صديقك ، وتخوننى أنا . تستغل ما كنت عليه يوما ما – ما أنا عليه الآن – لكي ترقى إلى مؤثر ومحرك لم تعد تستحقه . لو كنت تنبأت بالمأساة لأخلدت إلى الهدوء يا زير النساء ! أنت تريد أن تعتذر عن خيانتك بحب قاهر بحيث يقاوم ويتغلب على فكرة موت صديقك . لكن الحقيقة أنك ترتعد خوفا لأنهم أخبروك بموت أوليس منذ قليل . ورحت تردد في ذعر " يا إلهى ، لو كنت أعلم ! ولكنى أيضا ، ما أغباه ! إن المرء لا ينتحر من أجل امرأة مثلها ! "

يولاند : **(هائجة)** – ماذا يقول ؟

ماكسيم ٣٧ : لا شيء . اغفرى له شبابه . أنا أعرفه أكثر مما يعرفنى هو .

ماكسيم ٢٠ : ما هذا التهديد ؟ تعال معى إذا كانت لديك الشجاعة .
وقل لأوليس إن حبك لزوجته كان من القوة بحيث لم يقاوم فكرة موتك ، بل ولم يقاوم فكرة أن صديقك سيموت بسبب هذا الحب . هيا . تعال واعتذر يا كاشف العورات يا سارق زوجة صديقه لأن ذلك أيسر وأسهل .

ماكسيم ٣٧ : أسهل وأيسر ! أبدا . والدليل : انظر ما نحن فيه من ورطة !

ماكسيم ٢٠ : أنت تذكر أننى و أوليس نشأنا معا وكبرنا معا وأننا كنا نستحم معا في النهر عريانين ، وأن كلينا يعرف جيدا جسد صاحبه .

ماكسيم ٣٧ : وبعد ؟

ماكسيم ٢٠ : وأنه اعترف لي بأسراره الغرامية الأولي ، وأننا اعترفنا له بأسرارنا الغرامية .

ماكسيم ٣٧ : وبعد ؟

ماكسيم ٢٠ : هل انحدرت نفسك إلى هذه الدرجة بحيث إنك لا تدرك أن هذه المكاشفة تزيد من عذاب أوليس ؟ فهو يعرف جسد وعادات جسد الرجل الذى سلبه زوجته التي يحبها .
بل إننى أتساءل ، وأنا أرى جبنك اليوم ، إن لم تكن قد أخذت زوجة صديقك ، لأنه لم يعد يصارحك بهذه الأسرار ، وأنك كنت مازلت تريد أن تعرف ، كما يفعل الآخرون حينما يتنصّتون على باب حجرته ، أو يتطلعون

من ثقب الباب . (**إلى يولاند**) حينما ضمك بين ذراعيه – وهما ذراعيَّ فيما مضى – ألم يطلب منك الإدلاء بأسرار معينة عن حبك لأوليس ؟ (**يولاند لا تجيب**) أوه ! إنني أشعر بالخجل !

ماكسيم ٣٧ : أنت تشعر بالخجل لأنك عرفتني جيدا ؟

ماكسيم ٢٠ : لا أفهم ما تلمح إليه .

ماكسيم ٣٧ : صحيح ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أجهل ما صرت أنت إليه – لكن هل نسيت أنت ما كنت أنا عليه ؟

ماكسيم ٣٧ : لا طبعا .

ماكسيم ٢٠ : هل نسيت أنني و أوليس كنا نحب بعضنا كما تحب جذور الشجر التربة : كنا نعيش بآمال وطموحات ممتزجة . كان كل منا يحب صاحبه أكثر مما كان نرجس يحب نفسه .

ماكسيم ٣٧ : نعم ... كالحب في سن الخامسة عشرة . سهل جدا في مثل هذه السن .

ماكسيم ٢٠ : هل نسيت أننا أردنا أن نرحل معا حاملين حقائبنا على ظهرينا لنفر من الناس المضطربين في دوامة الحياة ، سعيدين لأن كلينا كان فخوراً بصاحبه ؟ ... ماذا تعمل في الحياة ؟

ماكسيم ٣٧ : أنا مهندس في الطرق والكباري .

ماكسيم ٢٠ : أيها البائس الشقي .

ماكسيم ٣٧ : أقوم بإنشاء طرق يحلم أن يرحل خلالها مجانين آخرون مثلنا . ثم أنت كنت تعرف جيدا أنك لن ترحل .

ماكسيم ٢٠ : أنا أمنعك أن تتحدث عني في سن العشرين . أنت لم تعد تدرى شيئا عن روحي في مرحلة الشباب . سيدتي ، أنا لا أدرى شيئا . لا أعرفك . ولكن حينما يحب المرء أوليس كما أحببته أنا في سن الخامسة عشرة ، لم يكن من حقكما أنتما الاثنان ... لم يكن من حقكما ...

(يبكى)

يـــولانـــد : (**لماكسيم ٢٠**) كان أوليس يقول لي دائما إنك كنت صديقًا لا مثيل له.

ماكسيم ٢٠ : وربما ، بسببى أنا ، أحببت أنت نفايتي هذه (**يشير إلى ماكسيم ٣٧**)

يـــولانـــد : من يدرى ؟

ماكسيم ٢٠ : كنتما تتحدثان عني ؟

يـــولانـــد : نعم ، هو يذكر شبابه بكل خير .

ماكسيم ٢٠ : لم أكن أستحق أن أجد نفسي يوما في هذا الهجران - ماذا صنعت بمستقبلي ؟ ماذا فعلت بشبابي ؟

ماكسيم ٣٧ : شبابك لم يكن بهذه الدرجة من الطهارة .

ماكسيم ٢٠ : ماذا صنعت بصديقي ؟ أنت لم تكوني موجودة بعد يا سيدتي ، ولكن ...

ماكسيم ٣٧ : ومع ذلك فأنت كنت تشعر بالغيرة منه في بعض الأحيان . ألا تذكر ذلك الحلم الذى ما نسيته أنا حتى الآن والذى رحت أنت فيه تسلب جميع باقات الورد التي كانت تبيعها بائعة الزهور التي كان يحبها أوليس ؟ وذلك اليوم الذى سرقت منه موضوع التعبير الفرنسي لكى يعاقبه المدرس وتكون أنت الأول ؟

ماكسيم ٢٠ : ألا تشعر بالخجل وأنت تحاول اليوم أن تعتذر عن جريمة بالتنقيب في أشياء تافهة في شبابي ؟

ماكسيم ٣٧ : أنا أضع الأشياء في نصابها .

ماكسيم ٢٠ : ولكن ماذا صنعت أنت بطموحاتي التي كنت أحلم بها ؟ طيور حياتي كلها أخرست ولم أعد أسمع سوى صراخ حيوانات عجماء على الطرق التي تشيِّدها من أجل شيخوخة الناس . عد إلى ورشتك ، يا أيها الأمل المحطم ! إن شبابي بأسره يحتقرك ويطردك . اذهب ! اغرب عن وجهي ، أيها الشقي ! **(ماكسيم ٣٧ يخرج)**
وأنت يا سيدتي تخونين أوليس من أجل حقير كهذا ؟

يـــولانـــد : أمامك ، وبالمقارنة بك ، يبدو إنسانا خاملا ، ولكن حينما لم تكن أنت هنا ، كان يشبهك كثيرا . ولقد أدركت الآن سر جاذبيته .

ماكسيم ٢٠ : هو متزوج على ما يبدو ؟

يـــولانـــد : نعم .

ماكسيم ٢٠ : ومن تكون تلك المرأة التي زوجني منها ؟

يـــولانـــد : أوه ! امرأة عادية ، عادية جدا . لا تستحقه ، أقصد لا تستحقك .

ماكسيم ٢٠ : ولدينا أطفال ، كما يقولون ؟

يـــولانـــد : نعم . ثلاثة أطفال ظرفاء . الأخير الذى فى السابعة من عمره يشبهك كثيرا .

ماكسيم ٢٠ : حينما أتصور أن أبنائى لن يعرفونى أبدا .

يـــولانـــد : أوه ! حقا ، أنت خير منه .

ماكسيم ٢٠ : وذلك الشارب المزرى الذى ألصقه بوجهى ...

يـــولانـــد : أرأيت ، أنا أيضا كنت أريد أن يحلق شاربه ...

(فى ضوضاء شديدة ، تدخل كل من مادلين وبيت والأم فينو والجد)

مـــادلين : **(مهددة ، مشيرة إلى يولاند)** هاهى ذى ! هاهى ذى !

الجـــد : اسكتن جميعا ! آسف لأننى أحدثكن بهذه الطريقة الفظة مع أنى سعيد جدا بصحبتكن ، كانت معرفتى بالنساء قليلة خلال حياتى القصيرة ولم أكن أعرف أن النساء على هذه الدرجة من السحر والجاذبية .

مـــادلين : **(مشيرة إلى يولاند)** حتى هذه ؟

الجـــد : إذا كنا سنعقد ذكريات أوليس بمشاكلنا الشخصية وصراعاتنا ، فلن نصل إلى شىء . صدقونى : هو الآن غائب ، علينا أن ننتهز فرصة غيابه هذه لكى نضع شيئا من النظام فى هذه المغامرة . أريد أن أجد لى مكانا فيها . أريد أن أفهم ما يدور .

يـــيــــت : وما فائدة ذلك ؟

مــــادلـين : ألن تعودى إلى بكائك ؟

يـــيـــت : ألـم تروا أوليـس حـينـمـا مـرَّ أمـامـى ولـم يـنـظـر إلىَّ ولم يعرفنى ؟

(يولاند تنطلق في ضحكة رضا وغبطة)

الجـــــد : كنت أول من تساءل إذا كان حفيدى له قلب أم لا .

يـــيـــت : أوليس له قلب ، أعرف ذلك ، ولكننى لا أعرف أن له ذاكرة .

مــــادلـين : لديه ذلك ، مادمنا هنا . لكن ذاكرته خائنة .

يـــيـــت : وهـذا أسـوأ نـوع مـن الخيانة . الوحـيدة ، الحـقـيقـيـة . لقـد أحـبنى ، وكل مـا أرجـوه منه أن يذكـرنـى . لم يعـد يحـبنى ، ولكن هل من حـقـه أن ينسـى أنه أحبنى فى يوم من الأيام ؟

يـــولانـــد : (**فى تعـال وتكبـر**) – أوليـس اعـتـقـد أنـه يـحـبـك . معذرة يا سيداتى فقـد أغيظكن بكلامى ، ولكن الأحداث تقـول ذلك . أوليس انـتـحـر من أجلـى . ولكى يطلق عيـارا ناريا على نفسه ، لا تعرفن ...

يـــيـــت : (**مقاطعة**) – أنا أعرف .

يـــولانـــد : (**فى قلق**) – هــل حـدث مـن أوليس ، قبل أن ينتحـر من أجلى ، أن حاول الانتحار من أجلك ؟

مــــادلـين : لا . بل هى التى حاولت الانتحار من أجله .

الجـــــد : أوليس الذى طالما شكى من الآخرين ، مذنب .

مـــــــادلين : هو رجل ، هذا كل ما في الأمر . لقد نسيها . وأنت (**إلى بيت**) بعد فشلك في الانتحار ، ألم تتزوجي من تاجر في الريف ؟

يـــيـــــت : بلى ، تزوجت .

مـــــــادلين : أنجبت منه البنين والبنات . وحاليا ، وفي الوقت الذي يمر فيه أوليس ، ألا تعيشن حياة هادئة ، ربة أسرة في إحدى المدن الصغيرة ؟

يـــيـــــت : هادئة ؟ تقولين هادئة ؟

الجـــــــد : ألا تحبين زوجك ؟

يـــيـــــت : نعم لا أحبه .

الجـــــــد : لماذا إذن تزوجت منه ؟

يـــيـــــت : كان لابد أن أواصل الحياة .

مـــــــادلين : ليكن - ولكن بقي معك الأولاد .

يـــيـــــت : أولادى غرباء عنى . مادام أوليس لن يعرفهم أبدا . ماداموا لن يعرفوا الرجل الذى أحببته . إن حياء الأمهات يشوهن .

مـــــــادلين : حال يرثى لها .

يـــيـــــت : فما بالكم إذا تضاعف خجلى . هل أستطيع أن أمحو ما حدث ؟ إذن أزيلوا هذه الندبة إن كنتم تستطيعون .

مـــــــادلين : أصبت نفسك في هذا المكان ؟ شيء مؤسف .

يـــيـــــت : ثم كان أن وضع ولداى ، كل في دوره ؛ رأساهما فوق هذا الجرح - لأننى مع ذلك أردت أن أرضعهما . أردت

أن أحبهما ... ذات صباح ، ابنى الصغير بولس قفز فوق فراشي وهو يلعب فدس إصبعه في هذه الندبة ... هنا ... وقال لي : " أوه ، ماما ... واوه ؟ هل تؤلك ؟ " ولم أعرف كيف أردّ على سؤاله . لم أجد سوى هذه الإجابة ! نعم ، كثيرا يا بنى " لم أكن قد عرفت أن أوليس قد نسى حتى ذكرى حبنا " .

(يظهر أوليس أعلى ، يتبعه نيقولا . الذكريات تحت ، تنفض)

أوليـــس : نيقولا !

نيقـــولا : سيدى ؟

أوليـــس : قل لي ، حينما يموت المرء ميتة عادية كما يموت الناس جميعا ، هل يضطر أيضا لاستعراض حياته ؟

نيقـــولا : لماذا هذا السؤال ؟

أوليـــس : لأننى لو كنت توقعت هذا العذاب لكنت لقّحت نفسى بحمى التيفود .

نيقـــولا : حتى النهاية ، ستحتفظ يا سيدى بطبعك العسير .

أوليـــس : عسير ؟ ولكن هل وجد على هذه الأرض إنسان أكثر منى رقة وحنانا ؟

لقد رأيت بنفسك كم كنت طفلا محبوباً . كم ستصبح حياة الناس أفضل إذا استطاعوا أن يحتفظوا بذكريات طفولتهم بشكل دقيق . لماذا ذكريات طفولتى على هذه الدرجة من السحر والجاذبية ؟

نيـــقـــولا : ألم تكن طفولتك كذلك ؟

أولـــيـــس : كانت ، على ما يبدو لى ، تتسم بالتردد والتنوع .

نيـــقـــولا : كل شىء يتغير يا سيدى ، حينما يتجمد كل شىء ويتوقف . الاحتمالات والتوقعات تثبت . فى الماضى ، كنت لا تعرف . يوما بيوم ، أين يمكن أن تحط قمم سعادتك وهوّاتها . والآن تستطيع أن تزور ماضيك بكل الثقة والتمكن الذى يتوافر لعالم جغرافى عليم .

أولـــيـــس : وما جدوى ذلك ؟ إحدى العبارات النادرة التى كنت أسمعها منك فيما مضى ، تقول : " ما حدث لا يمكن أن يحدث مرة أخرى " وكنت أعزّى نفسى أحيانا فى شقائى بهذه العبارة العميقة : ولكن هانحن نجد أن " ما حدث يحدث مرة أخرى " .

نيـــقـــولا : ألا توجد فى ماضيك ذكريات جميلة تحب أن تراها مرة أخرى ؟

أولـــيـــس : ما جدوى ذلك مادامت قد مضت وانقضت. لا سعادة إلا السعادة الخالدة .

نيـــقـــولا : ولكنك يا سيدى لست سوى إنسان .

أولـــيـــس : وهذا هو السبب الذى يجعل هذه المغامرة بلا طعم ولا رائحة بالنسبة لى.

نيـــقـــولا : ابحث جيدا . ألا يوجد شىء ، امرأة ، أو دقيقة تحب أن تراها مرة أخرى .

أولـــيـــس : لا .

نيقولا : تعوزك الصراحة .

أوليس : أتسمح لنفسك ...

نيقولا : منظر طبيعي لمحته ... طعم فاكهة يوما ما ، ثم لم تذقه بعد ذلك أبدا ؟

ولا لقاءات ضائعة ، لقاءات بلا توابع ؟ المصادفة تضعك أمام زهرة تمد يدك لكي تقطفها فإذا بالريح تحمل الزهرة ولا تنسى لونها الفريد طيلة حياتك . لقاء في شارع ... نظرة ... ونهاية - لكن الذكرى تظل ملتصقة بندم يعجز عنه التعبير .

أوليس : هل أستطيع أن أرى شخصًا لا أعرف حتى اسمه ؟

(أجراس آراس تدق)

نيقولا : نعم .

أوليس : هل تسمع هذه الأجراس ؟

صوت المجهولة : أوليس !

أوليس : وصوتها !

صوت المجهولة : أوليس !

أوليس : أخيرا ، سأعرف من هي ... ولكن فلتدخل ... فلتأت ...

(تدخل المجهولة)

أوليس : أخيرا ، ألقاك هنا :

المجهولة : أوليس !

أوليس : أخيرا ، ستشرحين لي كل شيء .

المجهولة : ماذا تريد أن أشرح لك ؟

أوليس : صحيح . أنت تجهلين ما حدث بعد ذلك .

المجهولة : ماذا حدث يا فارسى الجميل ؟

أوليس : هل تذكرين لقاءنا ؟ كنت غليظا معك . سامحينى .

المجهولة : لم تكن غليظا .

أوليس : أجل ! أجل ! اسمع يا نيقولا . حدث ذلك في ضواحي آراس . كنت قد نجحت في إسقاط طائرة للعدو . وكنت أشعر بكرب شديد . هل هذا هو كل المصير الرائع الذى ينتظرنى ؟ كنت خلف رشاشى وأمام هدفي لا أفكر في شيء . ولكننى ما إن عدت إلى الأرض حتى انتابني الخوف . كنت أشعر بالبرد . كنت وحدى ضائعا في يأس غريب . عندئذ قابلتك .

المجهولة : لا ، أنا أغريتك وقمت باصطيادك .

أوليس : أنت أغريتني وقمت باصطيادى ؟ لا ،لا ، أنا أسف . هذا فعلا ما ظننته في بادئ الأمر – ثم تبعتك .

المجهولة : كنت ترتعد .

أوليس : وصحبتك إلى أحد المنازل المهجورة . أنت أيضا كنت ترتعدين . فخلعتُ معطفى المبتل وطرحتك فوق الفراش .

المجهولة : فقاومت – فاندهشت أنت وتركتنى .

أوليس : كان الجو باردا والليل مظلما . ومن بعيد كنا نسمع قصف المدافع . وكانت بعض الأنوار تلمع فى السماء وتحط على وجهك – ثم انفجرت فى البكاء .

المجهولة : لا ! لا ! اسكت !

أوليس : وفي تلك الساعة كان الشفاء وحده يمكن أن يحركني .

المجهولة : لماذا لم تضربني ؟ كان يجب أن تضربني .

أوليس : نعم شعرت بالرغبة في ضربك ، بل وربما في قتلك .

المجهولة : **(مرعوبة)** آه !

أوليس : كنت أستطيع أن أفعل ذلك . كنا وحدنا في تلك المدينة وسط الحرب . وكان الموت سهلا ميسورا ، انتابتني رغبة مجنونة في أن أنتقم من حياتي كجندي ، وذلك بقتل امرأة ، بخنق امرأة تبكي . وسألتك بكل بساطة إذا كنت تحاولين اصطياد الضباط رغبة في إظهار دموعك لهم وحسب .

المجهولة : **(كما فعلت في الماضي)** أنا وصلت هنا ، منذ ثلاثة أيام ، أبحث عن أختي التي كانت تعيش هنا ، وقد تم إخلاء المدينة . وقد ناديتك لأنني كنت أشعر بالجوع والخوف .

أوليس : يا حبيبتي المسكينة !

المجهولة : كنت في غاية الطيبة معي .

أوليس : لا .

المجهولة : لقد غطيتني بمعطفك.. ثم أردت أن تنصرف لتبحث عن طعام ، فأردت أن أشكرك فقدمت لك شفتيَّ وقبلتني ، وأنت تميل على الفراش .

أوليس : وكانت رائحة الخمر تفوح من فمك . كنت مخمورة .

المجهولة : نعم . فرحت تشمني وتعنفني . بل لقد لكمتني بقبضة يدك .

أولــــيـــس : **(وهو يضرب قبضة يده)** أسف . أسف .

المجـــهـــولة : ثم رحلت وتركتني .

أولـــيـــس : أتدرين ماذا حدث بعد ذلك ؟

المجـــهـــولة : لا .

أولـــيـــس : همت على وجهي في المدينة بحثا عن محل بقالة . واشتريت بعض البسكويت ، والشيكولاته ، ونبيذا ، - ونبيذا ثم عدت إليك ، - عازما على اغتصابك ، لكي أتأكد أنك فتاة بكر ، لكي أتأكد أنك لم تكذبي عليَّ . وعثرت على المنزل ، وكنت أنت ما تزالين هناك ، نائمة كانت الدموع تسيل على خدك . وشعرت أمامك بالهدوء والحنان . وتركت لك الطعام الذى اشتريته والزجاجة . ثم كتبت لك كلمة أرجوك فيها أن تنتظريني حتى الظهر . وخرجت . وعلمت أن بعض الجنود مرُّوا في الصباح . ثم قصفت المدينة بالقنابل في الحادية عشرة . وتمكنت من العودة في حوالى الواحدة كالمجنون . وكان المنزل الذى كنت تنامين فيه ما يزال قائما . فاطمأن قلبي وصعدت السلم فوجدت الطعام قد اختفى ، وكذلك الكلمة التي كتبتها لك ، وبحثت عنك في جميع الحجرات فلم أجد أحدا . وانتظرت في المساء . ولكنك لم تعودى . ثم بحثت عنك ثلاثة أيام في جميع الشوارع . وبعد شهرين ، عدت إلى المدينة فوجدتها مدمرة تماما . اللهم إلا ثلاثة منازل . وكان منزلنا سليما لم يمس . فصعدت السلم وأنا أرتعد .

وكان الفراش ما يزال فى مكانه والأغطية منكوشة كما تركتها أنت . فانتظرت مرة أخرى كالمجنون ، يومين كاملين ، داخل المنزل . على أمل أن أراكِ تعودين ، على أمل أن تظهرى .

المجهولة : حبيبى !

أوليس : وخضت الحرب لا أفكر إلا فيك . من يدرى لعلى طول حياتى لم أحب سواك ؟

المجهولة : أوليس !

أوليس : أنت يا من كنت أبحث عنك دائما ، وأخيرا ، أعثر عليك ، أيتها المجهولة العزيزة .

(يتعانقان)

أوليس : **(وهو يخلص نفسه بعنف)** آه ! ما تزال رائحة الخمر تفوح منك .

المجهولة : أقسم لك أننى أقول لك الصدق . أنا فتاة عذراء تبحث عن أختها ، ولست كما تعتقد .

أوليس : هذه المرة ، سأتمسك بك ولن أتركك أبدا .

المجهولة : أنا أغريتك ، ولكن لأننى كنت جائعة وخائفة . أرجوك أن تصدقنى .

أوليس : اسكتى ! أولا ، لماذا لم تنتظرينى ؟

المجهولة : لست أدرى .

أوليس : أين كنتِ حينما كنت أبحث عنك فى كل مكان ؟

المجهولة : لست أدرى .

أوليس : الجنود الذين مرُّوا في الصباح هل اعتدوا عليك ؟
المجهولة : أي جنود ؟
أوليس : لا تتغابي . وأجيبيني ؛ لقد نسيت أن أسألك عن اسمك . ما اسمك ؟
المجهولة : أنت تعرف جيدا أننا لا نعرفه .
أوليس : ولكنك أنت تعرفينه .
المجهولة : أنا الفتاة المجهولة في ضواحي آراس .
أوليس : أنا أريد اسمك .
المجهولة : لا أعرف .
أوليس : نيقولا ! ألست أحلم ؟ هل كلامي يخرج فعلا من فمي كالأشياء الصغيرة؟
نيقولا : أنا لا أعرف هذه الإنسانه . فقد عملت في خدمتك ميكانيكيا بعد ذلك بسبعة أشهر .
أوليس : أجيبيني : هل كنت فتاة أم عاهرة تمثلين عليَّ ؟
المجهولة : علمي علمك . أنت تعرف ذلك مثلي .
أوليس : واليوم ، لماذا تفوح منك رائحة الخمر ؟
المجهولة : كيف تريدني أن أتغير ؟
أوليس : من كنت ؟ وماذا أصبحت ؟ ومن أين تأتين ؟ وإلى أين تذهبين الآن ؟
المجهولة : كل ما أعرفه أنني أقف أمامك .
أوليس : لقد أحببتك كثيرا فلا تسخري مني .
المجهولة : دعني !

أوليس : أجيبى !

المجهولة : دعنى أنام .

أوليس : (**يلكمها بقبضة يده**) قذرة !

المجهولة : آه !

أوليس : (**مشدوها**) وألكمها بقبضة يدى ! كما حدث فى الماضى ... وهى ترحل .

نيقولا : نعم . لقد انتهى الأمر بالنسبة لها .

أوليس : ولكننى أحلم ...

نيقولا : كلا . أنت تستعرض حياتك من جديد ، وأنا لا أستطيع أن أقدم لك إلا ما عشته فعلا .

أوليس : ولا أستطيع حتى أن أناديها ... إذن لن أعرف اسمها ما حييت ؟

نيقولا : لم تعد تشك الآن أنك بين ذكرياتك ؟

أوليس : اتركونى وحدى .

المتسول : (**داخلا**) آه ! الوحدة رهيبة أيضا .

أوليس : من هذا الرجل ؟

المتسول : أنت على حق يا سيدى . الحياة صعبة ! حسنة من فضلك !

أوليس : أنا لا أذكره . ماذا يعمل هنا ؟

نيقولا : أنت كنت تشعر بخوف شديد من أن تصبح فقيرا !

أوليس : (**فى تشكك**) – أنا !

نيقولا : كما أن الفقر كان يجتنبك ويستهويك : فى بعض الأحيان كنت تود أن تزهد فى كل شىء . الصحراء ، الدير ،

الطريق ... كل ذلك تتصوره وأنت جالس فوق الكرسى الفوتوى .

أوليس : ماذا تقول ؟

نيقولا : أشياء متناقضة . إن حياتك ، كحياة جميع الأشخاص العاديين ، حافلة بالمتناقضات . تارة نعم ، وتارة لا . آه ! سيدى إننى أرثى لمن سيتولى كتابة تاريخ حياتك . فإذا حاول أن يضع نظاما فى إبداعه فإنه سيبتعد عن الحقيقة . وإذا هو تتبعك خطوة بخطوة ، فى ذكرياتك ، كان التِّيه الذى يضل فيه .

المتسول : حسنة ، من فضلك !

أوليس : (**مغيظا**) لماذا لا تنفك تقول : " حسنة ! ... حسنة ... "

المتسول : لأن هذه هى العادة . نقول " حسنة ! " فاهم ! الحسنة هى نقود ...

أوليس : والنقود ؟

المتسول : نبيذ .

أوليس : والنبيذ ؟

المتسول : سعادة .

أوليس : والسعادة ؟

المتسول : أنت تعرف معنى هذه : المرء يكون سعيدا ، ثم يمضى كل شىء وينقضى!

أوليس : وإذن ؟

المتسول : إذن ، أبدأ من جديد فأقول : " حسنة ، من فضلك ! "

أولـيـس : هنا المتسول لا يطاق . قذر ، كريه الرائحة ، لا يدرك شيئا ممًا أعاني .

المتسول : لو كنت تشعر بالجوع ... لو كنت تحتاج إلى خبز ...

أولـيـس : لا تقترح عليَّ هذا الوضع بهذه الحماسة .

المتسول : عفوا ؟

أولـيـس : إن الحاجة إلى الخبز، في حد ذاته ، هي أيضا وضع الراهب في الصحراء ، كما أنها وضع العامل العاطل . أنا أريد لمصيرى إرشادات أكثر دقة .

المتسول : أنا جائع .

أولـيـس : أقضي عمرى في تقديم الخبز للجوعى ؟ ما رأيك في ذلك ؟

نيقولا : لو رحت تتناقش مع الجوعى الذين يفكرون ، فهيئ نفسك لكل أنواع المغامرات .

المتسول : واللانشون والنبيذ والأحذية ...

أولـيـس : أعمال خيرية في حي للفقراء ؟ أليس كذلك ؟

المتسول : لو كنت مكاني ...

أولـيـس : ولم لا ؟

نيقولا : كم من الوقت ؟

أولـيـس : الوقت الكافي للانتهاء من الدروس الأخلاقية المرتبطة بهذا الموقف .

نيقولا : وبعد ذلك ، هل تسترد نقودك ؟

أولـيـس : أنا أكسبها بلا مزاح ولا فخر . لقد هبطت من سماء من نار . آه ! لو كنت تدرك حياتي ! آخر أسبوع في

الحرب : كنت ألعب لعبة الاستخفاء مع الموت ، ولا أريد أن أموت . بل كان ذلك لكى أعيش حياة أفضل . أنا لا أفسر ولا أشرح فأنا لست عالما نفسانيا ، أنا أروى فقط . وهذا ما ادخرته لى مدن السلام : زيادة جميع جراجات باريس والضواحى لبيع كرببيرتير طراز جديد .

نيـــقـــولا : كنت دائما تطلب من الله تعالى معجزة يومية وشخصية صغيرة .

(**إلى المتسول**) يحتاج إلى عنايات إلهية خاصة .

المتـــســـول : أنا ، جوعان .

أولـــيـــس : هو على حق . الناس مثلنا لا يشعرون بوخز الضمير الكافى حينما يأكلون في ساعة محددة .

نيـــقـــولا : على أية حال ، هذا اللقاء في غير محله ، أنت تجعله بعد الحرب . لكنه حدث وأنت في الخامسة عشرة تقريبا .

أولـــيـــس : كلا ! إنه لقاء يقع لى كل يوم فى حياتى .

نيـــقـــولا : إذن ، لماذا لم تكن محسنا ؟

أولـــيـــس : لأننى اتَّبعت عرف العصر الذى عشت فيه .

المتـــســـول : سيدى الطيب ...

أولـــيـــس : ومع ذلك فهو لا يهم . ولكن الآخرين ... الذين لا نكتشفهم إلا إذا انتقلنا إليهم ، الذين يعيشون فى بيوت تسقط فيها الأمطار ، فى حجرات فيها دلاء الماء فوق الكراسي والأطفال يفترشون الأرض... خليط من القذارة والبؤس ...

نيــــقــــولا : أنت ذاهب إذن إلى هؤلاء الناس الفقراء ؟

أولــــيـــس : نعم ، ثلاث مرات أو أربع .

نيــــقــــولا : ولماذا ثلاث مرات أو أربع فقط ؟

أولــميـــس : لأن مستقبلي يدفعني ويشدني .

المتــســول : حسنة ، لو تكرمت ...

أولــــيـــس : خذ ، هذه عشرون قرشا . أنت مزعج .

المتــســول : شكرا يا سيدي الكريم .

نيــــقــــولا : سيذهب من فوره إلى الخمارة .

أولــــيـــس : طبعا . بعشرين قرشا لا يستطيع أن يذهب إلى ملهى ليلي .

(الديكور يظلم ، الأشخاص يتفرقون في أماكن مختلفة من المنصة ، على مستويات مختلفة من الارتفاع – عليهم ضوء خفيف)

نيــــقــــولا : سيدي يجهل إلام ستقوده هذه الألفاظ : " ملهى ليلي " ما أغرب ذاكرة الإنسان . إن أكبر الذكريات تدخل دائما من أضيق الأبواب . لقد قلت لك : مادلين تقترب **(ما يزال يتوجه بالحديث للجمهور)** وهي لم تعد مادلين التي عرفتها . أبدا . ستعود الآن وقد تغيرت تماما . ليست كما كانت ، ولا كما أصبحت – ، وإنما ك ... هس ! هاهي الأزهار قد سبقتها !

مــــــادلين : **(إلى أوليس)** شكرا ، يا حبيبي ، على زهورك الجميلة هذه .

أولـــيـــس : آه ! هاأنت مرة أخرى ! وأنا في العشرين من عمرى .

مـــادلين : وشكرا لأنك تذكرت أني أحب السوسن الأبيض .

أولـــيـــس : أوه ! لن تستطيعى أن تعرفى إلى أى حد كنت قد نسيت ذلك !

مـــادلين : أشك فى ذلك . ولكن أشكرك لأنك تذكرته أول مرة : لقد التقينا في بار" الكاتب " هل تذكر ؟ وبلا سبب قلت لك ، قلت لك : أنا أحب السوسن الأبيض – وفى اليوم التالى تلقيت منك هذه الباقة الرائعة . حبيبى !

أولـــيـــس : حسنا ! اذهبى ونسقيها فى وعاء زهر فى بيتك، ولنكف عن الكلام عنها.

مـــادلين : فى وعاء الزهر اللبنى الذى كنت تحبه كثيرا

أولـــيـــس : تصورى لقد نسيت هذا أيضا . ثم إن هذا كله لم يعد ذا أهمية . ولم يكن له أية أهمية . فقبلى رجال آخرون قدموا لك زهوراً ذبلت فى هذا الوعاء . ثم جاءت زهور غيرها .

مـــادلين : ولكنك لست الرجل الوحيد في الخليقة . يجب أن تعترف بهذا يا عزيزى وتسلم به .

أولـــيـــس : لا تتصورين إلى أى حد أنا مسلِّم بهذا .

مـــادلين : أنت مخطئ . فأمام زهور بهذا الجمال ، أشعر بسعادة بالغة .

(تذهب إلى الناحية الأخرى لتنسق الزهور في وعاء زهر لبنى)

الجـــــــد : **(يقترب من أوليس)** هـل أسعدك الحظ وأحبّتك هذه المرأة الجميلة أيضا ؟

أولـــيـــس : **(متشككا)** أحبتنى ؟

الجـــــــد : نعم . هل أحببتها أنت ؟

أولـــيـــس : أبدا . **(يتوقف ويسأل نيقولا :)** ما رأيك ، يا نيقولا ؟ **(حركة ساخرة من نيقولا . أوليس يستطرد :)** شويه ، ربما ، على الماشى.

الجـــــــد : ولكن على الماشى هذا دام طويلا ؟

أولـــيـــس : لـم أعـد أدرى ... عـدة شـهـور ... أعرف أن اسـمـهـا مادلين . اسم ضمن أسماء أخرى فى حياتى .

(مادلين تعود حاملة حقيبة سفر)

أولـــيـــس : ماذا تحملين ؟

مـــــادلين : خطاباتك التى لم أجد فرصة لإعادتها إليك .

أولـــيـــس : **(ساخرا)** - وهل تحتاجين لحملها إلى حقيبة سفر ؟

مـــــادلين : غريبة ! إن فيها أكثر من خمسمائة رسالة .

أولـــيـــس : هل أنت مجنونة ؟

مـــــادلين : انظر. أنت كنت تكتب لى كل يوم تقريبا - وقد دام حبنا أكثر من عامين.

أولـــيـــس : عامين ؟

مـــــادلين : عامين وشهرين .

أولـــيـــس : مستحيل

مـــــادلين : **(بحنان)** ألا تذكر الصيفين اللذين أمضيناهما معا ؟

أوليس : أذكر .

مادلين : والشتاءات الثلاثة في باريس ؟

أوليس : (**سعيدا بتذكره**) الأول ، نعم ...

مادلين : ثم كان الثاني ، - ثم الأخير الذي انتهى نهاية سيئة ، الثالث .

أوليس : نعم ، أذكر . حيث لم نعد نشعر بالحب .

مادلين : هل أسفت على فقداني ؟

أوليس : (**لطيفا بقدر الإمكان**) - كلا !

مادلين : أحيانا ، في المساء ، اسمي لم يكن يخطر ببالك ؟ تتساءل : " ترى ، كيف أصبحت مادلين ؟ "

أوليس : كنت أتصور نهاية مصيرك ، كل شيء صار مبتذلا ، شكلك كان يزداد سوقية ...

مادلين : حسنا . أشكرك .

أوليس : حقا ، ماذا أصبحت ؟

مادلين : كما تراني ، أمامك ، بهذه الزهور التي هي زهورك ، والثوب الذي كنت تحدثني عنه دائما في الماضي . هل تتذكر هذا الثوب ؟

أوليس : نعم. التقينا لأول مرة عند أصدقائك ، يوم أحد ظهراً في الريف ، والشمس على أشدها ... كنت تشعرين بالحر ، وكانت ذرات من العرق فوق شفتيك ... شفتيك الحمراوين ... كم كنت جميلة ... كنت أقول لنفسي : لن أستطيع ما حييت أن أقول لمادلين إني أحبك .

مـــــادلين : كنا قد تعارفنا منذ قليل .

أولــيــس : وثوبك الذى طالما تمنيت أن أتحسَّسه . دعينى أتحسس هذا الثوب الذى أراه لأول مرة بعد ذلك اليوم الذى أحببتك فيه .

مـــــادلين : أنت تذكر أن المودة كانت قد تغيرت ، حينما التقينا للمرة الثانية بعد عام .

أولــيــس : أوه ! في ذلك المقهى الكئيب كما هى جميع مقاهى باريس بلا شمس .

مـــــادلين : **(كما فى الماضى)** – " صباح الخير يا سيدى ، ألا تعرفنى ؟ "

أولــيــس : أوه ! بلى ! أعرفك – كنت قد انتقلت إلى سكن آخر مما جعلك تتكلمين عن الشقة وهكذا عرفت عنوانك . وفى اليوم التالى ، أرسلت إليك أزهار السوسن . هل توجد هنا جميع خطاباتنا .

مـــــادلين : نعم .

أولــيــس : هل توجد بينها أول رسالة لك ؟

مـــــادلين : طبعا .

أولــيــس : **(يبحث ويقرأ مطلع الرسائل التى تقع فى يده مصادفة)** – " معبودتى الحبيبة ... " كلا ، ليست هذه " صغيرتى مادلين ... " كلا ، ليست هذه أريد رسالتك الأولى ... " هذه الرقة والعذوبة ... " كلا ، رسالتك الأولى **(ثم يقول من الذاكرة مطلع الرسالة :)** سيدى ، أكتب إليك وأزهارك البيضاء بين ذراعى – وأريجها ... "

(مادلين تذهب وتحضر أزهار السوسن - وتمثل أمامه والأزهار بين ذراعيها)

مادلين : هاهى ذى ، مع ثوبى الأول وجميع خطاباتى .

أوليس : عزيزتى مادلين .

مادلين : وتناولنا العشاء معا فى المساء نفسه . هل تذكر ؟

أوليس : وصبى المطعم الأبله !

(يدخل صبى المطعم فجأة وهو أحول ويتهته فى الحديث)

الصبى : لا ، لا أريد أن يسخر أحد منِّى .

أوليس : صبى المقهى العزيز !

الصبى : هل ستبدأ من جديد ؟

مادلين : **(لأوليس)** هل رأيت عينه ؟ ينظر كما يتكلم .

الصبى : هل أنا أعاتبكما لأنكما تتعانقان فى كل مرة أصل فيها بالأطباق ؟

نيقولا : **(من الباب)** أهذا هو الذى ستطلقه ؟ لأن هناك أكثر من سبعة آلاف ينتظرون .

الصبى : أعرفهم تمام المعرفة .

نيقولا : شىء لا يصدَّق ، عدد رهيب ، عدد صبية المقاهى الذين يمكن أن يراهم الإنسان طوال حياته . إنهم موجودون كأنهم أشباح قذرة ، لا ملامح لهم .

أوليس : **(للصبى)** لا تغضب . اجلس هنا .

الصبى : وأنتما تشكوان لأن الكشك المظ كان من النوع المحفوظ فى المعلبات . كان فى الشتاء ...

أوليس : أنت جزء من المشهد . وجهك ، وجه البهلوان يرتبط بمغامرة حب عجيبة (**إلى مادلين**) لأننا سنحب بعضنا ؟

مادلين : يالك من طفل !

أوليس : كنت أحبك منذ عام ، لكنني لم أكن آمل أن أستطيع يوما ما أن أصارحك بحبي . ليكن . ليحدث ما يحدث . ستضحكين مني إذا أردت . كل ما أرجوه منك ألا تغضبي : لا أستطيع أن أقاوم الفرحة التي أشعر بها وأنا أقول لك ، لك أنت : " مادلين ، أنا أحبك "

(يتعانقان)

الصبي : بمجرد انتهائهما من تناول المشهيات ، لا يتوقفان .

مادلين : تعال .

أوليس : (**حائرا**) إلى أين نذهب ؟

مادلين : ألا تذكر ؟ لقد ذهبنا إلى بيتي لنرى كم ستكون أزهار السوسن البيضاء جميلة في وعاء الزهر اللبني .

(أوليس يرى ذكرياته من حوله)

أوليس : لا تدخلوا هكذا بسرعة أنتم الآخرون . ابقى يا مادلين حتى النهاية ، لا تتركيني بعد الآن . أما أنتم ، فانصرفوا . فأنا لا أعرفكم . لا أعرف من تكونون . كل ما أعرفه أنني تعذبت كثيرا حتى الموت ثم عثرت في آخر ساعة على لحظة من الراحة . مادلين ، ينبغي أن أنام نوما لا أحد يعرف أحلامه . وحتى أروح في هذا النعاس ، ابقى بجواري وحدثيني في الحب .

مـــــــادلين : كنت رائعا . ظللنا متعانقين طول الليل من غير نوم . ولما بدأت الشمس تشرق ، بدأنا ننام . ثم عندما أفقنا وجدناها في كبد السماء ، شاحبة صافية ، شمس شتاء جميلة . وكنا نشعر بالجوع .

أولـــيـــس : ونحن اللذان كنا عشيتها لا نعرف بعضنا جيدا ، رحنا نرتدى ملابسنا ونحن نضحك .

مـــــــادلين : سنتان من السعادة .

أولـــيـــس : كل هذه الفترة ، تعتقد ؟

مـــــــادلين : سنتان ، مر الزمن سريعا ، يوما بعد يوم .

أولـــيـــس : وهذه الأيام ، حينما تتوالى في الذاكرة ، كم تتقلص وتصغر وتكاد تتكدس داخل أحد الأدراج . وأنت متى تذكرتنى ؟

مـــــــادلين : في إسبانيا ، في مالاجا ، وفي الفندق ذي الأزهار التي كانت تنزل في المياه الزرقاء ، والليالي التي كانت تضيؤها النجوم الزاهرة ، وأنت معي تردد على مسامعي : " أحبك يا مادلين ، أحبك . "

أولـــيـــس : نعم ... ومن حولنا ذلك الطنين من اللغات الأجنبية وصهيل الجياد المجروحة ، والدماء الحمراء ، والرجال الذين يقتلون الحيوانات وهم يرقصون – أو يعرضون أنفسهم للقتل وهم يصيحون قائلين : " برافو ، أيها الثوار . " أحبك يا مادلين ، أشعر أنني ولدت لأكون سعيدا .

الجـــــــد : (**متدخلا**) هذه التى تزعم أنها امرأة بلا أهمية ؟ اسم ذهب طي النسيان ، خمسمائة رسالة غرامية ! رحلات وقبل تحت النجوم الساطعة - سعادة أنا لم أصادفها فى حياتى .

أولـــيـــس : أنت تباغتنا هكذا كوخز الضمير ... ولكننى يا جدى لم أكن تعيسا فى جميع ساعات حياتى ودقائقها ، ولم أنتحر سوى مرة واحدة .

الجـــــــد : عظيم . فلنواصل !

أولـــيـــس : لا . لن أواصل . الآن وقد تقدمت في السن وتعذبت وأعثر على سعادة كنت قد نسيتها ... لقد نسيت ... مادلين أننا كنا سعيدين .

مـــــادلين : حبيبى أوليس .

أولـــيـــس : ولكن ، من الذى فرَّق بيننا ؟

مـــــادلين : لست أدرى .

أولـــيـــس : أنت لم تكونى مخلصة فى حبك .

مـــــادلين : فى البداية ، كنت مخلصة .

أولـــيـــس : فى البداية ؟ وتخرجين دائما وحدك ، الآن ، وتعودين فى قمة السعادة أو فى قمة الحزن ، ودائما متعبة .

مـــــادلين : وأنت ؟

أولـــيـــس : وأنا أيضا .

مـــــادلين : ومع ذلك فنحن سعيدان .

أولـــيـــس : هل تعتقدين ذلك ؟

مــــــادلين : نحن صديقان صدوقان .

أولـــيـــس : صدوقان ؟ لا يا مادلين . كل منا يكذب على صاحبه وأنت تكذبين عليّ .

مــــــادلين : أقسم لك ، يا صديقي ...

أولـــيـــس : أقسمي لي فقط بأن تذهبي لتحضري حقيبتك التي تركتها في المدخل ، أن تحضريها لي دون أن تفتحيها وأن تتركيني أفتحها بنفسي .

مــــــادلين : حالا .

(تخرج)

الجـــــــد : ماذا جرى ؟

أولـــيـــس : هذه عاهرة !

الجـــــــد : ماذا ؟

أولـــيـــس : كيف كانوا يطلقون على أمثالها في الماضي ؟ قطّاعة ... إنها تعيش على حساب رجل غني يغير من اسمه دائما

الجـــــــد : ألم تكن تعرف ذلك يا عزيزي ؟

أولـــيـــس : كانت تقول لي : " لا ، هذا غير صحيح . " وكنت أصدقها لأنني كنت أحبها كثيرا .

الجـــــــد : ومنذ قليل ، وعلى حين فجأة ، عرفت جزئية جديدة ؟

أولـــيـــس : لا . ولكن القرف جاء مع الملل . إنها من جنسك يا جدي . تحتاج إلى نقود .

الجـــــــد : في بعض الأحيان ، ...

أولـــيـــس : حسنا ! أنا لن أبيع نفسي ، حتى ولو للسعادة . لن أخضع أبدا .

(صفق باب)

نيـــقـــولا : سيدى ، الآتية رحلت قبل قليل .

أولـــيـــس : ماذا ؟

نيـــقـــولا : ترددت وهى تأخذ حقيبتها ، ثم قررت دفعة واحدة .

أولـــيـــس : لكنها ستعود ؟

نيـــقـــولا : حاليا ، هى مقتنعة بأنها لن تعود أبدا .

نيـــقـــولا : أرضيت ، إذن ؟

أولـــيـــس : الحياة ليست ببساطة رهان يا جدى ! إننا لا نحصر مصيراً بين لفظتى نعم ولا . وبخاصة مع امرأة مثل مادلين . نيقولا ، أين هى ؟

نيـــقـــولا : لا أعرف يا سيدى .

أولـــيـــس : اذهب وابحث عنها .

الجـــــد : وهل سترضى أن تعيش مع امرأة حاجتها للمال تفرض عليها نوعًا معينا من الحياة ، كنت تقول عنه ...

أولـــيـــس : حتى بعض الرجال المتعاظمين يمكن في بعض الأحيان أن ينزلقوا إلى غراميات مؤثرة . حينما صادفتها ، كنت عائدا من الحرب . كنت بطلا ، بطلا ضائعا ... **(يدخل ماكسيم ٢٠)** أوه ! أنت يا صديقى ستفهمنى .

ماكسيم ٢٠ : للأسف ، حينما علمت بخبر هذه الخيانة التى لا تفتقر ، والتى أنا منها برىء ...

أولـــيـــس : لقد طردتها . أردت أن أقوم بدور الرجل القوى ، وأنا وحيد وضعيف . إن جسدها غض . أخبرها أننى صفحت . بل إننى امتثلت .

ماكسيم ٢٠ : ما أروعك يا أوليس إذ تستطيع أن تصفح ! وما أعذب كلامك هذا الذى ينزل برداً وسلاماً على قلبى .

أوليس : ألا تسىء الظن بى ؟ ألست فى نظرك جبانا ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أريد سعادتك ، إذا كانت ما تزال هناك فرصة لكى تكون سعيدا .

أوليس : حينما علمت أنها تخوننى ...

ماكسيم ٢٠ : باسم صداقتنا ، اسكت . لشد ما أشعر بالخجل .

أوليس : ماذا تريد ... أنا فى حاجة إلى أن أكون قريبا منها . اعمل كل جهدك لكى تجعلها تعود . أريد أن أعيش ؛ وأنا لا أقوى على العيش دونها .

ماكسيم ٢٠ : لكى تعيش يا أوليس ، أنا أعطى ...

أوليس : ولكن لعلها لا تريد أن تعود ؟ أين هى ؟

ماكسيم ٢٠ : سأذهب إليها ، وأتوسل إليها ، بل وأحضرها بالقوة إذا لزم الأمر !

أوليس : هل تعرف أين تختبئ ؟

ماكسيم ٢٠ : نعم .

أوليس : إذن ، ابذل كل جهدك ...

ماكسيم ٢٠ : مادمت قادرا على الصفح يا أوليس ، فلعل كل شىء لم يضع . ولعلك تستطيع أن تواصل الحياة .

(يخرج)

نيقولا : (**للجد**) – ينتظرها . ولكن مادلين لن تعود أبدا .

الجد : وهو يعتقد أنه لم يحبها ...

نيــــقــــولا : هس ! إنــه في ذكــرياتــه ... نعــم ، الرجـال على هـــذه الحـال من التناقض والتذبذب ... قبل عشر سنوات ، كان يعتب عليها أنها هجرته ... والآن ، أنت سمعت المشهد : هو الذى كان قد طردها ...

(ماكسيم ٢٠ يصل بسرعة)

ماكسيم ٢٠ : عزيزى أوليس ! هاهى ذى ! هى أيضا تصفح عنك .

أولـــيـــس : صديقى

(تدخل يولاند)

يـــولانـــد : أخيرا ، تنصفنى يا حبيبى ...

(صمت)

أولـــيـــس : (**شاردا**) - من تكون هذه المرأة ؟

يـــولانـــد : (**فى اندهاش وعنف**) - أوليس !

أولـــيـــس : أعرف ، يا إلهي ، أن اسـمي أوليس ! نيقولا ! جـدى ! كل شيء يختلط ، يتعقد ، ذكرياتى تتحول إلى كابوس . لا تفرح يا جدى . لا تقل إن حالى لم يرثي لها . لا تقل إن الحياة كانت كريمة معى . لا تقل إن " الحظَّ " وافانى وأحببت . اليوم ، فـهمت كل شيء . ليس المهم أن يحب المرء . وإنما أن يكون محبوبا . إن العمر يتقدم بى وأنا فى حاجة لمن يحبنى . اطرد هذه المرأة .

يـــولانـــد : أوه ! لكننى سأعود إليك !

(تخرج)

الجـــــد : أنا أحبك يا بنى .

أوليس : أعرف ذلك . ولكنك لست سوى صورة . وأنا أفكر فيك دائما وأعرف أنك كنت ستحبني . ولكنك لست قريبا مني على الأرض . وأنا لن أستطيع أن ألقاك إلا فيما بعد في اللقاء الذي يضربه الموت للأحياء . لذلك أخذت موعدا ، لأن أحداً لم يحبني فوق هذا الأرض ، ولا حتى زوجتي .

(بيت تقترب)

بيت : ليس ظريفا أن تتحدث هكذا يا أوليس .

أوليس : **(وقد فوجئ)** من تكونين أنت ؟

بيت : إذا كنت تسألني من أكون ، فأنا لست شيئا .

أوليس : لماذا تمسكين بهذا الشريط الأزرق في يدك .

بيت : رجل اشتراه لي ذات صباح وأنا أعتقد في السعادة

أوليس : مسكينة !

بيت : نعم .

أوليس : وسعادتك لم تدم طويلا ؟

بيت : كلا !

أوليس : أين قابلتك ؟ اعذري لي نسياني، لكنني لا أعثر على نفسي في أي مكان . أين عرفتك ؟

بيت : أنت لم تعرفني .

أوليس : إذن ، ماذا تصنعين هنا ؟

بيت : هذا ما أحاول أن أعرفه .

أوليس : ما اسمك ؟

يـــــيـــت : نسيت حتى اسمي ؟

أولـــيـــس : هات هذا الشريط .. هذا الشريط .. يا بيت !

يـــــيـــت : أوليس !

أولـــيـــس : وكنت هنا .. قريبة ..

يـــــيـــت : هل تتألم ؟

أولـــيـــس : أوه ! عفوا ! عفوا !

يـــــيـــت : مازلت أحبك . لا تسألني العفو .

أولـــيـــس : نعم ، أريد أن يكون آخر موقف لي في الحياة عند قدميك ، أريد أن أتجمد في وضع صلاة من أجلك أنت . التي أحببتني .

يـــــيـــت : حبيبي أوليس .

أولـــيـــس : نيقولا ! لا تزعجنا بعد الآن . إلا أن يشاء الله .

نيـــقـــولا : ولكن يا سيدي ، الآلهة هنا منذ زمن طويل .

أولـــيـــس : الآلهة ؟ هل هم كثيرون ؟

نيـــقـــولا : حوالي خمسين .

أولـــيـــس : ماذا تقول ؟

نيـــقـــولا : من جميع الأعمار . والألوان . الصفر والحمر والسود . يوجد بوذا من الجبس ، فوق مدفأتك ! إذا كنت طالبا هناك أيضا يسوع الصغير الذي تعلقه والدتك في رقبتك يوم مولدك والذي ستمصه بشفتيك حينما تؤلمك أسنانك وهي تنبت .

أوليس : آه ! هذه آلهتي ! لقد سقطت كما سقطت أسناني الأولى . يمكن أن تحرقها . ولا تعد إلى إزعاجنا . أريد أن أتوقف عند هذه اللحظة .

(يعود إلى بيت) لأنني لا أريد أن أرى نفسي مرة أخرى وأنا أهجرك . لم أعد أريد أن أسمع بكاءك ، ولا أن أتذكر الأعذار التي انتحلتها في طبيعتي المتقلبة ، لكي أهجرك وأجعلك تتعذبين .

بيت : لا تعجل بالحديث عن هذا من الآن .

أوليس : بيت . أخبريني ، حينما أطلقت أنت الرصاص على نفسك ، هل استعرضت حياتك ، أنت أيضا ؟

بيت : لا . أنا لم أر سواك ، أنت الذي من أجله أردت أن أموت .

أوليس : وبعد ذلك ؟

بيت : أفقت من حلمي ، فوق سرير بالمستشفى وكنت أنت غائبا . لم يكن لي أن أراك ثانية إلا هذا المساء ، حيث أنا أخيرا بين ذراعيك .

أوليس : يا حبي الغالي .

يولاند : **(تقتحم المكان)** وأنا ! أنا ! ماذا يصنع بي في هذه القصة ؟

(أوليس يتقدم ، وقد أصابه الرعب ، بطيئا نحو يولاند . موسيقى عرس تصدح .)

ستار

الفصل الثالث

(الديكور نفسه)

الجــــد : لن يستطيع أن يقنعنى بأن حياته كانت لا تطاق . لقد خسر الرهان .

نيـقـولا : انتظر .

الجــــد : (**للأب**) – ما رأيك أنت ؟

الأب : أنا أنتظر .

الجــــد : ولكن أنت الذى مت عجوزا طاعنا فى السن ، هل تفهمه أكثر منى ؟

الأب : إيه ! كلا . أوليس كان دائما مجنونا .

الجــــد : ولكن أنت الذى مت طاعنا فى السن، هل كنت تستسلم للموت عشية موتك؟ (**صمت**) ماذا كنت ترغب يوم موتك ؟

الأب : عشر سنوات أخرى هادئة لكى أتأمل حياتى المنتهية .

الجــــد : أوليس لا يحب أن يتأمل ؛ إنه يفور ويغلى . لقد لاذ قبل قليل بالفرار تحوطه النسوة والرجال وسط ديكور من المناظر الطبيعية والمدن التى تختلط وتنفصل ثم تتلاقى . أوليس كان فى غاية السعادة .

نيـــقـــولا : (**كئيبا حزينا**) – فلنتهيأ أيها السادة للبكاء .

الأب : لماذا ؟

نيـــقـــولا : لأنه مـع قمة السعادة التى كان فيها ، هرب ، بكل أسف ، إلى آخر يوم فى حياته . وعما قليل سيقابل " يولاند " ويعلم بأمر الخيانة التى ارتكبتها فى حقه هذه المرأة التى كان يعتقد أنه يحبها . أكثر من نفسه ، ثم يطلق عدة صرخات ، ويتناول مسدسه و ... حينئذ ينتهى كل شىء .

الجـــــد : أنا سأمنعه عن ذلك .

نيـــقـــولا : كلا . فى الحيـاة كل شىء فريد : التجارب مثل الثوانى التى تمر . شعور بوخز الضمير لا يحل محل تصرف معين . وشعور بالندم لا يمحو أثر كلمة معينة . ما قد قيل سيتكرر مرة أخرى . كم سيكون المشهد مؤلما !

الجـــــد : أين هو الآن ؟

نيـــقـــولا : هـو يستعد ، سيأتى ليحدثنا عن الوحدة التى ملكت عليه حياته ، وكيف أن أصدقاءه ابتعدوا عنه وحماسته تخلت عنه . سيتحدث عن مـدى طهـارة هـذه الفتـاة . ثم يقـرأ مـرة أخـرى الرسـالة الزرقـاء التى مطلعـها : "حبيبى" وأخيرا المسدس والناس الذى يستولى عليه ... أوه ! ...

الجـــــد : وهل ستكون اللحظات الأخيرة فى حياته بهذه الأهمية ؟

نيـــقـــولا : بالنسبة له ، طبعا . فهذه آخر مرة يستعمل فيها كلاما بشريا يعبر به عن قلق ربما يكون عاما وشائعا .

الأب : ابنى حبيبى !

نيـــقـــولا : بما أن المشهد النهائى سيبدأ بعد قليل ، فعلينا أن ننتهز فرصة هذا الهدوء لكى يودع كل منا الآخر .

الأب : ألن تتركونا معه وحدنا ؟

نيـــقـــولا : عند إطلاق الرصاص ، علينا أن نفترق . أنت ، وأنت – لكى تغيبا فى نسيان أرضى نهائى – فلقد كان أوليس آخر شخص على الأرض يفكر فيكما ؛ وأمّا أنا فلكى أعود إلى جسدى ، جسد الكائن الحى لأننى – وهذه خاصية أتمسك بها كثيرا – سأواصل الحياة (يعيّن مكان المشهد الأول) هنا ، وحيث لا أرى نفسى ، وحيث ترتعد فرائصى أمام سيدى الذى يحتضر مع أفكاره .

الجـــــــد : وهكذا سوف تعود أنت إلى مغامرات تجهل نهايتها ؟

نيـــقـــولا : نعم . وبطبيعة الحال ، ستكون الأيام الأولى صعبة بالنسبة لى ... فمن وصول الطبيب الذى يواسى سيدتى ، وإلى الشرطة ، إلى إجراءات الدفن وفراق سيدى الذى كنت أحبه . (يبكى) كما ينبغى أن أبحث لى عن مكان آخر . أليس من الغباء أن يقتل المرء نفسه من أجل عاهرة كتلك ؟

الجـــــــد : ولكن ما رأيك أنت فى هذه القصة ؟ لماذا خانته زوجته ؟

نيـــقـــولا : وهل تعرف لماذا ترتكب النساء الحماقات ؟ إنهن يتصرفن بالعكس كما تحطم الطباخات الأوانى. إنهن يستوحين مثل هذه السخافات من مصادر شخصية تخيِّب كل الظنون والتوقعات .

الأب : (**للجد**) – ولكن ما الموقف الذي سنتخذه حينما يصرخ من الألم ؟

الجـــــد : بالنسبة لي ، قمت باستدعاء طبيب ، وممرض ، ونقالة ، والصليب الأحمر .. ولما لم أجد أحداً . حاولت أن أنتظر طلوع الشمس .. وجعلت أعد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ حتى ٦٠ ثم أكرر من جديد ؛ كان الليل بارداً وكان البرد يتسرب إلى ساقيَّ . وأنا أعد ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤، ... هذا كل ما أعرفه .

الأب : ولكن أوليس لم يوافق على استعراض حياته إلا من أجلك أنت . سيتعذب بسببك مرتين .

الجـــــد : ولكنك كنت متفقا معي ...

الأب : على أن انتحاره شيء مؤسف ...

الجـــــد : وهل تعرف الآن الأسباب ؟

الأب : لماذا كل هذه الغطرسة ؟ أنت نفسك غيرت رأيك – وأصبحت تشاركني الرأي .

الجـــــد : أي رأي ؟

الأب : لكي نقتنع بأن موته كان ضربا من الغباء ، نحاول أن نجعله يموت مرة أخرى . مسكين ابني ، مسكين .

نيـــقـــولا : آه ! أسمعه الآن وقد بدأ فعلا يردد اللازمة " لماذا خنتني؟... لماذا خنتني ؟ ... سأقتل نفسي ... "

(يدخل أوليس ، وحوله بيت ومادلين والمجهولة)

الجـــــد : (**في غاية الانفعال**) أي بني ... ابني المسكين ...

أولـــيـــس : آه ! جدى ، يالها من رحلة رائعة ...

الجــــــد : (**مندهشا**) – ماذا تقول ؟

أولـــيـــس : أنت مت وأنت شـــاب ، هـذا مـفـهـوم ... ولكن ليس من الضرورى مثل هذه الخبرة الطويلة بالنساء لكى نعرف أنهن غيورات فيما بينهن ولا يتّفقن على رأى واحد . انظر إلى صديقاتى ، ألا تراهن رقيقات ناعمات ؟ تحب كل منهن الأخرى كما أحبهن أنا . ونحن نتبادل أجمل ذكرياتنا . لعبة جميلة ، لعبة أجمل ذكرى .

يـــيـــت : وهـذه الذكرى : رائحة البطاطس المحمرة والقواقع التى أكلناها فى ذلك المطعم الصغير صبيحة اليوم الأول . وذكرى أخرى أجمل : ذكرى ابتسامة الساقية التى كانت تبتسم لنا لأننا كنا نتبادل القبلات .

مــــادلـين : ومـحطّـة أورسى ، وتـذاكـرنا فى جيـوبنا ، مـبكرين ، هادئين ، ننتظر على راحتنا السفر إلى إسبانيا ...

المجــهــولة : أمـا أنا ، فكم كنت سأكون سعيدة لولا ذلك البلل فى قدمىّ .

أولـــيـــس : فى كل خطوة كنا نسمـع نـزع المـاء ، والهـواء الـذى كان يتسرب بين الشراب والنعل كان له صوت حزين يصاحب نزهتنا الوحيدة .

المجــهــولة : كان الماء باردا ، قذرا . ولكن كم كنت أنت جميلا ، يا فارسى الجميل !

أولـــيـــس : بابا ، خلال حياتك الطويلة ، هل أحببت نساءً غير أمى ؟

الأب : حتى مع الأخذ فى الاعتبار الوضع الراهن ، فأنا أرى أنك تتجاوز الحدود المسموح بها فى عدم التحفظ العائلى .

أوليسيس : كنت أود أن أعرف إذا كانت النساء المحبوبات يقمن بمثل هذه الدورة الجميلة فى ذاكرة جميع الرجال . نعم (**إلى مادلين** :) أنت التى أحببتنى لأننى أحببتك ... (**إلى بيت** :) أنت التى أحببتك لأنك كنت تحبيننى ... (**إلى مادلين** :) ألا تشعرين بالغيرة حينما أقول ليبت إنى أحببتها أكثر مما كانت تعرف ؟

مادلين : وهل يبدو علىّ ذلك ؟

أوليسيس : (**إلى بيت**) أكثر مما كنت أعتقد أنا نفسى . وأنت ، يا بيت ، هل مازلت تريدين أن تموتى لأننى أحب مادلين أيضا ؟

بيت : أنا لم أكن فى حياتى بهذه الدرجة من السعادة .

أوليس : (**إلى المجهولة**) - وأنت ، يا من التقيت بك ساعة فى حياتى ، ولا تفارقينى أبدا ، ولا أستطيع أن استغنى عنك ... أنت بالضبط حركة فى شارع ، نظرة بلا تفاوتات ، وجه محدد وبلا اسم ... وداعة كاملة كنت أهم بمعرفتها وأفلتت منى - ، كلا ، وداعة عرفتها وتصاحبنى .

(تدخل يولاند عنيفة)

يولاند : هل من الإنصاف إهانة امرأة بهذه الطريقة الوقحة ؟

نيقولا : (**إلى الأب والجد**) هاقد وصلنا !

أوليس : (**بكل أدب**) - هل تعرف كل منكن الأخرى ؟ طبعا ! ما أغبانى ! هذه مادلين ...

يولاند : (**مقاطعة**) – تشرفنا ! حقا تشرفنا ! المرأة سيئة السمعة التى تعيش مع الرجل الغنى ، أليس كذلك ؟

مادلين : وأنت طبعا سيدة المجتمع ، حسنة التربية ؟

يولاند : عفوا . أنا أكرز جملة قالها زوجى .

أوليس : (**لمادلين**) هذا صحيح . ولماذا وأنا أتحدث عنك فيما مضى ، لم أحتفظ إلا بهذه الجزئية من الصورة ؟ يولاند ، حينما كنت أحدثك عنها ، كنت قد نسيت أشياء كثيرة ...

يولاند : إذن ، لم يكن هذا من التحفظ ؟

أوليس : وهذه بيت ...

يولاند : هذا يكفى . أنا أتصور يا سيداتى ، أنكن جميعا تعرفن سبب وجودكن هنا؟

(حركة جهل من النساء)

نيقولا : كنت على يقين من أنها لن تتبع قاعدة اللعب ، المهزلة نفسها فى الحياة العامة . مثلا : هى لا تقبل أن تقوم الطباخة وحدها بالذهاب إلى السوق .

يولاند : أكرر سؤالى : أتصور يا سيداتى ، أنكن جميعا تعرفن سبب وجودكن هنا؟

يسيت : لا . نحن سعيدات ولا نسأل عن شىء آخر .

يولاند : أوليس ! كم من الوقت ستجعلنى أنتظر أيضا ؟

أوليس : أجعلك تنتظرين ؟ تنتظرين ماذا ؟

يولاند : أليس من المفروض ، يوما بعد يوم ، أن تصل إلى أيامنا – ثم إلى يومنا الأخير ؟ أنا على عجلة من أمرى لأبرر موقفى ، وأشرح لك .

يـــــيـــــت : **(تضحك ضحكة عالية ، ثم بجدية :)** نحن لم نعد نعيش بترتيب الأيام .
نحن ندور . نحن نكرر الكلام نفسه بالفرحة نفسها . شريط أزرق ! أوليس! شريط أزرق ! وهي تأتي بأزهارها ، أزهار السوسن البيضاء . نحن لا نملك ، تحت أيدينا ، سوى عدد محدود من الحركات أو التصرفات ، ولكن يمكن أن نظل نكرر ونُعيد إلى ما لا نهاية .

أولـــيـــس : يولاند ، ولكن أنت في العشرين من عمرك ! هذا ثوب عيد ميلادك . أنت متحفظة ، كتومة وأخالك رقيقة وديعة ...

يـــولانـــد : **(ترتمي على قدمي أوليس)** سامحني !

مـــــادلـين : آه ! هذه هي حركتها !

يـــولانـــد : سامحني ! لم يكن من حقي أن أنسى أنني حبك الوحيد .
(ضحك النساء)

أولـــيـــس : لماذا تطلبين مني أن أسامحك ؟

يـــولانـــد : فليخرجوا جميعا .

أولـــيـــس : فليخرجوا ؟ لماذا ؟

يـــولانـــد : **(هامسة)** – أنا لست مذنبة . لست مذنبة تماما .

أولـــيـــس : أي ذنب ؟

يـــولانـــد : يا أوليس ، تلك الرسالة التي عثرت عليها ...

أولـــيـــس : **(ببساطة بالغة)** نعم ، لقد أعدنا قراءتها معًا .

يـــولانـــد : معقول ! هل سمحت لنفسك ...

أولـــيـــس : إنهم لا يفارقونني أبدا ، قلت لك ...

يـــولانـــد : **(وقد شعرت بالإهانة)** - رسالتي ! ... أمام كل هؤلاء المجهولين ، أوه !

(تشعر بالخجل ، هائجة ، عاجزة)

أولـــيـــس : حبيبتي . لا داعي لاضطرابك هذا . مادلين كتبت أسوأ منها في الماضي .

وانظري مدى السعادة التي نحن فيها اليوم .

يـــولانـــد : **(عاجزة)** أسوأ منها ؟

أولـــيـــس : أكثر من ذلك ، رسائل تسخر فيها مني **(إلى مادلين)** تلك الرسالة ، لماذا فعلت ذلك يا مادلين ؟

مـــادلـين : لأنك كنت مدعاة للسخرية .

أولـــيـــس : **(يضحك سعيدا)** هذا صحيح !

يـــولانـــد : **(متوترة)** لكن أنا خنتك !

أولـــيـــس : وهي أيضا . بالمناسبة ، أخبريني الآن ، لماذا خنتني ؟

يـــولانـــد : لا أعرف . لم أعد أعرف ...

أولـــيـــس : أرأيت ؟!

يـــولانـــد : أنت لم تعطني الفرصة لكي أشرح لك ...

أولـــيـــس : حسنا ! فلنبحث معا ! هل تريدين أعذاراً معقولة ؟

يـــولانـــد : أنا في منتهى الخجل والحياء من أن أحدثك في مصيبتي إذا لم تأخذها مأخذ المأساة . هل يمكن للمرء أن يعترف بذنبه دون صراخ ودموع ؟

(صمت)

أولـــيـــس : أنا أسمعك .

يـــولانـــد : فى هـذا الهـدوء ، كلامى يتفاقم ويجعلنى أحمر خجلا ...
أنت تستمع إلىَّ هكذا - وتنظر إلىَّ - وتبتسم ...

أولـــيـــس : كنت فى غاية السعادة وأنا معك .

(تسمع موسيقى عرس مشهورة)

يـــولانـــد : حاول أن تتذكر !

أولـــيـــس : هذا كل ما أفعله .

يـــولانـــد : أنت أحببتنى لأننى كنت فتاة طاهرة .

أولـــيـــس : اضطراباتك الأولى كانت تفتننى .

يـــولانـــد : كنت تحبنى لأننى كنت سأصبح صاحبتك الوفية حتى آخر ساعة .

أولـــيـــس : ساعتى الأخيرة حانت مبكرا بعض الشىء ، ولكن حتى آخر ساعة من سعادتى ، ألم تكونى صاحبتى الوفية ؟

يـــولانـــد : أنت تتطلع إلىَّ وأنا فى الثوب الأبيض ، والكنيسة مليئة بالشمس ، والأصدقاء المهنئين ، والأغانى الرائعة - وذات يوم ، وذات يوم حل ، سأخونك .

أولـــيـــس : ساعدونى جميعا : لماذا تخون المرأة الرجل ؟

يـــولانـــد : أنت بشع !

أولـــيـــس : ربما لم تعودى تحبيننى ؟

يـــولانـــد : لا ، لم أكن أحب سواك .

أولـــيـــس : من بينكن جميعا فى تمثيلنا هذا ، تحتفظ لها بدور المرأة البلهاء قليلا - أليس كذلك ؟

يـــولانـــد : (**حانقة**) - عما قليل ستحين لحظة تكف فيها عن السخرية منى .

أوليس : لأنك ستقولين لي لماذا خنتني .

يولاند : ... وبين ذراعيه كنت أحدثه بلا كلفة بصوتي الذي تغير .

أوليس : كم مرة خنتني ؟

يولاند : عدة أسابيع .

أوليس : هل نمت معه عارية ليلة كاملة ؟

يولاند : مرة ، نعم ، رآني نائمة فأيقظني وهو يقبلني .

أوليس : ولكن لماذا ؟

يولاند : لا أعرف .

أوليس : لماذا تعلقين كل هذه الأهمية على حركاتك وكلامك ؟
لو كنت شعرت باليأس ، فذلك لأنني وجدت نفسي وحيدا معك على حين فجأة .

يولاند : أنت وحيد معي لأنك لا تحب سواي . انظر ، ما يزال الحبر على إصبعي.
أنت تذكر ، أول أمس ، حينما عدت ، أنني أسرعت بإخفاء رسالتي وأن الحبر ما يزال رطبا على إصبعي ...
انظر هذه البقعة . أوليس ، من كل هذا الحب ستسطَّر كلمات حب من أجل آخر .

أوليس : ومن سيمحو كل رسالة الحب هذه المجتمعة على إصبعك ؟

يولاند : ومن أجل أعز أصدقائك . ولن تتحمل أنت ذلك ، أيها المغرور .

بيت : ربما لن يتحمله ، بالذات لأنه أحبك ؟

مادلين : حذار يا أوليس ، إنها تريد أن تعذبك ، تعزلك في عذابك ، لكي تطردنا جميعا .

أوليس : على أية حال ، هى على حق . فقد كنت مغرورا بدرجة رهيبة . غروراً يا جدى ، أعترف بأنه حملنى فى بعض الأحيان على أن أحتقرك ...

الجد : **(مذعورا)** ماذا تقول ؟

أوليس : سامحنى . أنت أولا كنت صورة ، الفتى الهمام بطل " جرافيلوت " الذى كنت أشعر بالفخر به فى المدرسة فى أثناء دروس التاريخ ، ثم أصبحت سؤالاً مقلقا ...

يولاند : أوليس ، لا أظن أنك ستنساني .

أوليس : خففى من صخبك قليلا ، يا امرأة أفكارى . يا أصدقائى ، أنا معكم لأخرج من نفسى ، للأسف . ـ وإذا كنتم فى بعض الأحيان توحون بشىء من السخرية ، فذلك لأننى أحب أن أسخر من نفسى . ولكن فى هذه اللحظة التى أترككم فيها ، فإننى قد ألتقى ، على الجانب الآخر من الخط ووراء الدموع والتنفس، بالقصة الحقيقية لجميع الذين أحبوا بعضهم بعضا منذ قرون طويلة ، لكى يولد لهم طفل يترعرع ويكبر ويصبح أوليس . أين أنتم يا أجدادى ويا آباء أجدادى ، يا من تنشرون فى كل جيل ، أربعًا أربعًا ، تنتشرون وتنتشرون حتى تحيطونى بأفق من الأسلاف ؟ تُرى من كان الشخصان اللذان فى كل ربيع من الأجيال ، كل عشرين عاما ، منذ آدم وحواء ، أنجبا للدنيا فتاةً كان ينتظرها فتى لكى ينجبا يوماً ما هذا الولد الصغير ؟

يـــولانـــد : أوليس !

أولـــيـــس : آه ! يا جميع آباء وأمهات حياتى ، أنتم يا من تبلغون العشرين كل العشرين عاما ، منذ أجيال وأجيال ، يا من تحدثتم لغات لا أعرفها ، يا من عرفتم جميعا ، على ما أظن ، كل أنواع العذاب والفرح ، تعالوا واستقبلونى فى آخر يوم وأعينونى ، وأنا الذى أدخل فى هذه الأرض دون أن أترك أحدا خلفى .

(الأب والجد يسندان أوليس)

الأب : أى بنى !

أولـــيـــس : أنا لم أستطع أن أسأل سواكما ...

الجـــــد : وبعد ؟

أولـــيـــس : مغامرتك لم تساعدنى كثيرا ! على العكس !

الجـــــد : ولكنك قلت ...

أولـــيـــس : أوه ! شىء مثير للغاية بالنسبة لطفل صغير أن يكون فى أسرته بطل ، لكن الطفل الصغير يكبر .

الجـــــد : ليتك تشرح لى .

أولـــيـــس : لقد عرفت عنك الكثير .

الجـــــد : **(قلقاً)** - منذ متى ؟

أولـــيـــس : منذ الحرب . حينما كنت أبيع الكاربيراتير الطراز الجديد فى الجراجات.

الجـــــد : ولكن من حدثك عنى ؟

أولـــيـــس : ليس عمال الجراجات طبعا .

الجـــــــد : **(الذى يريد أن يخرج من الحرج)** أنا حتى لا أدرى ماذا تقول .

أولـــيـــس : ولكننى من خلال تجميع بعض العبارات التى صدرت عن بعض العجائز فى الأسرة وأجزاء من رسائل، وحسابات بعض موثقى العقود ، اكتشفت شيئا فشيئا وأعرف الآن أنك ، يا بطل جرافيلوت ، قد بعت نفسك بعد أن حسبتها جيدا ، بلا حب وبلا عاطفة .

الجـــــــد : **(مغلوبا على أمره)** مادمت قد عرفت ! لكن أنا – لو كنت أعرف !

أولـــيـــس : **(للآخرين)** لقد تزوج فى سن العشرين من آنسة جافة ، لأنها كانت غنية ، فقط لأنها كانت غنية .

الجـــــــد : أنا أعترض ! لقد توصلت إلى أن أحببتها لأنها كانت غنية . كنت أحب فيها الغنى ، كما يحب غيرى فى زوجاتهم الوجه الجميل أو الروح الطيبة .

أولـــيـــس : ولكنك كان من الممكن أن تختارها غنية وأقل نحولا .

الجـــــــد : لقد قمت بهذه التضحية لأؤمن حياتى فى سن الخمسين . غبى !غبى ! غبى! **(مادلين تطلق ضحكة عالية)** اضحكي ! اضحكي ! ولكن من يستطيع أن يصف اليأس الذى يصيب الغزاة المجهولين لأنهم يموتون قبل تحقيق الغزو ؟ لو كنت أعلم أنى سأموت فى سن العشرين . فهل كنت تزوجت ، قبل موتى بستة أشهر ، فتاة متغطرسة ومزعجة من أجل **(صداقها)** غناها؟

أولـــيـــس : مسكينة جدتى !

الجـــــد : هل ستحكم علىَّ من شعرها الأشيب ؟

الأب : هى أمى .

الجـــــد : بالنسبة لى ، لم تكن سوى زوجتى . كنت أريد أن أترك لكم جميعا ثروة آه! افهمونى . كنت واثقا من أننى سأصبح غنيا ببضعة مئات الآلاف من الفرنكات . لذلك تزوجت أمك . واشتريت الأراضى .

مـــادلين : سامحونى جميعا إذا قلت لكم إنه على المرء أن يثق تماما من أنه لايساوى شيئا لكى يقبل أن يبيع نفسه .

أولـــيـــس : عزيزتى مادلين . لماذا تذكريننى بهذه الجملة البشعة التى أندم عليها ؟

الأب : لا تستطيع أن تلوم نفسك على أنك عشت حياة صعبة لأنك وأنت تتزوج نسيت أن تتنبأ بحرب عام ١٨٧٠

الجـــــد : متى بعت هذه الأراضى ؟

الأب : عام ١٨٧٥ .

الجـــــد : بكم ؟

الأب : بمائة فرنك المتر .

الجـــــد : الهكتارات الثلاثين ؟

الأب : نعم .

الجـــــد : يعنى ثلاثين مليون فرنك !

الأب : نعم .

الجـــــد : وماذا صنعت بالأموال ؟

الأب : أمي ضيعت أراضيها .

الجـــــد : أوه ! أوه ! أوه ! ولم تدافع أنت عني ؟

الأب : كما تعلم ، أنا كنت في الرابعة من عمري في ذلك الوقت .

الجـــــد : الرابعة ...

الأب : (**حزينا**) أمي اضطرت ؛ لإنقاذ ما تبقى ، أن تتزوج ابن موثق العقود .

الجـــــد : أيّ أبنائه ؟ لم يكن عنده سوى صبي وقح بسروال قصير وبأنف قذر .

الأب : كبر بعد ذلك . كان أصغر من أمي بخمس سنوات . وكان يحب الجنوب والهدوء . لذلك فقد رحلنا جميعا إلى هناك . والحقيقة أنه لم يكن إنسانا سيِّئا . وهو الذي قام على تربيتي .

الجـــــد : وماذا أصبح بعد ذلك ؟

الأب : مات هو أيضا . منذ فترة طويلة .

(صمت)

الجـــــد : أنت على حق يا أوليس ! إذ تحتقرني .

أولـــيـــس : لا ، يا جدي . أنا لم أعد أحتقرك . ثم إنك عشت حياتك أيضا . في يوم زواجك ، واعتمادا على ثروة زوجتك ، ألم " تنتهز " فرصة شبابك ؟ ويوم اشتريت الأراضي ، ومع اطمئنانك بالنّصر ، ألم تكن تعيش تبعا لنزواتك ورغباتك ؟

الجـــــد : لكنني لم أحقق رغباتي .

أوليس : لا أحد يحقق كل رغباته بالكامل .

يولاند : أوليس ، مازلت فى انتظار لومك وعتابك .

أوليس : ولماذا اللوم والعتاب؟ أنتِ كنت معى فى غاية الرقة والوداعة وكنت أشعر بسعادة بالغة معك .

يولاند : ماذا ؟ هل فقدت الذاكرة ؟

أوليس : كلا ! بل أنا استعدتها ، يا فتاتي العزيزة ، الغضة الهادئة الطاهرة ...

يولاند : إذن ، أنت تذكر أول مساء كنا وحدنا . تحدثنى فيه عن طفولتك ، وأنت طفل رائع واسع العينين . تقول لى إن المرء كلما تقدم في السن صغر حجمه لأن الأفق من حوله يضيق . دوائره تصْغر كل عام . أولا أنت تنسى نجومك والأرض نفسها تصبح غاية فى الاتساع لنظرتك . وذات يوم امتزج أفقك بحدود وطنك حيث تدور الحرب ، وتراكمت عليك السنون ، وظللت تتقدم فى السن واستمرت الدوائر تقترب شيئا فشيئا حتى عزلتك حتى عن أصدقائك . حينئذ راحت ذراعاك الصغيرتان ، ذراعا الطفل ، اللتان كنت تفتحهما على العالم ، تنحسران حولى . وتضاءل العالم ليصير فى حجم الفراش الذى أصبح عالمك .

ييت : **(شاعرة بالإهانة)** ومع ذلك خنته ؟

يولاند : ابق وحدك معى .

أوليس : لماذا ؟ من المستحيل عليَّ الآن أن أستمع إليك في حضرتهم . لا تخشى شيئا . سوف يساعدونني في الصفح عنك . بل أستطيع أن أقسم لك أنني صفحت عنك .

يولاند : ولكنك لا تستطيع أن تصفح عني .

مادلين : لعلك وحيدة نسجك ؟

يولاند : نعم ، على الأقل ، بالنسبة له .

مادلين : لا . لقد تعذب من أجلك ، كما تعذَّب من أجلنا .

يولاند : أنسيتم أنني الأخيرة ؟

أوليس : لم يعد هناك أولى ولا أخيرة .

يولاند : ذكريات رائعة ، حقا .

أوليس : **(جادا)** نعم .

يولاند : **(مشيرة إلى بيت)** هذه المرأة متزوجة . وفي هذه اللحظة بالذات ، ربما تكون بين ذراعي زوجها ، - وأنت تلاطفها أيضا .

أوليس : لا تتركوني وحدي مع هذه المرأة .

يولاند : آه ! يا له من وسط جميل لذكرى رجل متوسط ! وهكذا وهو يهجرنا ، يحملنا ويحتفظ بنا .

الجد : **(في غاية الرقة)** - أوليس !

يولاند : ولا تنسى أنني أيضا ، في ذاكرة رجل آخر ، أُعتبر الآن ذكرى .

أوليس : عاهرة !

يولاند : تحت أمره وطوع إرادته .

أولـــيـــس : عاهرة !

يــــولانــــد : إذن فأنت ما تزال تحبنى ؟

(أوليس هائج . ينقض عليـهـا . هـى تصـرخ وتنادى)

حبيبى ! حبيبى !

(ماكسيم ٣٧ يسرع . دخوله يهدئ أوليس . صمت)

ماكسيم ٣٧ : أنا أحبها ـ يا أوليس .

أولـــيـــس : لا أريد ! لا أريد !

ماكسيم ٣٧ : هـذه كارثـة لنا جميعــا وكان ينبغى أن أعترف لك بها قبل ذلك . أنا أحب يولاند .

أولـــيـــس : هذا ليس صحيحا ! أنتم جميعا تريدون تعذيبى . كيف تجرؤ وتقول لـى إنك تحب امرأة تحبنى وهـى أملى الأخير ؟ افـهـمنى ! هذه فتاة أنا أحببتها وأصبحت زوجتى وصاحبتى وأنت صاحبى وصديقى .

ماكسيم ٣٧ : منذ عدة أسابيع ، ألتقى بها دائما فى غرفة نظل فيها وحدنا ساعات كاملة ثم تعود إليك . وأنا حينما أصافحك ، أصافحك بهذه اليد التى داعبت جسدها .

أولـــيـــس : مستحيل ، فى حلقى غصة كأننى فى كابوس . ليس هذا أكثر من كابوس .

يــــولانــــد : أول مـرة ، حينما رفعتُ ثوبـى ، كان يتطـلـع إلىَّ وهـو يرتعد **(تشير إلى ساقها)** لأول مـرة رأى سـاقى

(أوليس ينقض على الثوب ، يخر على ركبتيه باكيا)

واليوم هو يعرف جسدى كله .

أوليس : وعما قليل ستخاطبينه قائلة " حبيبى " ، وتخلعين عليه جميع عبارات الحب الأخرى المنقوشة على بقعة الحبر فى أصبعك . من ذا سيمحو هذه البقعة ؟ من ذا سينسيني هذه الساعة ؟ لماذا تكون جميع الساعات التى نعيشها خالدة ؟

الجسد : أوليس ، أودُّ أن أحوِّلك عن قدرك ومصيرك . ولكن كم نحن عاجزين عن تخفيف آلام أعزِّ من نحب ! نحن هنا جميعا نحبك وأنت تفرُّ منا . تتسرب منا . أنت تهوى فى شقائك يا أوليس .

يولاند : وهذه الشامة التى كنت أجهلها ، والتى اكتشفتها أنت فى اليوم الثالث بعد زواجنا والتى كنت سعيدا لأنك الوحيد الذى تعرفها – هو يعرفها ، وهو أيضا يحدثنى عنها .

مادلين : **(تواسى أوليس)** أوليس ، أنت صرخت أيضا من أجلي .

أوليس : نعم .

مادلين : ليال بأكملها . ثم نسيتنى إلى حد أن تحب بكل هذا العنف هذه المرأة الأخرى .

أوليس : نعم .

مادلين : **(باسم النساء الأخريات)** ... التى لا تساوى ما نساوى ، التى هى أقل منا شأنا .

أوليس : نعم .

مادلين : إذن ، فأنت على يقين من أن امرأة أخرى سوف تواسيك غدا ؟

(يولاند تضحك)

مـــــادلين : **(بعد لحظة يأس أمام أوليس الذي لا يسمع سوى ضحك يولاند)** - اسمعني أنا أيضا ...

أولــــيــــس : غدا ؟ غدا ؟ ماذا يعني الغد حينما تكون هذه المرأة أمام عينيَّ ؟

(نيقولا يحضر منضدة صغيرة بدرج)

يـــيــــت : ما هذا ؟

نيـــقــــولا : الدرج الذي سيأخذ منه المسدس .

الجـــــــــد : أي بني ، ماذا باستطاعتي أن أصنع من أجلك ؟

أولــــيــــس : أن تقول لي ما العلاقة التي يمكن أن تقوم بين رغبتي في الحياة بطموح كبير ، وبين بقعة صغيرة مختفية في إحدى ثنايا جسد هذه المرأة .

يـــولانـــد : انظر يا أوليس وهو يعانقني . **(إلى ماكسيم ٣٧)** عانقني يا حبيبي !

(ماكسيم ٣٧ يقترب من يولاند وهو يرتعد)

أولــــيــــس : **(يلقي بنفسه بين أذرع النساء الثلاث)** صديقاتي ! صديقاتي ! خذنني في أحضانكن !

الجـــــــــد : حقا ، لقد تعذبت كثيرا ! سامحني .

أولــــيــــس : **(شاردًا)** على ماذا ؟

الجـــــــــد : كنت أعتقد أنني عرفت الكرب الأكبر ، لكنني لم أكن أعرف النساء .

ماكسيم ٢٠ : **(داخلا فجأة)** عفوا ، يا أوليس !

أولـــــيـــس : أنت أيضا ! ...

نيـــقـــولا : **(على حدة)** – ما أشد رقتنا مع الأموات !

أولـــــيـــس : آه ! حينمـا انزلقـت في البحيرة وأنت في السـابعة من عمرك ، لماذا ألقيت بنفسى في الماء لكى أنقذك ؟ كان ينبغى علىَّ أن أتركك تغرق . لكننى أردت أن ألعب لعبة الأخ الأكبر ، لعبة البطل ، فقد كنت أجهل ما يخبئه لى المستقبل .

ماكسيم ٢٠ : ولكن أنا برىء .

أولـــــيـــس : **(ساخرا)** – نعم !

ماكسيم ٢٠ : ولم أحب سواك فى الدنيا

أولـــــيـــس : أنت أكثر من يعذبنى اليوم .

ماكسيم ٢٠ : لست أنا . أنا ليت لى علاقة بذلك الذى أصحبتُه **(ويشير إلى ماكسيم ٣٧)** أنا الوحيد الذى يفهم هنا . أقولها لك على الملأ : لا تندم على حياتك العاطفية .

الأب : دعـنى أقـل لك يا سـيـدى ، إذا كـانـت العـاطفـة تعـد فضيلة شخصية ، فهى كارثة عائلية مقدسة .

ماكسيم ٢٠ : أنت أحـسـنت صـنـعـا حـينمـا لـم تـذعن لوضـاعة قـدرنا . أحسنت صنعا حينما عرضت بكل عنف دناءة الحياة اليومية . لو كنت مكانك ، لكنت فضلت أنا أيضا الموت .

أولـــــيـــس : ولكنك للأسف لم تمت .

ماكسيم ٢٠ : هل كان بوسعى أن أتنبأ بهذه الخيانة ؟

مـــــادلـين : صحيح ، دائما ندرك بعد فوات الأوان .

ماكسيم ٢٠ : أنت التي تنصحينه اليوم ؟

مادلين : أنا أحببته أكثر مما أحببته أنت .

ماكسيم ٢٠ : لم يكن حبك مرحلة من أمجد مراحل حياتنا .

مادلين : المجد ! المجد ! تواضعوا قليلا أيها الرجال .

أوليس : نتواضع ؟ حينما كنت أحلِّق مع الموت في أثناء الحرب والسماء مليئة بالنجوم ، حينئذ كنت رجلا متواضعا . لكننا لم نعد نرى النجوم في سماء المدن ، - والناس يركضون في الشوارع تائهين شاردين . النجوم لا ترشد الملاحين فقط : فهي تذكر الناس بأنهم فوق الأرض بين أراضٍ أخرى . كارثة المدن الكبرى تكمن في أنها لم تعد فيها سماء . وشقائي الحقيقي يتمثل في أنني عشت معزولا عن النجوم .

(نجوم تضيء مع أن الوقت ليس ليلا)

ماكسيم ٢٠ : وأمام مشهد بهذه العظمة تأخذ دروسا في الجبن والتخاذل ؟

أوليس : بل في التواضع !

ماكسيم ٢٠ : أنت تخضع إذن لوضاعة الحياة ؟ وأمام الرجل الذي كنته ، ألا تشعر بمذلة مخزية ؟

أوليس : كلا . أنا كنت أتطلع إلى مصير مجيد . ولكن لماذا ؟ وباسم ماذا ؟ تأمل والدي بجواري وهو يلزم الصمت إنه يتعذب في قرارة نفسه بسبب آلام شخصية .

الأب : لا .

أوليس : أنا أعرف كل شيء عن داخلك ، مادمت وحدي الذي أجعلك تتكلم . إن جدي يشعر بخيبة أمل فظيعة بسبب برودك الذي قابلته به هنا في أول لقاء لكما .

الجد : كيف لا أفزع وأنا ألتقي لأول مرة وفي مثل سني ، بابني في مثل هذه الحال ؟

الأب : **(للجد)** لقد ظللت طيلة أيام حياتي أفكر فيك وأقول : " لو كان أبي هنا ... لو كنت عرفت أبي ... "

الجد : **(وهو يبكي)** نعم ... بطل " جرافيلوت " – ، أعرف .

أوليس : أنت لا تقول كل شيء ، يا جدي .

الجد : قبيل موتي ، وحينما تطرّق الحديث إليك ، ألم تخبرك أمك بأنني كنت أحب ابني الذي كان سيولد حتى قبل أن يولد ؟ وأنني كنت أتوقع أن يكون المولود أنثى ؟ لقد متُّ مع أجمل ذكريات طفلة قادمة . ثم كنت أنت المولود .

أوليس : ذكرياتي ، علينا بالتواضع أمام هذه اللوحة الجميلة : طفلة أحلام ، تتحول إلى رجل همام يلقي حتفه ، وسط بطلين .

ماكسيم ٢٠ : أوليس ، أنت لم تعد كما كنت .

أوليس : بالعكس ، فمع كل هذه الذكريات ، أنا كما أنا لم أتغير قيد أنمله .

ماكسيم ٢٠ : وطموحاتك الكبرى ؟ وآلامك المبرحة ؟

(ماكسيم ٢٠ يتهكم)

أوليس : تتهكم لأننى أتساءل لماذا لم أدرك قبل الآن أن عظمة الإنسان الحقيقية هى فى أن يعرف أنه أقل من عاديٍّ ، وألا يذعن لذلك وإنما يجد فيه القانون الذى يحكمه ؟

ماكسيم ٢٠ : أنت الذى كنت تحتقر الحياة ، لأنها ليست خالدة .

أوليس : أنا اليوم أحبها بالذات لأنها عابرة فانية .

ماكسيم ٢٠ : وهى تمضى مثيرة للسخرية .

أوليس : مثيرة للسخرية ، نعم ، ولم أكن فى حياتى أكثر سعادة من الآن .

مادلين : (**إلى أوليس**) – أوليس ، أخيرا . أنت وصلت إلى الغد ...

أوليس : إلى الغد ؟ فلتشرق الشمس سريعا ! (**يهبط الليل ، مخاطبا يولاند :**) ادخلى ، يا ملاكى العزيز .

يولاند : لقد أحببتك كثيرا ، يا أوليس .

أوليس : يا لها من سعادة !

ماكسيم ٢٠ : كيف تستطيع الآن أن تتعلق بأى أمل ؟

أوليس : أى إنسان على الأرض يعش بلا ذكريات ، فهو إنسان ضائع . وأنا استعدت ذكرياتى منذ قليل . فلتشرق الشمس ، أريد أن أعيش !

بيت : (**إلى نيقولا**) – دع المسدس ! فقد نجا من الموت .

نيقولا : للأسف ! لقد أُطلقت الرصاصة ولا شىء فى الدنيا يمكن أن يمنعها من الوصول إلى الهدف .

بيت : ولكن الله تعالى ، يمكن أن ...

نيقولا : الإنسان حر – ورضى بأن يتحمل المسئولية .

يـــــولانـــد : ظللت أحبك ثلاث سنوات باستثناء هذه الأيام الثلاثة الأخيرة . لماذا تكون الأيام الثلاثة أرجح وزنا من ثلاث سنوات ؟

أولــــيـــــس : عندى لك سؤال واحد أرجو أن تجيبى عليه : لماذا كنت تغنين ؟

يـــــولانـــد : فعلت ذلك لكى أحقق لنفسى شيئا من التوازن والتماسك .

أولــــيـــــس : ولماذا هذه الأغنية بالذات ؟

يـــــولانـــد : لم أفكر فى ذلك كثيرا : شعرت بالرغبة فى أن أبكى ، أن أصرخ ، كنت أشعر بالخوف ، كنت أريد أن أتمرغ عند قدميك – ووليتك ظهرى ورحت أغنى بكل بلاهة ...

(يولاند تهم بالغناء)

نيـــقــــولا : لا ! لا تغنى . فهذه إشارة الموت بالنسبة له .

أولــــيـــــس : انظر يا نيقولا ، كيف أنظر إلى يولاند دون أن ترتعد أوصالى . تأمل كيف تغيرت من حال إلى حال .

نيـــقــــولا : المرء لا يتغير ، إن لم يكن التغيير هو ألا يكون ما كان .

أولــــيـــــس : أنا لم أعد كما كنت . أولا ، معذرة يا جدى .

الجـــــــــد : علام المعذرة يا بنى ؟

أولــــيـــــس : على هذا المسدس . لم أعد أريد الآن أن أكون قاتل نفسى . وبذلك فقد فزت أنت برهانك الرهيب .

نيـــقــــولا : **(إلى يولاند)** لقد أمسك بالمسدس ، يمكنك أن تغنى .

أولــــيـــــس : كم سنكون سعداء . لقد بدأت أعيش لتوِّى . تعرفون جميعا أن هناك سبع خطايا . وحياتى كما رأيتم كانت

بسيطة : لم يتسع الوقت لي لكي أكون بخيلا ولا حسوداً ولا كذّابا ...

الأب : **(للجد)** – هل تعذبت وأنت تموت ؟

الجـــد : كنت أنتظر عربة الإسعاف ، وأنت ؟

الأب : أنا ، كان الطبيب موجوداً .

أوليس : **(إلى يولاند)** – ولكن أخبريني مع ذلك ، لماذا كنت تغنّين ؟

يولاند : ... بكل بلاهة .

" كلمني عن الحب " ... إلخ

أوليس : **(صارخا)** – أنا أتعذب .

الأب والجد : أي بني المسكين ، حبيبي !

أوليس : ولكن أريد أن أحيا . لماذا لا أواصل الحياة مادمت قد بدأت ؟

بيت : أوليس ، لقد فات الأوان .

الجـــد : لا تحاول أن ترفع صوتك على الخالق لأنه يميتك ، فأنت الذي أردت لنفسك الموت .

نيقولا : لقد سبق السيف العذل . اللعبة تمت وإلى الأبد .

أوليس : مادلين !

مادلين : أحبك .

أوليس : بيت !

بيت : **(باكية)** شريط أزرق ! شريط أزرق !

أوليس : هناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها . وأسئلة كثيرة أريد أن أوجّهها . هذا سؤال من بين ألف سؤال :

العرقى ، أريد أن أعـرف ما هـو مشـروب العرقـى ...
لن أموت قبل أن أعرف ما هو ...

المجـهـولة : أنا سأقول لك .

أولـيـس : أنت ... أنت ... يا مجهولة أراس الصغيرة ...

يـولانـد : عفوا ، سامحونى جميعا ، فأنا يجب أن أغنى .
" كلمنى عن حبك ... "

أولـيـس : (**بصوت خفيض**) – وغدا ... دونى – ، الشمس ...
(طلقة نارية – إظلام – ضوء الفصل الأول – الأغنية مستمرة)

نيـقـولا : النجدة ! النجدة !

يـولانـد : (**تصل كما حدث فى الفصل الأول**) – أوليس ! أوليس !

نيـقـولا : لقد مات يا سيدتى !

يـولانـد : كأنه يريد أن يتكلم .

نيـقـولا : الله وحده الذى يعرف ماذا كان يريد أن يقول .

يـولانـد : سامحنى ، يا حبيبى . لم أكن مذنبة لهذا الحد .

نيـقـولا : لا أستطيع أن أصدق أن سيدى قتل نفسه من أجل هذه المرأة .

سـتار

لعبة الحب والموت

رومان رولان

رومان رولان

ولد عام ١٨٦٦ ، طفولة تعسة فى أسرة فقيرة وحى متواضع ، فى أحضان أم مغلوبة على أمرها ، لم تستطع أن تقدم للطفل إلا المثل الأعلى فى الخلق القويم ونظرة التشاؤم للحياة والناس .

- أستاذ فى تاريخ الفن فى السوربون .

بدأ بالمسرح ، فحاول أن يكتب سلسلة من المسرحيات عن الثورة الفرنسية ، كتب منها أربع مسرحيات هى : الذئاب ١٩٩٨ ، دانتون ١٩٠١ ، انتصار العقل ١٨٩٩ ثم ١٤ يوليو ١٩٠٢ .

لم يستطيع أن يفرض نفسه على الحركة المسرحية ، فتحول إلى العمل الضخم الذى حقق له الشهرة العالمية وهو رواية جان كريستوف من عشرة مجلدات . هذا العمل الذى يذكرنا بحياة بتهوفن وحياة الكاتب نفسه وحلمه بأن يرى أوروبا موحدة ، حصل بفضله الكاتب على الجائزة الكبرى لمجمع اللغة الفرنسية عام ١٩١٣ .

لم يصرف ذلك عن مواصلة مشروع قديم بكتابة سلسلة من تراجم العظماء : حياة بتهوفن، حياة ميكل أنجلو ، حياة تولوستوى .

ثم عاد رومان رولان إلى المسرح وكتب رائعته الأثيرة إلى نفسه لعبة الحب والموت عام ١٩٢٥ ، وأعياد الفصح المزهرة عام ١٩٢٦ ، ثم ليونيد أو الأسديات عام ١٩٢٨ وأخيرا مسرحية روبسبيير عام ١٩٣٩ .

جميع أعمال رومان رولان تنم عن سعيه الدءوب وراء الصدق والصراحة المطلقة نحو نفسه ونحو الآخرين ، والرغبة الشديدة في الاستمساك باستقلالية الفكر وعدم الانحياز ، مما أثار حوله الريبة التي وصلت إلى حد توجيه اللوم .

تحت العناوين المختلفة التي تصدرت أعمال رومان رولان الروائية أو المسرحية ، نجد الدعوة إلى الوفاق بين الشعوب والسلام بين الأمم . وقد ظل طول حياته في بحث دءوب عن بطل يجمع بين فلسفة نيتشه وأفكار تولوستوى ، بطل يسعى دون عنف أو قسوة إلى أن يفهم كل شيء ، لكي يحب كل شيء .

في لعبة الحب والموت نشاهد فنون الحب المختلفة (الحب العاطفي ، حب الوطن ، حب الأصدقاء ، حب الأزواج ... إلخ) تتعرض لامتحانات عسيرة أمام أحداث الثورة الفرنسية وتوابعها التي شابت لها رءوس الشبان قبل الشيوخ ، قبل أن يأتي الموت الذي لا يفرق بين أولئك وهؤلاء .

في عام ١٩١٦ حصل رومان رولان على جائزة نوبل .

الشـخـوص

چيروم دى كورفوازييه	عضو لجنة الميثاق	٦٠ سنة
صوفى دى كورفوازييه	زوجتـه	٣٥ سنة
كلود فاالليـه	نائب چيرونديني منفى	٣٠ سنة
لازار كارنو	من لجنة السلام العام	٤١ سنة
ديني بابيو		٦٥ سنة
أوراس بوشيه		٢٥ سنة
لودوييسكا سيريزييه		٢٥ سنة
كلوريس سوسى		١٧ سنة
كرابار	مندوب لجنة الأمن	
تيموليون، دوسان، بودان	مفتشـون	

تقع أحداث المسـرحية في باريس ، في منزل كورفـوازييه حـوالى نهاية مارس ١٧٩٤ .

عرضت هذه المسرحية لأول مرة فى باريس على مسـرح الأوديون القـومى فـى ٢٩ يناير ١٩٢٨ وأدرجـت بعد ذلك فى برنـامـج فـرقـة " الكوميدى فرانسيز " فى ٥ يوليو ١٩٣٩ ، وذلك فى ذكرى مرور مائة وخمسين عاما على قيام الثورة الفرنسية .

حجرة استقبال من طراز لويس السادس عشر ، ذات فتحات زجاجية واسعة ، في الدور الأرضي الذي يرتفع بمقدار ثلاث درجات عن الحديقة .

في وسط الحاجز القائم في أقصى المسرح ، باب زجاجي مفتوح على سعته يوصل إلى الحديقة بواسطة الدرجات الثلاث . الحديقة الصغيرة تتلألأ في ضوء الشمس . في محور الباب المفتوح بالضبط ، نرى زنبقة مزدهرة ، زرقاء موردة ، وفي أقصى الحديقة ، يوجد الحائط الذي يفصلها عن الشارع . هذا الحائط ليس عاليا : لو تسلّقه طفل عند الركن الأيمن لاستطاع – من فوق القمة – أن يرى الشارع . فوق الحائط ، تتورد سماء المساء ، وتشحب في بطء .

داخل حجرة الاستقبال

١– إلي اليسار : بابان ، أحدهما بالقرب من الدرابزين ، والآخر بالقرب من الحديقة . عندما يفتح الباب الآخر ، نلمح ركنا من الحجرة ، وهي حجرة نوم . بين البابين ، وسط الحائط الأيسر ، مدفأة عالية من المرمر ، فوقها تمثال نصفي لفولتير . في الخلف ، مرآة كبيرة . إلي اليسار المدفأة ، مكتب طراز لويس السادس عشر . إلي يسار المكتب ،

بين المكتب والباب الداخلى القريب من الدرابزين ، أعدت جزيرة صغيرة من المقاعد المنخفضة من أجل التحدث على حدة . بروز المدفأة ، والمكتب وبارافان من الطراز الصينى تحجبها عن الأنظار المتجهة من الحديقة .

٢- إلى اليمين : باب يواجه باب الحاجز الأيسر ، القريب من الحديقة . عندما يكون مفتوحا نلمح بير سلم دائرى ، وركنا من صحن السلم ، والدرجات الأولى التى تنزل بالدور الأرضى وتفضى إلى الشارع . فى مواجهة المدفأة المرمرية ، نافذة تطل على الشارع . إلى يمين ويسار هذه النافذة صورتان طراز القرن الثامن عشر يمثلان رب وربة البيت : أما الزوجة فهى فى سن العشرين ، فى رمز أسطورى دعائى ، وأما السيد فهو مرسوم على نحو صورة "ديدرو" ، فى ملابس المنزل ، الرقبة مكشوفة ، منديل عنق حول الرأس ، فى حالة عمل ، يتحدث إلى مستمعين غير موجودين . الصورتان تبدوان وكأنهما متناسقتان مع تمثال فولتير النصفى ، الذى يبتسم فوق المدفأة الكائنة فى الجهة المقابلة .

معزف كبير ، تحت صورة مدام دى كورفوازييه (وهى أقرب الصورتين من الدرابزين) يهيئ خلوة أخرى من أجل التحدث على حدة .

الشعور السائد هو شعور بوسط راق ، مع آثار واضحة من ضيق الحال والفوضى والإتلاف . المدفأة الأثرية فارغة : سوف يشعل فيها ، فى النهاية ، لهب ضئيل . المكتب والمنضدة مزدحمان بالأوراق التى نرى وسطها فنجانين للقهوة . الثريا عارية (جرداء) . قنديل واحد سيستخدم بعد قليل فى إنارة المسرح .

المشـهد الأول

يرفع الستار عن جماعة قليلة العدد – امرأتان شابتان (**صوفى دى كورفوازييه و لودوييسكا سيريزييه**) . فتاة (**كلوريس سوسى**) ، ضابط شاب (**أوراس بوشيه**) ، ورجل مسن (**دينى بايو**) – يمسك أفرادها بعضهم بعضا من أيديهم ، ويلفون حول الزنبقة المزدهرة وهم يغنون أغنية جريترى الوطنية الراقصة : " البراءة تعود . "

دينى بايو (**لاهث الأنفاس يحاول أن يتخلص من الرقصة**) – الرحمة ، يا شباب ! كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس – كلا ، كلا ، دور آخر !

(العجوز ، الذى خلص إحدى يديه ولا يزال ممسوكا من الأخرى ، يعود إلى المسرح ، وهو يجر وراءه الشلة الصغيرة التى تواصل الغناء . يسقط جالسا فوق أحد الكراسى ، وفيما هو يلهث ، يبدأ الشبان الثلاثة حوله – وهم يتضاحكون – أغنية راقصة جديدة ساخرة ، على لحن جريترى : " من أجل غرس شجرة الحرية ."

(كلوريس تضع ، وهى تغنى ، فوق رأس العجوز غصن زنبقة ملويا على شكل تاج .)

كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس **(وهم يغنون)**

" لمظهره الرقيق ، عودى للحياة

أنت يا من جمدتك الشيخوخة ...

انظرى إلى أبنائك وهم يعصبون

من هذه النقوش المزهرة جباهك المبيضة ... "

صــــوفى : صديقى العجوز ، لقد جئت لكى أخلصك . هيا ، أيها المجانين الصغار ، دعونا نتنفس ! ارقصوا ، دوروا ، لفوا ! أما نحن فإننا نخرج من التيار ، نحن معشر المسنين ...

ديــــنــــى : إننى أحتج ! ليس فيكم مسن غيرى .

صــــوفى : أيها الأنانى !

أوراس ولودوييسكا : إننا نحتج جميعا ! هذه نكتة !

صــــوفى : لقد قطعت الآن نصف الطريق . **(مخاطبة دينى بايو)** مهما تحتج ، فأنا فى جانبك .

ديــــنــــى : حظ سعيد ! لن أقول كلمة بعد ذلك .

لودوييــسكا : أما نحن ، فإننا لن ندعه يسلبك منا ! كلا ، كلا ، أنت منا . أنت الأصغر سنا !

صــــوفى : **(وهى تكشف فوق صدغها عن جديلة بيضاء)** انظروا إلى هذا الشعر الأبيض !

لودوييــسكا : ما أجمله ! إن كلاً منا ، لو بحث جيدا فى رأسه لوجد مثله .

أوراس : عندى منه ، أنا أيضا .

لوبوييسكا : وأنا .

كلوريس : وأنا .

الجميع : (ضاحكين) لا ؟

كلوريس : صحيح ! عندى واحدة .

(تظهرها)

صوفى : إنها شقراء .

كلوريس : إنها بيضاء .

أوراس : ومن ذا الذى لا يكون عنده شعر أبيض ، بعد كل ما قاسيناه منذ خمسة شهور ؟ !

لوبوييسكا : خمسة شهور ! قل الضعف !

كلوريس : قل ثلاثة أضعاف .

أوراس : كلا ، علينا ألا نتحدث إلا عن هذا الشتاء ! أما الباقى ...

دينى : نعم ، الأفضل أن نسكت .

كلوريس : آه ! كل ما قاسيناه !

لوبوييسكا : بلا نارٍ لمدة أسابيع كاملة .

دينى : بلا خشب ، ولا خبز !

كلوريس : أوه ! أما أنا فقد كنت أشعر بالبرد لدرجة أننى كنت أجد الشجاعة الكافية فى الصباح ، لكى أغادر فراشى .

لوزوييسكا : أما أنا ، فكنت أتجمد فى فراشى . لقد أصبح الآن كبيرا جدا !

أوراس : **(بغمزة)** لابد من ملئه .

ديـــنـــي : ذات مرة ، قضيت ست عشرة ساعة فوق رصيف بيرسى ، بين السابعة مساء والحادية عشرة صباحا ، فى مهب الريح الشمالية الباردة ، وأنا أنتظر توزيع جوال من الخشب وربع كيلو من الدقيق ، تحتَّم على بعد ذلك أن أجرها على عربة يد بعجلة واحدة فوق الجليد. ولقد سقطت مرتين .

صـــوفى : أيُّهما الأقوى ؟ الجوع أم البرد ؟

أوراس ولوبوييسكا : أوه ! الأسوأ ، هو البرد !

أوراس : كلا ، الجوع .

لوبوييسكا وكلوريس وصوفى : البرد ، البرد ، البرد !

أوراس : الجوع ، الجوع ، الجوع !

لوبوييـسكا : أيها الشره !

كـلـوريـس : أوه ! إننى أفضل مائة مرة ألا يكون لدى ما آكله وأستطيع فقط أن أدفئ قدميّ خمس دقائق .

لوبوييـسكا : أما أنا ، فإن ذلك يبكينى ! (**أوراس يضحك**) تضحك أيها المتوحش ... أوه !
أنت ، أنت لا تعرف شيئا !

أوراس : فى جيش موزيل ، نمت فوق الجليد ... صحيح أننا كنا نحرق كوخا صغيرا فى بعض الأحيان لكى نستدفئ

ديـــنـــي : والذين كانوا بداخله ؟

أوراس : لم نكن نهتم بالنظر إلى ما بداخله .

كـلـوريـس : أما أنا ، فعندما كان يبلغ بى البرد أشده ، كنت أفضل ، أجل ، أجل ، كنت أفضل أن أحترق !

لودوبيسكا : ويصفون جهنم بأنه مكان نُحمى فيه .

أوراس : إن جهنم هى أن نذهب إلى العدو ببطون خاوية .

أوراس ولودوبيسكا : البرد !

أوراس : كلا ، الجوع !

صوفى : لقد قاسينا من الاثنين . هيا ، لا مجال للغيرة !

كلوريس : يا إلهى ! كم كان الوقت طويلا! ذلك الشتاء ، ذلك الشتاء الذى لم يكن يريد أن ينتهى !

صوفى : لقد انتهى الآن . فلا نتحدث عنه بعد ذلك . ولنتمتع بالشمس الجميلة !

دينى : أول يوم جميل من الفصل الشاب.. صديقتنا الساحرة ! يا لها من فكرة جميلة أن تقومى بدعوتنا للاحتفال به في حديقتك !

لودوبيسكا : تمجيدا للربيع ، الذى يُبعث فى زنبقتك المزهرة !

صوفى : هل كان بوسعى أن أحتفظ به لنفسى ؟ فى زمن المجاعة هذا ، يجب على كل منا أن يتقاسم مع أصدقائه فتات سعادته .

لودوبيسكا : نعم ، إن السعادة أصبحت نادرة !

دينى : السعادة ؟ لقد أصبحت بالنسبة لنا كلمة غريبة .

كلوريس : ما أطول الزمن الذى مضى دون أن نضحك ! أوه ! يا إلهى !

(تجهش بالبكاء)

صوفى : حبيبتى ،حبيبتى ، ماذا بك ؟

كلوريس : هل من حقنا أن نضحك ؟

ديني : نعم ، فقد تألمنا أكثر من اللازم .

صوفي : **(مخاطبة كلوريس)** ولكنني أعتقد تماما أن هذا من حقنا يا حبيبتي ، بل من واجبنا .

كلوريس : وكل من فقدناهم .

لودوبيسكا : زوجي .

كلوريس : وخطيبي .

ديني : وابني .

صوفي : صه ! صه !

أوراس : **(مخاطبا لودوبيسكا)** وأولئك الذين سنفقدهم ، ألا تهتمون بهم ؟

لودوبيسكا : أولئك الذين معنا ، أحتفظ بهم . لا أريد أن أفقدهم . كلا ، لا أريد ذلك !

أوراس : إذن ، علينا ألا نفكر في الآخرين ! ولنرقص !

لودوبيسكا : فلنرقص ، أيها الخبيث !

أوراس : **(مخاطبا كلوريس)** وأنت أيضا ،يا صديقتي الصغيرة . **(كلوريس تتردد وتنظر إلى صوفي)**

صوفي : هيا ، يا صغيرتي .

أوراس : هيا ، فلنستأنف الرقصة ! **(الشبان الثلاثة يخرجون إلى الحديقة ويبدءون من جديد في الغناء والرقص . ديني وصوفي ظلا في حجرة الاستقبال ، جالسين إلى اليسار ، بين المكتب والباب الداخلي ، بالقرب من الدرابزين)**

ديـــنـــي : كل يفكر في أحزانه : هذه في خطيبها ، وتلك في زوجها ، وأنا أفكر في ولدي ،الذين ماتوا ... ولكن الحياة أقوى ...

صــــوفي : حتى عندك ، يا صاحبي العجوز ؟

(طوال هذه البداية من الفصل ، تحتفظ صوفي بهدوء لطيف باسم ، يتميز عن الاضطراب الذي يموج فيه الآخرون)

ديـــنـــي : حتى عندي ... إنني أشعر بالخجل .

صــــوفي : لستم وحدكم . اسمعوا !

(من الجهة الأخرى لجدار الحديقة ، يسمع في الشارع مرور أصوات تغني . كمان ، ناي ، طبلة ، صيحات فرح)

ديـــنـــي : نعم ،هذا الحشد الذي يمر وهو يغني طربا ،لا يوجد فيه واحد لم يلق نصيبه من المعاناة ، وقسطه من التضحية في الحرب أو الثورة ، لا يوجد واحد غده ليس مثقلا بالقلق كما كان أمسه مثقلا بالعذاب .

صــــوفي : لذلك فهم يغنون : حتى يكفوا عن التفكير في ذلك .

ديـــنـــي : لأنهم يفكرون رغم كل شيء . انظري !

(الرقصة توقفت في الحديقة)

أوراس : ماذا تسمعون في الخارج ؟ ... فلننصت ...

(يصمتون لكي يسمعوا ، في الخارج ، صوت بائع الجرائد)

أوراس : **(مكررا)** " بريد المساواة ... معركة كبرى في ... العدو على ... "

(يجرى نحو الجدار ، يتسلق الحافة ، يمد يديه من فوق القمة ، ينادى البائع)

بست ! ... أيها المواطن ... شكرا ! .

(يعود بالصحيفة . تسرع المرأتان وتلتفان حوله ، لكى تقرأها)

أوراس : قوات الملوك يعيدون تكوين صفوفهم ، من نهر الموز حتى الراين .

الجمهورية يجب أن ترد عليهم بمجهود ضخم . شمس الربيع تضرم السعير . سيتحتم علىَّ أن أعود إلى هذا السعير.

لودوبيسكا : كلا ، كلا ! لا أريد ذلك !

ديـنـى : ماذا نحن لكى نقول : " أريد " أو " لا أريد " ؟

أوراس : نعم ، إن الوطن يريد ذلك .

كـلـوريـس : الوطن ؟ بل قل : " هؤلاء الرجال المرعبون ! ...

لودوبيسكا : نعم ، اللجنة العليا .

(صوفى تضع أصبعا فوق فمها . الجميع يخفضون رءوسهم)

أوراس : إنها على صواب .

ديـنـى : **(يسعل)** إنها هى الأقوى .

كـلـوريـس : إنها كالغول وستلتهمنا جميعا .

لودوبيسكا : **(تختم بيدها على فمه وتخاطب أوراس)**

ولكن ، على الأقل ، ليس الآن فورا . أوراس ، لن تذهب الآن فورا ؟

أوراس : كلا ،على ما أعتقد ،اللهم إلا إذا صدر أمر مفاجئ .

لودوييسكا : كم من الوقت أمامنا ؟

أوراس : ربما شهر .

لودوييسكا : أوه ! شهر ... بل هو الأبد ...

ديني : ياللشباب السعيد ! ما الذى لا نقبله نظير شهر من السعادة .

كلوريس : وأنا أيضا ،أنا شابة . ولم أتمتع به ،لم أتمتع به ... أوه ، بل إننى ما كنت لأطلب شهرا كاملا ... ولكن يوما ، يوما من السعادة !

صوفى : هدئى من روعك ، يا حبيبتى ، فستتمتعين به ، وبكثير غيره ؛ فالحياة أمامك لاتزال طويلة .

كلوريس : كلا ، كلا ، الحياة قصيرة .

صوفى : إن عمرى ضعف عمرك .

كلوريس : نعم ، على عهدك ... آسفة ! ... ولكن ، اليوم ، لم تعد الحال كما كانت .

فمن ذا يضمن الغد ؟

لودوييسكا : أنا . أضمن اليوم .

(تنظر إلى أوراس)

أوراس : **(وهو بالقرب منها ، يتناول يدها ، ويهمس لها)** هذه الليلة ...

(كلوريس ، وقد سمعت الجملة ، تحدجهما بنظرة حاقدة)

لودوييسكا : **(تلاحظ ذلك فتقبل باسمة نحو كلوريس الجالسة فوق ركبتى صوفى وتحاول أن تداعبها)** حبيبتى الجميلة !

كـلـوريـس : (**وهي تخلص نفسها في غضب**) كلا ،لا تلمسيني
(**تفر إلى الحديقة**)

لوبوبيسكا : ماذا بها ؟

ديـنـي : (**بشيء من العتاب**) أنت تعرفين السبب جيدا .

أوراس : إنها تحسدنا .

ديـنـي : إنها ليست الوحيدة .

صـوفـي : (**مبتسمة لديني و أوراس**) اذهبا لمواساتها !
(**مخاطبة لوبوبيسكا**) كلا ،أنت لا ، أيتها الأنانية ، ابقي هنا !
(**ديني وأوراس يخرجان . تبقى صوفي و لوبوبيسكا وحدهما . لوبوبيسكا ضاحكة ، سعيدة ، تلقي بنفسها على ركبتي صوفي الجالسة وتضمها بين ذراعيها**)

لوبوبيسكا : نعم ، أنا كذلك ، أنانية ، أنانية ، أنانية ! ولا أحب ألا أن أكون كذلك ، عندما يكون جميلا أن نكون كذلك !
عنفيني ! عنِّفيني !

صـوفـي : (**مبتسمة**) لن يجدى ذلك شيئا .

لوبوبيسكا : أوه ! أجل ! إن هذا يزيد من متعتي .. كلا ، لا تحقدي عليَّ ! فلطالما ، لطالما قاسيت ! .. زوجي ، هكتوري ، ينتزعه ، من بين يدى الموت اللدود!.. آه ! كم بكيت !

صـوفـي : متى فقدته ؟

لوبوبيسكا : (**ببساطة**) قبل ستة .. كلا ، قبل خمسة شهور ..
أجل ، كان ذلك في أكتوبر . وأصبحت لا أطيق الحياة .
لقد انتهى كل شيء بالنسبة لي .. وهاك كل شيء قد بدأ ..

(مستدركة) كل شيء قد بدأ من جديد ... هيكتور المسكين ! ... أوراس العزيز ! ...

صــــوفى : كل أبطال العصور القديمة ...

لوبوبيسكا : أرجوك أن تسكتي ! ... يبدو لي أن الأمر يختلفُ ... إنني أمنعك من السخرية .

صــــوفى : إنني لا أسخر ...

لوبوبيسكا : إنني على ثقة تماما من أن هكتور يستمتع معي ... تبتسمين ؟

صــــوفى : وأنت أيضا .

لوبوبيسكا : كلا ... نعم ... آه ! كم يلذ لنا أن نكذب على أنفسنا ،إن حاجتي إلى التمتع بمثل رغبتي في أن يتمتع هو أيضا . إنني أعلم تماما أنه لم يعد يشعر بشيء. ولكن ، أنا ، أنا التي أحس ، هل أنا مخطئة ، قولي ، هل أخطئ في حقه ، إذا كنت أريد أن أتمتع بهذه البقية من عمري التي لازلت أحياها ؟ هل تظنين أنه يمكن أن يبغضني ؟ كلا ، كلا ، يجب أن يسعد لما يسعدني . أليس كذلك ؟ مادام كان يحبني ! ... ثم مادام قد مات ! ... مسكين يا هكتور ! ... آه ! الحياة ، الحياة ، شيء جميل !

صــــوفى : هناك حياة وحياة . الحياة بالنسبة لك ، هي الحب .

لوبوبيسكا : **(في الحوار الودي بين المرأتين ، يوجد – من جانب لوبوبيسكا ، عندما تعجب بحكمة صوفي – نبرة من السخرية ، ومن جانب صوفي ، نبرة من القنوط الباسم ، وهي تتقبل ثناها)**

ليس هناك حياة إلا بالحب .. تبتسمين ثانية يا صديقتي العاقلة ،أجل ، فأنت ، أنت فوق مستوى ضعفنا . إنك تعيشين حياة جميلة ، واضحة تماما ، مترابطة تماما . ولقد عرفت كيف تحمينها من العواصف الاجتماعية ومن اضطرابات القلب . أنت محظوظة . إنك تتمتعين برباط زوجي لا تعكره سحب، لم تنل منه نزوات العواطف أبدا ، يسوده الصفاء ويكاد يكون نبويا، - بصحبة رجل عاقل - مثلك - رجل مرموق ، محترم ، تربطك به ، منذ الطفولة ، روابط حنان ورع . سماء صافية . آه ! كم أعجب به !

صـــــــوفي : **(مبتسمة)** ولكنك قد لا تتزلين عنه مقابل سحابة من سحبك .

لودوييـــسكا : مقابل حبيبي أوراس ؟ كلا ، كلا ! لا أتنزل عنه . لكل منا نصيبها ! لكن نصيبك أجمل .

صـــــــوفي : إنه أشبه بتلك النساء الجميلات ، اللائي يثرن إعجاب الجميع . لكننا نحب غيرهن .

لودوييـــسكا : اسكتي من فضلك ! إنما نتمنى أن نكون أنت . لكن ليس هناك سواك من يستطيع أن يكون أنت ..

صـــــــوفي : **(مبتسمة)** هذا بالضبط ما قلته الآن !

لودوييـــسكا : **(التي لم تسمع)** ... الصديقة ، موضع سر الرجل العظيم ، بل ملهمته ، الرجل العظيم الذى كان صديقا لفولتير ، وهو الآن صديق " كارنو"

ديستي : (الذى دخل منذ قليل وسمع الجملة الأخيرة) الذى كان مستشار دائرة المعارف ، وهو الآن مستشار اللجنة العليا . عالم ، محب للإنسانية ، فيلسوف ، عضو فى مجمع اللغة ولجنة الميثاق ... مجد تأسس في ظل الملك الأسبق ، وبقى ثابتا بعد سقوط الملوك ، ويرى النظم تتوالى فارضا نفسه عليها جميعا ، وظل حصينا وسط الأحزاب الهائجة التى تمزق بعضها

صوفى : يا أصدقائى ، إنكم لا تدرون على أية أسس واهية يقوم هذا الأمان

ديستي : على أية حال فنحن نعلم أنه ليس أنانيا . فكم من مرة خدمنا مركز "جيروم كورفوازييه" تارة ليخفف عنا جانبا من بؤسنا ، وتارة ، ليشمل بحمايته الأصدقاء المهددين في الساعات الحرجة

فوديبيسكا : ونحن نعلم أيضا لن ندين بهذه الحماية ، للرفيقة المخدمة

ديستي : صوفى مثل القديسة صوفى ، اسم على مسمى [١]

فوديبيسكا : الحورية المطمئنة

ديستي : تلك التى تستطيع أن تحصل منه على كل شيء .

فوديبيسكا : ربما معه

(١) إشارة إلى القديسة صوفى

دينــــي : وكيف لا نكون معه ؟ لقد ظل "چيروم كورفوازيبه"، في هذا العصر المجنون ، الرجل الوحيد الذي لايزال يمارس دورا ملطفا ، لدى سادة الحياة والموت .

صـــوفي : واسفاه ! إن هذا الدور ضعيف ، ويزداد ضعفه يوما بعد يوم .

لودوييسكا : (بشيء من الحسد) مهما يحدث ، فأنت على الأقل في أمان ، لا شيء يمكن أن يصيبك .

كـلوريـس : (راجعة مع أوراس . لقد نسيت تماما الحزن الذي انتابها قبل قليل)

أوه ! البؤساء ! البؤساء !

صـــوفي : ماذا إذن ؟

كـلوريـس : ذلك الذي عرفناه الآن .

(تقدم جريدة إلى صوفي)

صـــوفي : صحيفة أخرى من تلك الصحف المخيفة . كلا . لا يجب أن نقرأ شيئا بعد الآن !

لودوييسكا : أيتها الآمنه المطمئنة ، إننا لا نملك مثلك السبب الذي لا يجعلنا نقرأ . نحن نعرف أنه شيء مؤلم . ولذلك فنحن نمارسه .

(تناولت الجريدة)

كـلوريـس : كلا ، اسمعوا ! إنه لشيء فظيع ! بيتيون ، و بوزو ، و فالليه ...

صـــوفي : (في هلع ، ولكن بصوت متماسك) فالليه ! ...

(نهضت من فوق مقعدها . لا أحد من الآخرين يعير حركتها أو صرختها أى انتباه . الجميع ملتفون حول لودوييسكا التى تمسك بالجريدة)

كلوريس : في بوردو ، وجدوهم ، قتلى ، وقد التهمت الذئاب أنصافهم ...

(وسط الاضطراب العام ، لا أحد يلمح اضطراب صوفى ، التى تسقط جالسة، دون حركة ، ودون كلمة . تغطى وجهها بيديها ولا تتحرك)

أوراس : **(يوجز ما قرأه ، لودوييسكا و كلوريس و دينى يميلون معه فى لهفة على الجريدة)** منذ شهور ، وهم يطاردونهم . والكلاب التى أطلقوها وراء الأثر قادتهم إلى كهف ، فى محجر مهجور . وقد تعرفوا بيتيون وقد برزت أحشاؤه من بطنه ...

دينى : ملك باريس القديم ، عمدتنا ، ورئيس المجلس الذى كانوا يتملقونه ...

لودوييسكا : **(تقرأ)** والآخر ... وقد أكل وجهه ... أوه ! أعوذ بالله ...

(تعطى الجريدة للآخرين)

أوراس : **(مواصلا)**... وانتزع أنفه ، وشفتيه ... كانوا يشكون فى الأمر ... قالوا : إنه بوزو ... ولكن الأوراق التى كانت فوق الجثة كانت تقول : إنه فاليه .

كلوريس : مساكين !

ديـــــنـــــى : لا تسـرفى فى رثائهم ! لقـد وجـدوا طريقـة للهـرب من المقـصلة التى صـعـد فـوقـهـا فى الأسـبـوع الماضـى أصدقاؤهم ومنهم " باربارو " و " جوديه "

لودويـسكا : نعم .. ولكن كم تعيَّن عليهم أن يتعذبوا قبل ذلك !

أوراس : وبعد ، فالأمر سيان ..

ديـــــنـــــى : هكذا كـان من المفـروض أن ينتـهى ذلك .. ذلك التـمـرد المجنون ..

كـلـوريـس : ولكنك كنت تؤيدهم قبل فترة قصيرة .

ديـــــنـــــى : أبدا !

كـلـوريـس : لقد سمعتك تقول ...

ديـــــنـــــى : أبدا !

كـلـوريـس : كنت تعجب بهم جميعا

لودويـسكا : اسكتى ، أيتها الصغيرة !

(صمت قصير)

ديـــــنـــــى : **(وهو يسعل)** لقد خدعوا الجميع . كنا نظنهم الجانب الأقوى . لماذا نثور إذا كنا نمثل الجانب الأضعف ؟

(صمت . صوفى تكشف عن وجـهـهـا وتظل ثابتـه فى كرسيها ، ناظرة أمامها، وقد ذهب عنها انفعالها ، بابتسامة آلية جامدة)

كـلـوريـس : فالليه المسكين الصغير ! لم يكن بلغ الثلاثين من عمره !

لودويـسكا : لقـد رقصت معه ، فى ربيـع ذلك العـام .. لقد كان من أصـدقائك أيضـا يا صوفى

(صوفي لا تجيب ولا تتحرك . لودوييسكا من الحماس بحيث لم تلحظ ذلك ، تواصل كلامها)

لودوييسكا : راقص ساحر فاتن !

كلوريس : وما كان أبرعه في إلقاء أشعار فلوريون !

لودوييسكا : كان كذلك شجاعا باسلاً . إنني أراه على رأس كتيبه ، وهو يسير ، وقد تناثر شعره في الهواء ، بعد مهاجمة قصر التويلري .

كلوريس : كانت متعة لنا أن نذهب لنراه وهو يخطب فوق منصة المجلس .

أوراس : كان ساخرا وعنيفا . كانت كلماته تتسم بدهاء رهيب . وكانت تجعل عيني روبسبيير تكثر من الرمش خلف نظارته القديمة . عندما كان يخطب أحد أعدائه كانت المنصات والصالة تموج بالضحك والصراخ ، تحت وقع القذيفة .

لودوييسكا : أما أنا ، فقد كنت أنظر إلى شفتيه

أوراس : لودوييسكا ، إنني أشعر بالغيرة .

ديني : الغيرة ؟ من شفتيه المنزوعتين ؟

لودوييسكا : آه ! ياللفظاعة !.. ولكن لماذا ، لماذا راح يحترق بنار السياسة !

أوراس : إن لدينا مثل طموحه ...

لودوييسكا : الحب ، أليس أفضل من ذلك ؟

أوراس : إننا نريد أن ننقذ الوطن .

لودوييسكا : إننى أريد أن تنقذنى أولا !... يجب علي المرء أن ينقذ من يحب .

ديني : بل يجب أولا أن ينقذ المرء نفسه ...

(يصيحون دهشة)

أجل ، تدهشون !... سوف ترون ، أيها الشبان ، حينما تصبحون في مثل سني!... الطموح والحب ، شيء جميل ، ولكنه يزول . إن الذى يبقى حتى النهاية ، هو الفرد نفسه . والمحافظة عليه مهمة مقدسة .

أوراس : أجل ، أن ينجح الإنسان في أن يعيش أمر أصبح في أيامنا مهنة صعبة . ولن يتوافر لنا الوقت ، نحن أيضا لكى نتعلم ذلك .

كلوريس : ولكننى أريد ذلك ، أنا ، أريد ذلك ! **(مخاطبة دينى)** علمنى السر ...

ديني : السر هو ألا نكترث . يجب على المرء يا ابنتى أن يختار ، إما أن يرى غيره يموت وإما أن يموت هو .

كلوريس : إننى لا أريد أن أموت !

(الشلة الصغيرة : كلوريس و دينى و أوراس ، ابتعدت وهى تتحدث وتضحك. تبقى لودوييسكا وحدها بالقرب من صوفى . المرآتان موجودتان في الركن المحجوب عن الأنظار المتجهه من الحديقة ، بين المكتب والدرابزين)

لودوييسكا : صوفى أيتها الصامته ، إنك تتركيننا نتحدث ، ونتحدث ، ونضطرب ، وأنت ، أنت تظلين مكانك ، متفرجة عطوفة

وغريبة بعض الشيء . ثابتة ، متكئة وكأنك متكئة على شرفتك ، تتطلعين إلى انفعالاتنا من بعيد ، بعينيك الجميلتين الرماديتين وابتسامتك الصامتة . كم أنت هادئة ، هادئة !

صوفي : **(دون أن تتحرك ، دون أن ترفع صوتها)** أجل ، الهدوء ، هدوء وألم ليس له من قرار .

لودوييسكا : **(مأخوذة)** صوفي !...

(صمت)

ماذا تقولين ؟...

(صمت)

ماذا قلت ؟...

(صوفي لا تجيب ، لا تأتي أية حركة . لكن لودوييسكا التي مالت عليها لتتفرسها ، تندفع نحوها بشدة)

لودوييسكا : صديقتي ، تبكين !

(صوفي تضع يدها فوق فمها ، لتشير إلى لودوييسكا بالسكوت)

(صمت)

(صوفي تبحث عن منديلها لتجفف دموعها . لودوييسكا تتناول منديلها ، وبرقة ، تجفف عيني صوفي)

لودوييسكا : هل تتألمين ؟ أنت يا من تبدين للجميع صورة للهناء ! ... أنت يا من تملكين كل شيء . كل الخير : الحب ، والشهرة ، والسلطان ، والإيمان بهذه الثورة ،التي ساهمتِ وزوجك في إشعالها ...

صــــــوفـى : (**متماسكه**) ليس بى شىء .

توبوبيــسكا : كلا ، كلا ! لا أصدقك !

(صوفى تشير إليها بالسكون . دينى بايو يقترب)

ديـــنـــى : أليس من المفروض أن يعود چيروم بعد قليل من المجلس ؟

صـــــوفـى : (**تستعيد لهجة المحادثة**) لا يمكننا بأى حال أن نتنبأ بالفترة التى تستغرقها الجلسة . لقد كنت فى بعض الأحيان أنتظره طوال الليل ، حتى الفجر .

ديـــــــنى : ومع ذلك فلا يلوح اليوم أن أحداثا خطيرة ..

صــــــوفى : فى أيامنا هذه ، من يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث قبل وقوعه بساعة واحدة .

(فى الشارع خلف جدار الحديقة ، يسمع مرور موكب ، وموسيقى وزمامير وطبول ، صوت عربات ، وخيول تعدو ، وصياح جماهير)

كـــوريـس : ماذا هناك ثانية ؟

أوراس : إنها المجموعة الجديدة التى تمثل طعام المقصلة .

(يأتى حركة قطع الرقبة)

كـــوريـس : (**وهى تسد أذنيها**) لا أريد أن أسمع ...

(ترفع يديها عن أذنيها ، وتجرى ناحية الحديقة)

أوراس ، هيا نشاهدهم !

(تخرج مع أوراس)

ديـــــنى : إذن فالعربة تمر من هنا ، الآن ؟

صــــــوفى : أجل ، إن شارع فلورنتان ، فى هذه الأيام ، منزوع البلاط .

(ديني يخرج ، يدفعه الفضول ، في إثر الاثنين الآخرين)

لودوبيسكا : **(وقد بقيت وحدها بالقرب من صوفي)**

صوفي ، إنني لا أصدقك !.. كنت تقولين .. منذ برهة

صوفي : دعينا من ذلك !

لودوبيسكا : كلا .. كلا .. أرجوك ! اعتبريني صديقة لك

(صوفي تشير لها نحو باب الحديقة)

لودوبيسكا : أجل .. هذه الضوضاء البغيضة ..

(تسرع بغلق الباب وتعود . أصوات لحن السير السريع والصيحات لاتزال تصل الآذان ولكنها أصبحت خافتة)

لودوبيسكا : قولي ! أخبريني ! .. **(تتناول يديها وتقبلها)** صوفي ، أنت ظالمة .. ألم تحصلي على نصيبك المجدي من السعادة ؟ وما من شيء عكّر صفو زواجك أو حبك

صوفي : **(بمرارة)** حبي ؟ لم يحبني أحد .. لقد منحت شبابي ، وقوة أملي .. وحاجتي إلى وهب نفسي .. إلى رجل كنت أحترمه .. ولا زلت أحترمه وأعجب به

فلماذا صنع ذلك ؟ لقد ضحى بي في سبيل عقيدته

لودوبيسكا : أولا تؤمنين بها أنت أيضاً ؟

صوفي : إيه ! وفيم تهمني عقيدتهم ؟ إذا كنت أحببتها ، إذا كنت أعتقد أنني أحببتها .. فذلك لأنهم كانوا يحبونها .. هم .. إنهم هم الذين كنت أحبهم من خلالها .. فماذا جنيت منهم ومنها

لودوبيسكا : **(التي تحاول أن تفهم)** تقولين هذا !

صــــــوفى : **(بحدة)** أقول إننى أكره هذه العقيدة ، أبغضها ... اسمعى ! ...

(يسمع على الرغم من الباب المقفول الذى يحد من شدة الضوضاء جلبة صائحين وضحكات عنيفة . ثم تخف الضوضاء ، ويخيم السكون من جديد ، وتستأنف صوفى ، بحقد مكظوم ، وبصوت خفيض :)

صــــــوفى : إننى أكرهها ، كل هذه العقائد ، الواهية ، المهووسة التى يتهافت عليها الرجال ، كما يتهافتون على الرذيلة التى تدمر الحياة . إن الحياة ، هنا ، بالقرب منا ، فى منتهى البساطة ، فى منتهى الوداعة ! ليس علينا إلا أن ننحنى لقطفها . ولقد أصبحوا عاجزين عن تذوقها . إن عقيدتهم هوس ، سم زعاف يغرقهم فى جنون مؤقت قاصف مميت . لقد ضحوا بى فى سبيلها ... آه! وهذا أيضا ما كان يهمنى ! ...

لودوبيــسكا : **(نظرتها معلقة بشفتى صوفى)** ماذا إذن ؟

صــــــوفى : لقد ضحوا بأنفسهم .

لودوبيــسكا : كيف ! زوجك ؟

صــــــوفى : كلا ، ليس هو .

لودوبيــسكا : من إذن ؟

صــــــوفى : **(وكأنها مكرهه ، تدفعها العاطفة)** لقد سمعت ... قبل قليل ... هؤلاء البؤساء ... هؤلاء الذين حكموا عليهم بالنفى من البلاد ...

لودوييسكا : **(كاتمة صرخة)** فاالليه !

(تنهض صوفى لتهرب من الإجابة . فى هذه اللحظة ، يفتح باب الحديقة من جديد وتدخل كلوريس فجأة ، وتصيح:)

كلوريس : أه ! خمنى ، خمنى ، من الذى رأيته فوق العربة !

(صوفى تلتفت ، ولودوييسكا تبعد كلوريس بحركة)

كلوريس : **(فى غاية التأثر)** كلا ! خمنى ، خمنى ، يقطعون رقبة من الآن ! ...

العقل ، عقلهم فى سان أوستاش ، عقلهم المفكر الذى كانوا يتوجهون إليه بصلواتهم ... لقد عرفته ... العقل ، العقل ! ...

دينى : **(بلهجة فلسفية)** منذ زمن بعيد ، يا ابنتى راح العقل وانصرف ! ...

كلوريس : أوه ! هلا سكتٌ ، بكلماتك المجوجة !

(يواصلان التحدث فى أقصى حجرة الاستقبال ، إلى اليسار ، بالقرب من باب الحديقة كأنما قد شعرا بأنهما يفسدان على صوفى ولودوييسكا حديثهما . هاتان الأخيرتان انسحبتا إلى الركن المقابل ، إلى اليمين بالقرب من الدرابزين محتميتين بالمعزف الكبير الذى يحجب عنهما رؤية الباب الأيمن فوق السلم. لكنهما جالستان أمام المرآة الموجودة على الجدار الأيسر ، والتى ينعكس عليها هذا الباب)

لودوييسكا : (تناولت يدى صوفى ولا تتركها رغم محاولات صوفى التخلص)

(بصوت خفيض ولحوح) إنه فالليه ؟ ... صوفى ، أخبرينى ، أهو فالليه ؟

صوفى : (جالسة ، ويداها فى يدى الأخرى ، تحول رأسها بألم)

آه ! لا تطعنينى مرة أخرى ، باسمه !

لودوييسكا : (تاركة يدى صوفى ، وقد فاضت بها الشفقة) أوه ! حبيبتى المسكينة ! هل كان بوسعى أن أتصور ؟ ... كم أرثى لك ! شىء فظيع ! . ونحن الذين كنا ، قبل قليل ، نغمد الخنجر فى قلبك دون أن نعلم ، أسفة ، سامحينى ! ولكن من كان يخطر بباله ؟ أجل ، لقد لاحظت منذ وقت قريب .

صوفى : (بصوت خفيض عاطفى) كنت أحبه. وكان يحبنى . كان كل حياتى . وكنت كل حياته ... ذلك ما كنت أعتقده ، على الأقل . ولكن ذلك لم يكن صحيحا ، مادام قد راح ليموت من أجل تلك العقيدة المشئومة ... آه ! إذا كان قد ضحى بنفسه فى سبيل تلك العقيدة ، أفلم أضح أنا أيضا ، ألم أضح بنفسى أيضا فى سبيل عقيدة أخرى ؟

لودوييسكا : أية عقيدة أخرى ، يا صوفى ؟

صوفى : (بحقد) ذلك الشرف العائلى ، الذى حافظت عليه دائما

لودوييسكا : صوفى ، أخبرينى بكل شىء ! ... ألم تكونا حبيبين نحب كل منكما الآخر ؟

صــــوفي : (بانفعــال مضــطرب) نعم لم تكن . وهذا هو سبب
مخاوفي اليوم ! حيثما كان يتوسل إلي ، وحيثما كان قلبي
يدفعني إلى التسليم له ، كانت تقف بيني وبينه العهد الذي
قطعته ، وخرافة الوفاء التي تعتبر عندي أكثر منها تعقلا
تعقلي . ذلك الذي نسميه فضيلة . ذلك الصنم المعبود
بلا عيون . لقد ضحيت في سبيله بكل شيء . بكل ما
كنت أحبه في هذه الدنيا . والآن ، لقد مات . والآن
فقدته . فماذا أفاد ذلك ؟ ماذا ؟

(الآن ، دوميتيسكا هي التي تحاول تهدئة صوفي ،
التي راح صوتها يكتسب نبرات ألم عاطفي . تشير إليها
باتخاذ الحذر . لكن بقية الشلة التي راحت في محادثة
صاخبة ، لا يبدو أنها تلاحظ شيئا)

صوفي تلزم الصمت . دوميتيسكا تحدثها بصوت
خفيض . لم نعد نسمع سوى أصوات وضحكات الشلة
الصغيرة المكونة من الأصدقاء الثلاثة الواقفين في الزاوية
اليسرى حجرة الاستقبال بالقرب من النافذة المطلة على
الحديقة)

المشهد الثانى

(على حين بغتة ، يحل صمت أشبه بالموت . الباب المفضى إلى السلم فتح منذ لحظة ، فى مواجهة الأصدقاء الثلاثة (دينى و أوراس وكلوريس) . لكن صوفى ولودوبيسكا اللتين توليانه ظهريهما واللتين يحجبهما المعزف ، لا تريان شيئا مما يحدث)

رجل دخل . فى زى الشعب ، جاكونى ، الشريط فى قبعته . يغطيه الوحل، يبدو عنيفا أشعث . إنه شاب ، نحيف ، قوى ، ذو عينين متقدتين . يبدو أن هناك من يطارده . فتح الباب بقوة ، وبمجرد أن دخل أعاد غلقه بقوة أيضا ولكن بلا ضوضاء ، وهو يرصد سكون السلم . ثم يعود ، ويستند إلى الباب فى مواجهة الشلة الصغيرة التى رأته وهو يدخل . الثلاثة تأخذهم الدهشة . تصدر عنهم حركة فزع ، ولكنهم من الانفعال بحيث لا يستطيعون أن ينطقوا بكلمة .

فى هذه اللحظة ، صوفى و لودوبيسكا متحصنتان فى صمت . لودوبيسكا تلتفت ناحية الشلة جهة اليسار فترى ، دون أن تدرك ، الوجوه مضطربة . صوفى ، وهى ترفع نظراتها آليا إلى المرآة الكبيرة ، فوق المدفأة ، تلمح فيها الصورة المعكوسة للرجل المستند على الباب ، تنهض مطلقة صرخة لم تُلحظ وسط الاضطراب العام . ففى اللحظة نفسها ...)

ديني وأوراس وكلوريس (يطلقون صرخة) : فاليه !

فــــاليـــــه : (**الذي لم يكن ينتظر أن يجدهم مجتمعين**) ديني بايو .. بوشيه .. كلوريس .. أصدقائي ..

(صوته مبحوح من فرط التعب والانفعال . يتجه نحوهم بقوة ، ويمد لهم يده فيتناولونها بارتباك وحرج . لكن عينيه تبحثان ، وراءهم ، وحولهم ، داخل حجرة الاستقبال ، عن تلك التي لم يرها . وفجأة يراها . الباقي لم يعد له وجود بالنسبة له . صوفي واقفة ، تستند بيديها من الخلف على المعزف ، تنظر إليه ، عيناها متسعتان من الانفعال ، والخوف ، والسعادة . ثم يعودا يفكران في الآخرين . فاليه يسرع نحوها ، باسطا لها ذراعيه . فتقبل نحوه .

فــــاليـــــه : صوفي !

صـــــوفي : على قيد الحياة !

(يلقي بنفسه عند قدميها ، يضم ساقيها ، يقبل ركبتيها من خلال ثوبها ، يقبل قدميها ، ثم ينتصب ، ويسند وهو يبكي ، خده ، وعينيه وفمه على جسم المحبوبة التي لا تقاوم ، بل تداعب بيدها وجه الحبيب)

فــــاليـــــه : إنها هي ! لقد وجدتها ! . إنها بين يدي ، أمسكها ، إنها بين يدي !

صـــــوفي : **(دون أن تخلص نفسها ، تتناول رأسه ، تنعطف على وجهه ، تسر إليه ، بصوت خفيض ، بحنان)** انهض !

(فالليه ينهض ، عيناه معلقتان بصوفى ، ولكن ، لا يكاد يقف ، حتى يترنح ، فتسنده صوفى)

صـــــــوفى : سيذهـار ! .. أوراس ! لودوبيسـكا ! .. استند عـلىَّ يا حبيبى ! .. ماذا بك ؟

استند جيدا ! .. تعال .. هنا .. فوق هذا الكرسى .

(تقـوده إلى أحـد الكراسى ، فى ركن الحـجـرة ، إلى اليسار ، قرب الدرابزين . فالليه جالس ، فى مواجهة الجمـهـور وقد أدار ظهـره لأقصـى المـسـرح . لا هـو ولا صـوفى المنحنية عليه ، يريان مـا يحـدث خلفـهمـا : دينى بـايو ، أولا ، يختفى ، تتبعه بسرعة كلوريس ، ثم أوراس بوشـيـه الذى راح ، مـن مـدخل باب السلم ، يشـيـر إلى لودوبيـسكا لكى تلحق بـهـم . لودوبيـسـكا ، متـرددة ومتـأثرة ، تنظر بالتناوب إلى فالليه الذى تسنده صوفى وإلى أوراس . تقرر آخر الأمر ، وتجتاز الحجرة ، لكى تأخذ وشاحها الموضوع فوق أحد الكراسى فى أقصى المسـرح إلى اليســار . كل هذا يجـرى خــلال الفـتـرة القصـيرة التى استغرقتها صـوفى فى توصيل فالليه إلى الكرسى وإجلاسه عليه)

صـــــــوفى : (مواصلة حديثها مع فالليه دون أن تنظر خلفها) إنك ميت من التعب

تمدد .. ألم تأكل .. كلوريس ! لودوبيسكا ! ساعدونى أصدقائى ، حضروا شيئا من القهوة .. هذا .. خذه

فنجانا من فوق المنضدة ... (**تدهش للصمت فتلتفت**)
أين أنتم ؟ ... يا أصدقائي ...

فـــالليـــه : (**ثابتا ، جالسا فوق الكرسي ، دون أن يرى ما يجرى ، لا يجد مشقة في فهم الموقف**) ألا تعلمين أنني خطير بالنسبة لكل من يقربني ؟

(**لودوييسكا ، الوحيدة من بين الأصدقاء الثلاثة المتأخرة بسبب البحث عن وشاحها الذي اضطرها إلي اجتياز الحجرة مرتين ، كانت لا تزال عند عتبة الباب عندما التفتت صوفي ولمحتها**)

صـــــوفـي : (**ساخطة**) لودوييسكا !

(**لودوييسكا ، متأثرة وخجلة من النداء ، تتوقف ، تلتفت ، تتردد ، ترجع بضع خطوات ناحية صوفي التي تترك فالليه وتتقدم نحوها . تهمس لها في اضطراب**)

لودوييـسكا : (**بسرعة وبصوت يكاد يكون خفيضا**) أسفة ... أسفة ... ، هذا جبن ، أعرف ذلك ... لكن اليوم ... اليوم ، بخاصة ، أريد أن أعيش ! (**الكلمة الأخيرة لا تكاد تسمع . تخرج مهرولة**)

(**صوفي ، بعد لحظة ، تعود إلي نفسها ، تذهب وتأخذ من فوق المنضدة فنجانا ، تصب فيه القهوة ، وتحمله إلي فالليه مع شيء من الخبز**)

فـــالليـــه : (**لم يأت حركة**) عليك أن تعجبي بقدرتي وسلطاني ! حيثما أدخل ، يدخل الخوف . هذا البائس (**يشير إلى**

نفسه) ، الذى لا يقوى حتى على الوقوف على قدميه ، يفر ، ويفرون منه . هاهي ذى خمسة أشهر وأنا أهيم على وجهي خلال فرنسا كلها ، مطرودا من كل سكن . كنا في " دور دونى " سبعة رجال محكوما عليهم : بيتيون ، وباربارو ، وبوزو ، وجاديه ، وسال وفالادى . طرقنا أبواب ثلاثين صديقا . لم يفتح لنا واحد منهم . كنا نجر في أقدامنا شبح المقصلة . كانوا يصابون بالرعب لرؤيتنا ، نحن وهي ، حتى إن واحدا دخلنا عنده صدفة، أراد أن يقتلنا ، ولما لم يكن هو الأقوى ، فقد هددنا، إذا بقينا ، أن يقتل نفسه .

(تندى عنه ضحكة عنيفة مريرة)

وذات ليلة ، سرنا تحت وابل الأمطار ، خلال الحقول المحروثة . إذ كنا قد اضطررنا إلى مغادرة المحاجر التى كنا نأوى إليها . بعد أن أبلغوا عن وجودنا فيها . أمل أخير كان يقودنا إلى عائلة صديقة لعائلتى منذ القدم : كنت، بصفتي محاميا ، قد أنقذت شرف أحد أفراد هذه العائلة فى قضية جنائية . كان الليل حالكا ، فضللنا الطريق . كنا نغوص فى الوحل حتى أفخاذنا . فالتوت ساقي . وبعد ست ساعات من السير ، وصلنا ، منهكين . فطرقنا الباب . ومضت نصف ساعة من الانتظار . تحت وابل المطر والريح الباردة ، كانت أسناننا تصطك . وانفرج الباب . فصرخت باسمى .

فأغلق الباب من جديد . ومضت نصف ساعة أخرى انتابتني رعدة وفقدت الوعي ... وبعد ساعة من المداولة ، أجابوا خائفين بأنهم لا يستطيعون استقبالنا . مكثت متردداً في وحل الطريق . ومن خلال ثقب الباب صاح رفاقي قائلين . " ساعة فقط ، سقف نأوي تحته ! " فكان الرد : " لا ! " فعادوا يقولون : " على الأقل كوبا من الماء وقليلا من الخل ! " فكان الرد أيضا : " لا ! " .. فاستأنفنا هربنا ... ألا لعنة الله على الإنسان !

(صوفي ، واقفة بالقرب من فاليه ، تجمدها شفقة أليمة ، تنصت له . فاليه، الذي ألقى هذا السرد ، بصوت منقبض تقطعه انفعالات حادة مكتومة ، ورأسه ثقيل ، يثبت نظرة كئيبة نحو الأرضية عند قدميه ، يلتفت بشدة ناحية صوفي، ويسألها بصوت مبحوح مشوب بالعاطفة :)

وأنت ، ألا تطردينني ؟

صوفي : (مائلة عليه ، في حنان وتتقدم له الفنجان) حبيبي المسكين ، خذ ! لقد أضناك التعب !

فاليه : (دون أن يتناول الفنجان ، باللهجة اللاذعة نفسها) إنني أجلب الموت .

اطردوني إذن !

صوفي : (ترفع الفنجان إلى شفتيه بينما هو يشرب) اشرب !

(يشرب بنهم ، ويريد أن يتكلم بعد ذلك)

لا تتكلم ! ... كل ! أولا ، استرح .

(لحظات صمت ، في أثنائها تنصرف صوفي إلى خدمته ، تراه يأكل ، كأنه مشفوق . فاليه يتناول يدها ، يقبلها طويلا ، لا تحاول هي أن تسحبها ، تبتسم في حزن وفي حنان)

صـــــوفي : **(بعد لحظة ، تضع يدها فوق رأس فاليه)** كيف جئت ؟
كيف استطعت أن تصل إلى هنا ؟

فـــاليــــه : اجلسي أمامي . إذا أردت مني أن أقوى على الإجابة !
دعيني أراك .. قريبا .. هنا ، اجلسي !.
(يجلسها أمامه ، ويتناول يديها في أثناء إلقائه)
أوه أيتها الآلهة ! إنها هي ! .. لم تعد تلك الصورة التي يستحيل إدراكها ، والتي تتراقص أمام خطواتي مدة شهور عديدة .. إنها هي .. وإنني أمسك بها ، إنني أشعر براحة يديها في راحة يدي ، ولمسات أصابعها وحرارة جسدها تذوب في حرارة جسدي .. مهلا ، لا تنزعيهما مني ! لا تدعيني أسقط من جديد في الهوة التي أخرج منها ! احتفظي بي بين يديك .. هما اللتان أنقذتاني

صـــــوفي : ليت أن الله يهبهما هذه القدرة ! .. حبيبي ، قص علي لنستفد من اللحظات.
كيف نجوت ؟

فـــاليــــه : حينما منع عنا جبن الأصدقاء الرهيب دلو الماء الذي لا نمنعه كلبا جريحا يتضرع إليك ، أعادت شدة اليأس إلى أرواحنا الحياة من جديد . أعاد إلي النشاط

شعوري وقوتي . فنهضت ، صائحا : " فلنفر ، فلنفر من الناس ، فلنفر إلى المقابر ! ولكن هل نظل نخفي أنفسنا عن أعين هذا الجنس القذر ! إلى الأمام ! فلنسر فوق أجسادهم ، أو فلنمت ! لا حل وسطًا ! " وعدنا إلى عرض الطريق . وهناك ، على الأضواء الخافتة للنهار الوليد وتحت المطر ، قبلت أصدقائي ، وقاسمتهم شيئا من طعامي ، وتجردت من صرة الثياب التي أحملها ، من كل ما يمكن أن يعوقني في سيري : لأنني كنت قد عزمت على العودة إلى باريس . ظنني أصدقائي مجنونا ، ولكن ما من شيء كان يستطيع أن يزعزع تصميمي ، ولم يحاولوا على الإطلاق . لأننا ، عندما نفقد كل شيء ، فماذا نتدبر ؟ لم يكن الأمر يتعلق بحياتي . كان المهم أن أراك مرة أخرى .

صوفي : (ملخوذة) أنا !

فاليه : أنت . كل ما أحب . أنت ... وأنت تعلمين ذلك تماما ! لا داعي أن نمثل مهزلة المجتمع ! فلم يعد هناك مجتمع . لم يعد هناك شيء . سواك . أنت وأنا ... في عرض ذلك الطريق الأصفر ، الموحل ، الذي كان يمتد مستقيما يتصاعد منه الضباب ، صورة تلك المرأة – أنت – برزت مثل البرق . وفجأة ، توهجت أنا مثل عود من الهشيم . واختفى كل ما عداك . فكرة واحدة استبدت بي وهي أن أراك مرة أخرى قبل العدم الأبدي ! ... كانت هذه الفكرة

بالنسبة لي جرعة من نبيذ يكوى : أسكرتني وأصبحت مخدرا ، مبللا بالمطر ومرتعدا من أثر الحمى ، متورد الساقين ، وبعد أن كنت قبل لحظة لا أكاد أستطيع أن أضع باطن قدمي على الأرض ، وجدتني أنهض من فوري ، ووجدتني مدفوعا إلى الإمام . وعلى الرغم من ثقل جسدي ، أخذته على كتفي لكي احمله لك . كنت أقول في نفسي : " إذا سقطت ، فلتعلم على الأقل ، أنه عند سقوطي ، كان وجهي متجها نحوها ! " كنت على مقربة من ريبيراك " . أحمل جواز سفر مزور تنقصه تأشيرة الدخول ، ومررت في طريقي إلى هنا، على أكثر من عشرين مركز من مراكز المقاطعات . ولحسن الحظ فإن الفلاحين لا يعرفون القراءة . كنت أقوم بنفسي بعمل التأشيرة والتوقيعات . كان يجب على أن أتخذ التدابير لكي لا أرقد إلا في القرى وألاّ أجتاز المدن إلا في غفلة من الحراس المرابطين عند المداخل . أما كيف مررت ، فلم أعد أستطيع لذلك تفسيرا . فلو كنت رابط الجأش ، لما استطعت أن أفعل ذلك . لكن العهد كان يدفعني . كل خطوة على الطريق ، كل حاجز أجتازه ، كل خطر أتغلب عليه كان يقربني منها ، - منها - منك ! ... كان الألم قد عاودني من جديد . كنت أشعر بآلام حادة . ومن أثر الجهد الذي كان السير يكلفني إياه ، كنت غارقا في العرق . وحينما كانوا يوقفونني ليطلبوا مني أوراقي ،

كنت أعرى ساقي المتورمة كأنني من جرحى حرب " الفيندية " كنت في كل مدينة أعلم بتعذيب أحد رفاقي أو بموته . وفي الليل . كنت أنام ، مرتديا ثيابي ، ومسدسان في جيبي ، وحبات من الأفيون مخبأة فوق جلدي في قفاز مهلهل . كنت قد صممت ألا ينالوني حيا ! .
كنت أصحو في الصباح، أكثر إنهاكا من اليوم السابق . كنت أزيد من سرعتي دائما ، كمثل المطارد الذي يسمع من خلفه ، في الليل ، وقع الخطوات ترن فوق الأرض التي يكسوها الجليد . كانت أنفاس الموت في إثري . كنت أشعر به . كان يتعقبني .. ستقولين لي إنه كان يجب أن أفكر أنني أقود إليك هذا الموت ؟ ... لقد فكرت في ذلك ... إن العاشق الشهم ، بدل أن يعرض للخطر تلك التي يحبها، أحرى به أن يعدل عن رؤيتها . أما أنا ، فلا ! إن حبي أقوى من الاهتمام بحياتك . أن أفقدك . أن أفقد نفسي ، ليكن ! ... ولكن ليس قبل أن أراك مرة أخرى . أن أراك كما أراك الآن . أن أقول لك إنني أحبك ...
(يتناول يديها ، يتحدث إليها ونفساهما متلاصقان)

صوفي : **(دون حركة لتخلص نفسها ، كلاهما ثمل)** وبعد ؟
(يصمت كما لو كان لا يدري شيئا)
(تستطرد)
وبعد ذلك ، ماذا سيحدث لك ؟

فاليه : لم أنظر أبعد من ذلك .

(يترك كل منهما يدى صاحبه ويصمتان ، بهما غصة من أثر العاصفة الداخلية .. صوفى تبتعد فجأة ، تنهض ، تستند على ظهر المعزف ، تنتظر ريثما تهدأ دقات قلبها . فى مواجهتها ، فاالليه ، جالسا ، مائلا إلى الأمام يرمق الأرض بنظرة قاسية ينوب فيها العنف ، لم يتحرك)

صــــــوفى : **(تملك زمام نفسها وتعود إلى فاالليه :)** حبيبى . حبيبى الغالى .. إننى أشكرك

فــــالليــــه : **(رافعا رأسه فى غضب)** ليس شكرك الذى أريد

صــــــوفى : **(بعد وقفة قصيرة)** إننى أرتعد إذ أفكر أنك موجود فى هذه المدينة ، فى هذا المنزل ، حيث يمر أناس كثيرون يمكن أن يتعرفوك

فــــالليــــه : الآن ، ماذا يهمنى ؟

صــــــوفى : ولكن يهمنى أنا ! لقد جئت إلى هنا تضع نفسك تحت حمايتى . ويجب علىّ بل أريد أن أنقذك .

فــــالليــــه : ليس هناك من خلاص ، لم يعد على الأرض من ملجأ للإنسان الذى أراد أن يخلص الناس

صــــــوفى : يجب أن تبلغ الحدود . يجب أن تدخر نفسك لأوقات أفضل . سوف يحتاجون إليك . قضيتك ، وطنك

فــــالليــــه : أما أنا فلم تعد بى حاجة إليهم . ليست بى حاجة إلا إليك .

صــــــوفى : فاالليه ، أتوسل إليك ! لا تضيع بحياتك ! فلنبحث عن مكان تختبئ فيه ، وطريقة لهربك .

فــــاليــــه : الهرب ! هل تتصورين أنني سأعود إلى الهرب مرة أخرى ؟
هل تعتقدين أن فى الإمكان تكرار المحنة التى مررت بها ؟
تلك الشهور الخمسة من الاحتضار ! إن العقل والقوى
البشرية لا تكفى لذلك . إننا لا نستطيع ذلك بغير عهد
كذلك الذى كان ينير لى وأنا فى طريقى إليك . فما الذى
يمكن أن يشد من عزمى وأنا أبتعد عنك ؟

صــــــوفـى : (بعاطفة) أنا !

فــــاليــــه : أنت .

صــــــوفـى : أنا ! ... يا حبيبى !

فــــاليــــه : (ناهضا) حبيبك ؟

صــــــوفـى : لن أستطيع الحياة دونك !

فــــاليــــه : تحبيننى إذن ! أنت تحبيننى !

صــــــوفـى : أنت تعلم ذلك ، فلماذا أرغمتنى على أن أقوله لك ؟

: لقد قلته ! أعيديه !

صــــــوفـى : لا يجب ذلك .

فــــاليــــه : بل يجب ذلك . أعيدى ما قلته .

صــــــوفـى : أحبك !

(يتعانقان)

فــــاليــــه : شفتاك ! آه ! أخيرا أرتوى من نبعهما ! ... ابقى !
لا تبتعدى ! لا تنفرى منى ! اغفرى لبؤسى ، لثيابى
الرثة ، ويدىَّ ، وقدمىَّ الموحلتين ، وجسدى الذى يفوح
عرقا وغبارا . إننى أشعر بالخجل ! ...

صـــــوفي : إنني أحبك ! أحب بؤسك ، أحب حتى غبار يديك ووحل قدميك !

(تنحنى لتقبل يديه وثيابه)

فـــالليـــه : **(يحتجزها ، يرفع رأسها بيديه ، يغرق عينيه في عيني صوفي ، التي تستسلم، متعلقة بنظرته . بعد صمت عاطفي :)**

آه ! ما أجمل الحياة ! ... سأعيش الآن . أريد ذلك . لن ينالوني ! إذا كنت قد استطعت ، وأنا وحيد ، أن أخترق عالما من الأعداء . فما الذى لا أقدم عليه الآن وقد حصلت عليك ؟ ...

اسمعي ما سنفعله ! ... من السهل عليك أن تحصلي لي على جواز سفر مزيف ورداء للتنكر ، سترة يعقوبية . ثم آخذ العربة العامة التي توصل من باريس إلى " دول " ، ومن هناك ، أسير على قدمي ، فأنا أعرف الطرق التي توصل إلى الحدود عبر الهضاب المرتفعة . قبل اجتيازها ، سأعثر لبضعة أيام على مأوى في أحد أكواخ الحطابين . وبعد أسبوع ، تهربين من باريس ، وتأتين لتلحقي بي في المأوى الذى سأحدده لك . خمس أو ست فراسخ على الأقدام . الطرق يغطيها الجليد . لكنك لا تخشين السير . سنتسلق سويا منحدرات جبال " جورا " ومن فوق القمة سنرى الأرض الحرة ، سويسرا . ساعات قليلة بعد ذلك ونكون قد نجونا .

صـــــوفـى : **(مأخوذة بسيل هذه الإرادة ، ولكن تحاول أن تتمالك نفسها)** نحن ؟ أنا ؟ ... أنا ، أتبعك ؟

فـــاليـــه : مادمت لى !

صـــــوفـى : **(فى أنين)** لا أستطيع ! لا أستطيع !

فـــاليـــه : إذا كنت تريدين ، فأنت تستطيعين .

صـــــوفـى : لا أستطيع !

فـــاليـــه : من يمنعك ؟

صـــــوفـى : واجبى .

فـــاليـــه : (بمرارة) الواجب ! فى هذا العالم المشئوم ، هذه الكلمة لا تستخدم إلا فى القتل . إنما باسمها راح المنافق الكبير ، حقير أراس ، يذبح أنداده ، وراح جبن الأصدقاء يسلم الأصدقاء للجلاد . الواجب ! ما أسوأ ما نستعمل هذه الكلمة الكاذبة ! ... انظرى فى وجهى ! إن الحقيقة الوحيدة هنا فى عيوننا . أنت وأنا .

صـــــوفـى : إننى أرى أيضا زوجى . إنه مسن ، ويحبنى ، ويثق بى . إذا تركته ، أكون مذنبة .

فـــاليـــه : مذنبة ، لقد كنت كذلك ، إذ تزوجته . إنها لجريمة أن تربط الأجساد الشابة بالهرمة . لقد أعطيته أكثر من اللازم . إننى أحقد على أنانيته التى قبلت ذلك. هيا ، لا ترثى له ! إنه يستطيع أن يحيا دونك . أن لديه علمه ، ومجده ، وغروره وصداقة الطغاة . ماذا أنت فى حياته أكثر من ثمرة ، لا يستطيع حتى أن يقطفها ؟

صـــــوفـي : لقد وهبت نفسي له ، وهبتها ، بإرادتي . هل بوسعي الآن أن أسترد نفسي دون أن أحتقر نفسي

فـــاليـــه : احتقري نفسك ! في مثل هذه الساعة ، ماذا يهم الاحتقار ؟ إن كل ما حولنا يموت ، كل شيء حطام ، كل الروابط والقوانين التي كانت تقيم مجتمع الناس ، احترام الشقاء ، وحب الخير وطيبة القلب ، كل شيء ، وسط الخرائب ، الحب وحده لا يزال يبرق ، وكل ما عداه لبل حالك .

صـــــوفـي : **(يداها فوق صدرها ، بصوت خفيض ، تحرقها نشوة داخلية)**

يا أيها النور ،

فـــاليـــه : **(يطوقها بذراعيه)** هل ستتبعينني ؟

(صوفي دون أن تنظر إلى فاليه ، تظل في وضع النشوة ، دون أن تجيب)

فـــاليـــه : **(آمرا)** أجيبي ! ستتبعينني

(صوفي تدير ببطء نحو فاليه وجهها الذي يضيئه الحب . يداها المعقودتان تحف أطراف أصابعها شفتاها الفاغرتان ، اللتان تهمان بالكلام . فجأة تخلص نفسها ، وتنصت ، وتقول على الفور :)

صـــــوفـي : شخص قادم ، يصعد السلم

(في عجل ، تدفع فاليه داخل الحجرة التي يفتح بابها إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد الثالث

(يدخل چيروم دى كورفوازييه من باب السلم ، إلى اليمين، دون أن يرى صوفى ، التى لا تزال عند عتبة باب الحجرة التى دخل فيها فالليه ، يتوجه بخطوات مترنحة ومتعجلة ، ناحية المكتب إلى اليسار . إنه دون قبعة ، شعره الرمادى المتطاير غير منظم ، رباط عنقه ذو العقدة الكبيرة معقود بطريقة سيئة ، هيئته ، حركاته ، تعبيره ، تدل على ارتباكه . تنفسه صعب ومختنق . يقول كلاما بلا بقية ، يصدر أنينا . يرتمى فوق أحد الكراسى أمام المكتب يتكئ بمرفقيه وسط الأوراق . يخفى وجهه بيديه)

صوفى : (مندهشة من مظهره وهيئته) چيروم !

(لا يتحرك ، ويواصل أنينه بصوت خفيض)

صوفى : (قلقة ، تذهب نحوه) صديقى ...

(لا يجيب)

(تضع يدها فوق كتفه ، تسأل باهتمام زائد) ماذا بك ؟

(يرفع رأسه نحوها ، وهو يتنفس بشدة ، ينظر إليها وينهار من جديد)

صـــــــوفـى : **(مائلة ، ترفع جبينه بيديها وتقول بعاطفة يشوبها القلق :)**
هل تتـألم ؟ ماذا حدث لك ؟

(چيروم دى كورفوازييه يبذل مجهودا لكى يبتسم لزوجته ويستعيد هدوءه ، يفتح فـه ليتكلم . لا يستطيع . يقف نصف وقـفـة ويحـاول أن يبلغ بيـده شـيـئـا يوجـد فـوق المنضدة الصـغيرة القريبة التى توجد فوقـهـا فناجين القهوة)

صـــــــوفـى : ماذا تريد أن أعطيك !

(چيروم يشير إلى زجاجة (قنينة)

صـــــــوفـى : **(تعطيه إياها)** هذه الخمر ؟ إنك لا تشرب على الإطلاق !

(چيروم يتناول القنينة ، يصب لنفسه منها كأسا كاملة ، يشربها جرعة واحدة)

چيـــــــروم : يا إلهى إننى أتردى ، فى هذه الإنسانية ...

صـــــــوفـى : أية صدمة استطاعت أن تفل من عزمك ؟ ... يا صديقى ، من أين أنت قادم ؟

چيـــــــروم : من لجنة الميثاق . -

صـــــــوفـى : هل انتهت الجلسة ؟

چيـــــــروم : كلا . لكننى لم أستطع البقاء حتى النهاية .

صـــــــوفـى : ماذا حدث ؟ أى عنف جديد . هل هناك ما يمكن أن يفاجئك ؟ إنك تعرف طباع البشر .

چيـــــــروم : إنهـم لم يعـودوا بشرا . إنهـم قطيـع من البهائم ، ذليلة متوحشـة . كل غرائز الخسـة والوحشـيـة عارية تماما .

لحم مذبحة . كلاب جبّانة تزحف وتتشمم رائحة الدماء . وسط الحظيرة ، ذئاب وضباع ، تحوم . لقد خلت الحجرة الواسعة تماما . أكثر من مائتين هربوا ، ماتوا ، اختفوا . حزب اليمين أصبح خاويا . إن الذين بقوا أحياء ممن كانوا يشغلونه هربوا من أماكنهم ، وراحوا يتسلقون وهم منبطحون على وجوههم حتى قمة الجبل . حتى أكثرهم حذرا ، كانوا لا يكفون عن تغيير أماكنهم فما من مكان صار آمنا . لأننا لا نعلم على الإطلاق أين ستتجه الضربة ، إلى أعلى أم إلى أسفل ؟ إنهم يحاولون أن يظهروا وكأنهم لا شيء ، وأن يتواروا وراء ستائر النسيان . إن عيونهم التي تتذبذب ، راحت ترصد من تحتهم ، وعن شمالهم ، وعن يمينهم ، انتفاضات القطيع ورمشات الذئاب - وبخاصة جبهة روبيسبير الغامضة وعيناه الصفراوان تحت منظاره القديم ، وجبهة " بيو " المنخفضة وعيناه اللتان يخطهما الاحمرار ، وذلك الجمود في عيني سان-جوست الزرقاوين في محجريه ، محجري الصقر ، سان-جوست ... إنه فوق المنصة . يتأهب للحديث . سكون . ها هو ذا برقبته المشدودة يجيل نظرته الباردة تحلق فوق هذه الظهور التي تنحني وتحاول أن تتجنبها . إنه يحصيهم : على أيهم يا ترى سينقض ؟ ليس هناك ما يستدعي العجلة . فلديه الوقت . لن يجرؤ أحد على التحرك ... منذ ستة

شـهور تزمـجر فى هذه الحظيرة الأهواء المتناقضة كما تزمـجر الأمواج : الجيروندیون والجبليـون فى فـريقـين متأهبين ، يتناوآن باللفظ والحركة ، والسلاح فى أيديهم ، وفى هذه الملحمة التى يتجلى فيها رعد المنصات ألفان من الرءوس تزمـجر . اليوم هو القبر . عندما يتحدث واحد من الجـزارين ، فكأنما نسـمع الذئب يحوم فوق الجثث . إن كل هـذه الأجسـاد الثابتة ترتعد من الانتظار المهووس . فما إن ندخل حظيرة الماشـية ، لا يدرى أحد مـاذا سيـفعل ، ولا مـاذا سيـفعل به . لا أحد يدرى إذا كانت حياته ستطلب ، ولا حياة من سيتحتم عليه أن يطلب . ما إن نجتاز العتبة ، (**ولا بد من اجتيازها لأننا لا يمكن أن نهرب ، دون أن ندل على أنفسنا**) حتى نتحول إلى أشخاص آخرين . فالزميل ، الصديق ، الذى كان قبل لحظة يشد على يدك ، يصبح غريبا عنك ... ماذا يظن بى ؟ وأنا ، مـاذا أظن به ؟ ... إن كل فـرد يصـبح لغـزا بالنسـبة للآخـر ... ربما بعد لحظة ، أراه ينهض ، وعيناه تتـهددان، وفمه يرغى ويزبد ، فيـهاجمنى عـاويا ضدى ، مع سرب الكلاب ، ... أو ربما أسبقه أنا إلى ذلك ... لأنه تحل لحظة ، أعرف فيها أن زميلى سيطلب رأسى، إذا لم أبادر بطلب رأسه ، قبل ذلك ...

(قام چيروم بهذا السرد ، ويداه ترتعدان ، فى هياج مـهووس . فـى هذه اللحظة يتوقف ويأتى حركة ليتناول

من جديد قنينة الخمر . لكن صوفي ، في عزم وحزم ، تبعد القنينة عن يد زوجها وتجلس بالقرب منه ، وتتحسس ذراعه في حنان ، وتقول :)

صوفي : لا تنفعل ، هدئ من روعك ! ... أخبرني بما حدث . إنني أحاول أن أفهم ...

تقول إن سان جوست قد تكلم ؟ هل هناك أحكام جديدة بالنفي ؟ وهل فيها ما يمسك ؟

چيروم : (**يقول نعم برأسه**) أحكام جديدة ، نعم .

صوفي : ولكن ضد من ؟ لقد ضربوا كل أعدائهم . أعداء اليسار ، وأعداء اليمين . إن چيروند التعيسة تختتم نهايتها . ومجلس العموم قد تحطم . ولم تمر ثمانية أيام منذ سقطت رءوس هيبير و شوميت و كلو . ماذا بقي لهم لكي يقضوا عليه ؟

چيروم : هم . إنهم يفترسون بعضهم بعضا . فبعد أن صنعوا الفراغ حول الجمهورية ، يقتلون الجمهورية ... هذا الصباح ، في السادسة ، قبضوا على ...

صوفي : من ؟

چيروم : دانتون .

صوفي : دانتون ؟

چيروم : لم نكن صديقين . لم أكن أحب هذا الرجل . فإن ذلك العنف الذي يرغي ويزبد وذلك السيل المحمل بالأوحال ، وذلك الشيطان المجنون ، المريد ، وتلك الغرائز الوضيعة ،

وذلك الدهاء ، كل ذلك كان يوحي إلى بالنفور والاشمئزاز منه . إن فحيحه كان يخفي وراءه في أغلب الأحيان الاضطراب والشك . ولكن من ذا يستطيع أن ينكر الخدمات الهائلة التي أسداها بجرأته العظيمة للجمهورية ؟ ... من منا لم ير وسط الأيام المظلمة ذلك الوجه المخيف يشرئب وسط السحاب يجلله البرق وكأنه روح الثورة نفسها ؟... عندما بلغت المجلس إشاعة الأمر بالقبض عليه . تجمد كل الحاضرين من الذهول . لم يبق واحد لم يشعر بأن هذا الرجل كان مقدسا ، وأنه يخص تراث الأمة الذي لا يمكن انتهاكه. وما أقل الذين لم يشعروا بفضله ! وكم منهم – في الأيام العصيبة – احتمى به ! قطيع كامل من العملاء كانوا يقتاتون على فتاته . لكن هذه الفئة وقد أصابها الذعر ، راحت تهمس ، ثم تلوذ بالصمت ، وقد لذت بالصمت مثلهم ...

وأخيرا ، فإن أحد أفراد حزبه ، وكان معروفا من الجميع بأنه ممن يدورون في فلك النجم الذي هوى ، وقد شعر بأنه يتردى في الهاوية ، حاول بطريقة لا إرادية أن يقوم بحركة من أجل الحفاظ عليه . هذا الشخص هو لوجندر ، وهو رجل سوقي ، كان ، في ظل " دانتون " ، يتألق معه ... لقد منحه الخوف قوة، فصاح عاليا ، وطالب مزمجرا ، لكي يتشجع ، بحرية دانتون . وما إن اطمأن أغلب الحاضرين لهذه الصرخة المنبثقة من الصمت ، حتى

بدءوا يساندونه بطنينهم . وذهبت الجرأة ببعضهم فجعلوا يصفقون . بضع دقائق أخرى ، وكان من الجائز أن تجد اللجنة الشجاعة الكافية لكى لا تسلم باغتيال نفسها ... وفجأة دخل " روبسبيير " . فتجمد هدير القلوب فى الحال . وعلى طول طريقه راحت الفكرة تتعجل الارتداد والدخول تحت الوجوه . ومن جديد أحدق الصمت بالرجل الذى كان يتحدث . ورأى " لوجوندر " " روبسبير " .

وساعده اندفاعه ، لحظة أخرى ، على إطلاق الصيحات التى راحت تقع فى الفراغ . ثم ، فقد اتزانه ، وتوقف ، واستأنف ، وتلعثم ، ووسط إحدى الجمل ضرب بقبضته فوق المنصة ، وتوقف وغاص . وفى بطء راح " روبسبيير" يصعد من السلم الآخر . ودون أن يهتم بالرد على عواء البهيمة المذعورة التى كانت فى ذلك الوقت تسعى إلى الدخول فى ثنايا النسيان ، راح يقرأ بصوته الخالى من النبرات ، أمر القبض الذى أصدرته فى الليلة السابقة اللجان الثلاث. وجعل يتحدث بألفاظ جوفاء عن مكيدة كبرى . وهنأ "مجلس الشيوخ الذى استطاع أن ينتزع من داخله جميع الأعضاء غير الأكفاء الذين خانوا القضية ..." وعلى حين بغتة ، أصبح صوته مهددا ، والتفت ناحية " لوجوندر " الذى كان منزويا وراء شخص آخر ، وراح ، وهو يتظاهر بأنه لا يراه ، يهاجم المتآمرين المختفين الذين يدفعون عن الخونة سيف

القانون . فطلب "لوجوندر" ، وهو يتلعثم ، أن يرد . ولكن الآخر ، دون أن يتأثر ، تظاهر بأنه لم يسمعه وانتهى من عرض جمله المطننة الموزونة التي تتردد فيها كلمة الموت ، ثم انصرف تاركا البلطة المطوقة بالغار معلقة على رءوس أعضاء المجلس ...

كان الصمت يزداد عمقا أشبه بالهوة السحيقة . ومن الأعماق ، ارتفع مرة أخرى عواء " لوجوندر " نابحا على الموت . ولكن هذه المرة ، لم يعد لدى الكلب سوى فكرة واحدة . أن ينبطح ويجثو تحت السوط وينال العفو بلعق القدم التي كانت تركله . اعتذر والغصة تملأ صدره متعللا بأنه لم يكن يدرى ، ولم يكن يعرف ... ، دافعا باستعداده لأن يسلم صديقه أو شقيقه إذا كانا جانيين ، متنكرا للرجل المغلوب مستشهدا بجبن المجلس على نكرانه الخسيس ... حدث ذلك ودون أن يجرؤ واحد فقط على أن يبسط له يده أو تنفجر أسارير الرجل الغامض بتهديده الصامت ، وهو يتأمل الشقى الذى كان يغوص ويغرق ...

واختفى الرجل . فقد غطاه سماط من الازدراء والخوف . وعندئذ ، راح واحد من حزب المونتانى ، باسم المجلس ، يهنئ اللجان التي أحبطت بيقظها المؤامرات الجديدة . ومن جهات مختلفة في القاعة ، انضمت إليه بعض الأصوات تؤيده . لكن "روبسبيير" ، الذى يعلم تقلب

المجالس ، لم يكتف بهذه الأصوات التى لم تصدر عن العقول ، بل أراد أن تصدر اللجنة حكمها عن طريق الاقتراع بالاسم ، وأن تقر محاكمة "دانتون" - أى القضاء عليه ، لأن الحكم كان قد صدر مقدما .

صوفى : واقترعت أنت !

چيروم : راحوا جميعا يقترعون . كلهم كانوا يسرعون إلى المنصة ، تحت أعين أصحاب الأمر . بعضهم بظهور مستديرة ، وبصوت غير مطمئن . أما الأغلبية فقد تظاهرت بالصلابة الرومانية ، وجعل صوتها يجلجل فى القاعة ، بينما الرعب يصيح فى أحشائهم . واقترع "لوجوندر" . باع يده . كنا خمسة أو ستة ننظر فى ألم . كان كل منا ينتظر دوره في الاقتراع . وعندما كان يأتي دور أحدنا ، كان ينهض ويذهب ، يذهب ليلقي بصوته ، يلقي بحجره على المهزوم .

صوفى : وأنت ألقيته !

چيروم : عندما حان دورى ، نهضت وانصرفت .

صوفى : لم تقترع ! ...

چيروم : كنت قريبا من باب الخروج. نادوا باسمي . وكرر شخص خلفي قائلا ، وهو يمس كتفي : " كورفوازييه ! " ... وكان هناك رجل (**من كان يا ترى ؟**) يقف أمام الباب . فنحّيته عن العتبة ، وخرجت من القاعة . وعندما بلغت الشارع ، أصابني دوار ، وكدت أسقط . وأقبل علىَّ عابر رآنى

أترنح ، فأخذني من ذراعي وصحبني إلى مقهى ، وسقاني مشروبا منعشا . استجمعت قواي كي لا يتفرج على الناس ، وعدت إلى المنزل ... كنت أتمنى أن أرقد فوق الأرض، في التراب وألا أنهض بعد ذلك ... تقززا ، تقززا من الناس ومن نفسي . إنسانية ، حق ، حرية ... يا لها من سخرية ! سخرية عهدي وإيماني . لقد ولد الإنسان لكي يستعبد . لقد ولد الإنسان لكي يخون . إن كل ما نفعله لتحريره ، كل ما نحاول من أجل إنهاضه ، لا يجدي إلا في إظهار حيوانيته . ماذا صنعت ؟ لقد فقدت حياتي ! ...

(يسقط من جديد فوق المنضدة ، رأسه بين يديه)

صـــــوفي : **(التي أنصتت إليه بانقباض وشفقة متزايدة)** الرجل المسكين ! الرجل المسكين !

(تميل عليه تأخذ بيده) چيروم ، أي صديقي ! ... زوجي العزيز ! ... لا تستسلم ! إنني أفهمك ، وأرثي لك . إن ما قاسيته أنت أقاسيه معك ... ولكنني لا أريد لد أن تفقد إيمانك ... إيماننا ...

چيـــــروم : **(يرفع رأسه ، بلهجة شك :)** إيماننا ؟

صـــــوفي : إنه إيماني أنا أيضا . - لا شك أن الناس منحطون ، متوحشون ، منافقون ... وا أسفاه ! إننا ندرك تماما كم نحمل في ذواتنا من وحوش ، من أفكار وضيعة لا نجرؤ على ذكرها ، وتحط كرامتنا ً ولكن لأننا كنا نعلم

ذلك ، قمنا بهذه الثورة ، من أجل تحرير الناس ومن أجل رفعتهم . إننا لم نحاول أن نخفف عن أنفسنا لا المصاعب ولا الأخطار . ربما كل خطئنا أننا اعتقدنا قبل الأوان أننا كسبنا المعركة . ولكن في تلك الأيام الأولى من التحرير ، كان جميلا أن نستسلم لمعانقة كل من في فرنسا . هل لنا أن نأسف على ذلك ؟ كان لا يمكن أن يستمر ذلك . ولكن من ذا الذى لم يحسدنا ، من ذا الذى لن يحسدنا لأننا عرفنا هذه السعادة ، مرة فى حياتنا ؟ لقد قطفنا زهرتها . والزهرة ذوت. إن البهجة التى تمتعنا بها لحظة ، دفعنا ثمنها بعد ذلك . أمر شاق . ولكن كان لابد من ذلك . أنت ، يا من تعلمت في خلال ممارستك للعلم ، الاعتراف بقوانين الطبيعة الثابتة التى لا تتحول ، أهذا سبب يجعلك تشك أو تتخلى عن موقفك ؟ لقد أتيحت لك القوة لكى تصعد عاليا لتحتضن فى نظرة واسعة الأرض وراء الجبال والنهر الذى يتعرج والذى يمثل تقدم الفكر الإنساني . ولم تتصور يوما من الأيام ، أنه لكى يواصل مجراه ، تكفى لذلك بضع سنوات . بل كنت تتوقع قرونا مع أكثر من توقف وعودة إلى الوراء . كلا ، إننا لن نرى ، بأعيننا ، أرض الميعاد . ولكن ، أليس كثيرا أن نعرف مكانها وأن ندل على طريقها ؟ سوف يأتي آخرون ، أكثر شبابا ، فيواصلون السباق المقطوع . أما نحن ، المقيدين بالعصر الحاضر ، فلنجد

فيهم عزاءنا . يا صديقي ، في مقابل المشهد الرهيب الذي يخنقك ، تبقى لك في ذاتك ملاجئ كثيرة تستطيع أن تجد فيها عزاءك ! مجهودك الشخصي ، وأبحاثك واكتشافاتك ، مملكة العلم هذه ، التي هي بمنأى عن نزقات الناس وشرورهم ، والتي ستحررهم ، شاءوا ذلك أو لم يشاءوا ...

چيـــــروم : **(انتصب واقفا شيئا فشيئا ، يداه في يدي زوجته ، لا يحول عنها عينيه)**

آه ! شيء مريح ! ... من فمك ، هذه الأفكار ... هذا الإيمان ، إيماني ! إيماني المفقود ، الذي يعود إلى عن طريقك ... زوجتي ! ... إذن فأنت تحبينني ؟ ... كنت أظن عكس ذلك ! ...

(يقبل يديها)

(صوفي ، مضطربة ، تحول رأسها ، بينما زوجها مائل على يديها)

چيـــــروم : **(يرفع عينيه نحوها ، يتوسمها بعرفان ويترقب الإجابة بانكسار :)**

صوفي ، هل تشعرين نحوى حقا بشيء من الحب ؟

صـــــوف : **(محاولة الهرب)** آه ! انتابتني رعدة قبل برهة ، خلال حديثك ... كنت أخشى ... كنت أخشى ...

چيـــــروم : **(بابتسامة حزينة)** كنت تخشين جبني ؟

صـــــوفى : كلا ، لا تقل هذه الكلمة !

چيـــــروم : أولم أظهره بما فيه الكفاية ؟

صـــــــوفى : لقد رفضت أن تتردى فى خزى الآخرين .

چيـــــروم : آه ، كــان ينبـغى أن أتكلم . لقــد هربت . إننى رجل ضعيف ، لا يملك سوى شجاعة ضعيفة لا تجدى ..

(فاليه يظهر عند عتبة الحجرة ودون أن يلحظاه ، ينظر إليـهمـا فـى غيرة وحـقد . عندمـا تتحـول عيـونهمـا آليـا ناحيته ، يتراجع إلى داخل الحجرة)

صـــــــوفى : **(فى ود صادق)** إنك لرجل بائس ، ضعيف ، ومن أجل ذلك ...

(تتوقف عن اندفاعها)

چيـــــروم : **(يسحبها من يديها اللتين لم يتركهما)** ومن أجل ذلك ؟ ...

(لا تجيب فيلح)

ومن أجل ذلك ؟.. قولى !.. تشعرين نحوى بشىء من ... من العطف .

صـــــــوفى : **(محرجة ، تفر ثانية)** وذلك ، يا صديقى ، لأنك ضعيف فإن قيمتك ترتفع إذ تخاطر بحياتك . لأنك خاطرت بها . لا تحقر من شأن نفسك ، بالحديث عن الهرب .

چيـــــروم : هذا صحيح . وإننى أعلم أنهم سيطالبوننى بالحساب . فمنذ شهرين مضيا وأنا موضع شك . جميع خطواتى يراقبونها ، وكل أقوالى يسجلونها ، حتى حالات صمتى . إن الوشاة يرصدوننى . إن منهم أصدقاء لنا . ولقد استطعت اليوم بالذات **(وكنت أنتظر حتى أتأكد لكى أخبرك بشكوكى فيه)** استطعت أن أحصل على أدلة بأن العجوز دينى بايو ..

صــــوفى : (**مذعورة**) يا إلهى !

چيـــروم : كل ما نقوله هنا ، ينقله ...

صــــوفى : كـلا ، لا أستطيع أن أصـدق ذلك ! ذلك الكهل ... ذلك الرجل الرقيق الهياب ... وما الدافع ؟

چيـــروم : (**وهو يهز كتفيه**) ليشـترى سلامته ... ثم ، فى عصر كعصرنا ، فإن الخسة تنتشر كالبرص ، فنحن نرى من كرام الناس من يشعرون على حين بغتة بحاجتهم إلى الهبوط والتلوث ...

صــــوفى : (**وهى فريسة الرعب**) چيروم ! لقد كان هنا ! ...

چيـــروم : من ؟ بايو ؟ اليوم ؟

(تشير نعم برأسها ،لا يسمح لها تأثرها البالغ بالكلام)

چيـــروم : ماذا تخشين ، يا صوفى ؟ إننى أعرف حذرك ...

صــــوفى : ... كان هنا ، حينما دخل ...

چيـــروم : حينما دخل ؟...

صــــوفى : محكوم عليه ، يبحث عن مأوى ... فالليه ...

چيـــروم : (**فى صيحة دهشة وفرح**) فالليه ! ... حى ! جاء هنا ! ... صوفى ، هل استقبلته ؟ ألم تغلقى فى وجهه بابنا ؟ أين هو ؟

صــــوفى : ها هو ذا !

(تشير إلى فالليه ، الذى جاء إلى عتبة الباب حين سماع اسمه . ولكى تخفى اضطرابها ، تخرج من باب السلم ، تاركة الرجلين وحدهما ، كما لو كانت تريد أن تراقب المدخل)

المشهد الرابع

چيــــروم : **(يتقدم ناحية فاليه ، باسطا له ذراعيه)** صديقى !

(فاليه لا يتحرك ، بعد توقف قصير ، چيروم يواصل التقدم نحوه)

استطعت أن تهرب ! ... كانوا يقولون ... الحمد لله ! ...

(وصل قرب فاليه ، يريد أن يعانقه ، ولكن فاليه يستدير عائدا إلى حجرة الاستقبال ، يقف على بعد مسافة)

فــاليــه : **(بسخرية باردة)** فلندع الله وشئونه ! إنه لا يهتم بشئوننا ! إن الله مع روبسبيير .

چيــــروم : **(وقد توقف فى اندفاعه العاطفى ، يستطرد بعد صمته)**

فاليه ! إننى أراك من جديد ! ... وسط الهموم والأحزان السوداء التى تجتاحنى اليوم ، يلوح لى أن شعاعا من الشمس دخل معك ...

(يتقدم من جديد بضع خطوات ناحية فاليه وفى هذه المرة يمد إليه يده التى لا يتناولها فاليه)

فــاليــه : **(باللهجة الساخرة الجامدة نفسها)** لا تقترب ! فقد تحترق !

چيــــــروم : **(مأخوذا ، يتراجع خطوة)** فالليه ! أى صـديقى ! ... مـاذا بك ؟ ... ألا تريد أن تصـافح يدى ؟ ... هل تشك فى أمرى ؟ ... إن منزلى لك . وأنا أشكرك لأنك اخترته مأوى لك . هل تشك فى صداقتى ؟ لقد ظلت وفية لك .

فـالليــه : **(بمرارة)** إننى أعـرف هذه الصــداقـات التى سلمَنا وفاؤها قبل عام إلى القتلة .

چيــــــروم : **(محزونا)** فالليه ، الواقع أننى قمت بالقليل جدا ، من أجل الدفـاع عنكم ؛ ولكن **(إننى لا أعتـذر ، أدنِّى إذا شئت !)** ولكنك لا تعمل حسابا لهذا الجو ، مستشفى المجاذيب ، الذى نعيش فيه سجناء ، واستحالة كلمة عقل فيه . إنه وباء . وإن أسلم العقول لتصاب به شيئا فشيئا . أربـع سنوات من التـوتر البـالغ ، من الخطب الجنونيـة ، من الكتـابات المحـمومـة ، من الرعب ، من الشكوك ومن الآلام التى تشبـه آلام المسيح وخيبة الأمـال المريرة ، كل ذلك خلق جوا مشـحونا بالسـموم . إن التـهديد بالموت يفـسـد كل تفكيـر . والإنسـان لا يسـتطيـع دون خطر أن يظل سنوات فوق حد السيف هذا : " الانتصار أو الموت " . إنه يضـرج بالدم ويتمزق غيظا . ومن يحاول إعادته إلى المشـاعر الإنسـانيـة ، تمزقـه أسـنان هـذه النمــور ... وا أسفـاه ، إنهم أصدقاؤك ، يا فالليه ، أعضـاء حزبك ، وأنت معـهم ، الذين كنتم – بإعلانكم الحرب ضد أوروبا

والقاء الدولة في الصراعات الوطنية - أول من أثار الهياج والثوره والغضب الذى راح يلتهمكم .

فاللييه : (**جارحا**) لقد رفضنا التحالف مع الجريمة . أما غيرنا فقد تواطأ معها إبقاءً على حياته .

چيروم : (**مجروحا ، لكن مالكا زمام نفسه**) فوق حياتنا ، توجد منجزات حياتنا : ثورتنا الشابة . وأعداؤها كثيرون ! فعلينا ألا نضيف إليهم أحقادنا ! يجب علينا أن نضحى في سبيلها بكل عواطفنا .

فاللييه : (**بلهجة مهينة**) إن التضحية لا تكلف شيئا أولئك الذين ليست لهم عواطف ، وليس لهم سوى مصالح .

چيروم : (**الذى لا يريد أن يفهم**) إننا لا نتحدث عن هذه الفئة . فلندع النفوس الوضيعة! إن ما بيننا ، أنت وأنا ،لا يمكن أن يكون سوى ما بين الذين يعيشون من أجل الأفكار .

فاللييه : هناك من يموتون من أجلها ، وهناك من يعيشون على حسابها .

چيروم : (**يصيح**) فاللييه ! ... ماذا تريد أن تقول ؟ ... وأخيرا ، ماذا بك ؟ ... كأنك ناقم علىَّ ؟

فاللييه : (**بعد لحظة ، بحقد**) أجل !

چيروم : (**محزونا**) فى هذه الساعة ، التى تتهدد فيها الأخطار حياتك في كل مكان، في باريس الحافلة بأعدائك ، ألا يجدر بك أن تقدم العرفان لرجل يحبك ، لا يشاركك أراءك ، ويحترمها ويود أن ينقذك ؟

فـــاليــــه : (باحتداد) لا ، إننى لا أقدم العرفان ! إن حبك كذب ! أنك لا تحب إلا نفسك. وخلاصك أعمالك الحذرة وحيادك . لعنة الله على الطغاة الذين يقتلون فرنسا ! وسحقا للمحايدين ! ...ألا فاعلم أننى أبغض "روبسبيير" ، ذلك الوحش ، ذلك الطاغية المستبد ، جلاد الجمهورية الذى باع نفسه للنمسا . إننى أتمنى أن تجيء "شارلوك كوردى" أخرى تغتاله عندئذ أقبل الخنجر الذى ينزع قلبه من صدره. ولكن حقدى هذا ليس أقل من حقدى على أهل الحذر والحيطة ، الذين يلزمون الصمت . يلعبون بالجريمة والفضيلة فى مثل هذا الصراع الرهيب، لا يكترثون بشيء ولا يهتمون إلا بدورهم الذى يشبه دور رقاص الساعة ، مستعدين دائما لخدمة هذا على حساب ذلك وخيانته فى اليوم التالى ! ...

چيـــــروم : (متمالكا نفسه ، بالغ الهدوء ، مع ارتجاف فى الأعماق) فاليه ، هذا الكلام لا يوجه إلى مثلى .

فـــاليــــه : (ثائرا) بل إليك !

چيـــــروم : (مذعورا ، يظل لحظة دون أن يجيب) ولكن إذا كنت تبغضنى إلى هذا الحد، فلماذا جئت فى منزلى تبحث لك عن مأوى ؟

(فـــاليــه لا يجيب ، ولكن نظرته تذهب من فوق كورفوازييه ناحية باب السلم الذى يفتح من جديد : صوفى تعود ، يتعلق بها بواسطة إشعاع عاطفى . چيروم يلاحظ التغير المفاجئ فى تعبير وجهه . وعندما يلتفت ليبحث عن سببه، يرى زوجته مقبلة نحوه)

المشهد الخامس

صـــــوفـي : **(فريسة لانفعال حاد ، أغلقت الباب وتسرع ناحية چيروم)**
إنهم قادمون !إنهم قادمون ! ... چيروم ! ... لقد ضاع ! ...
(چيروم يلاحظ عينى فاالليه ، الذى لا يبدو عليه أى تأثر لكلام صوفى ، والذى لا يخفى ابتهاجه إذ رآها ، ثم يلتفت ناحية صوفى ويفحص اضطرابها. ويصرفه ذلك عن الاهتمام بمعنى ما تقول)

صـــــوفـي : **(تجذب ذراعه)** أسرع ! أسرع ! يا چيروم ! ... ألا تسمعنى ؟

چيـــــروم : من القادم ؟ ماذا رأيت ؟

صـــــوفـي : الشارع مقلوب . فرق من الرجال المسلحين يذهبون من منزل إلى آخر . وبابنا عليه حرس ... تعال ، انظر !
(تقود چيروم إلى النافذة اليمنى التى تحجبها ستائر سميكة . ترفع جانبا من الستار فيميل چيروم لكى يرى . فاالليه يتبعهما ولكنه لا ينظر إلا إلى صوفى)

چيـــــروم : يقومون فى الحى بزيارات للمنازل .

صـــــوفـي : هل تعتقد أن هذا الرجل قد أبلغ عنا ؟

چيـــــروم : من ؟ دينى بايو ؟ ... كـلا ... على الأقل ، ليس بعـد . إن الأمر فى هـذه الساعـة يتـعلق بإجـراء عـام ، لا يخـصنا نحن فـقط ... انظرى إلى هذه الفـرقـة التى تدخل المنزل المواجه ... هذا بالطبع أمر تفتيش نظامى ، أصدرته لجنة مراقبة القسم ... جميع المنازل تفتش . ولكن قد يحدث ، بعد حوادث اليوم ، أن يفتش منزلنا بنوع خاص .

صـــــوفى : (**مضطربة**) اهرب ، يا كلود !

چيـــــروم : كلود ؟ ... آه ! أجل ، فاليه ... الهرب مستحيل ... انظرى فى آخـر الشـارع ، إن الحـاجـز مـقـفل ، مـوظـف واقف هناك . لا أحد يستطيع الخروج قبل أن يتم التفـتيش ... إنهم يقومون بالتفتيش صفا صفا . بعد المنزل المواجه ، يأتى دور منزلنا . أمامنا ربع ساعة .

صـــــوفى : (**تفقد شيئا فشيئا السيطرة على نفسها**) چيروم ، يجب إنقاذه !

چيـــــروم : (**لا يزال هادئا**) عـزيزتى . إن حـياتنا جـمـيـعا مـهـددة أيضا .

صـــــوفى : (**متحمسة**) ولكن هو ، إذا وجدوه فقد هلك !

چيـــــروم : ليس وضعك أحسن من وضعه ، إذا وجدوه هنا .

صـــــوفى : (**مدفوعة بعاطفتها**) إننى لا أهتم بحياتى ، بشرط أن أنقذ حياته .

فـــاليـــه : (**عيناه مشعتان**) لم أعد أخشى شيئا ، الآن وقد بلغت هدفى .

صـــــــوفـي : كلا ، الهدف هو أن تعيش . لا أريد أن تموت !

فـــاليـــه : نحيا أو نموت معا !

صـــــــوفـى : (**بعاطفة**) نحيا ! ...

فـــاليـــه : (**يفيض سرورا**) سنحيا ! ...

(لقد نسيا كل شىء ، كل ما حولهما ، الخطر و چيروم الذى يتأملهما ، وكلاهما ، يده في يد الآخر وعيناه فى عينيه)

چيـــــروم : (**بعد صمت ، ببرود بالغ**) إن الدقائق معدودة وإذا أردتما الحياة فلا تفقدا الوقت ، ولو أننى أرى أنكما تستفيدان كثيرا من الوقت .

(عند سماع هذه الكلمات ، تفيق صوفى ، تترك يد فاليه الذى يتراجع من ناحيته وتلتفت ناحية چيروم – لكن دون أن تجرؤ على النظر إليه مواجهة – عيناها مليئتان بالاضطراب)

صوفى ، أنت تعلمين أن فى نهاية هذه الحجرة (**يشير إلى الحجرة اليسرى قرب الدرابزين**) داخل جدار القبو ، فى الخلوة الخشبية التى صنعتها بنفسى لأضع فيها الوثائق التى لا يخلو وقوعها فى جميع الأيدى من خطر . يوجد مكان لإنسان وهو متمدد . أدخلى فيه فاليه ، وأغلقى عليه الجدار بعناية ، والغطاء . إذا اقتصر التفتيش – كما هى العادة – على مجرد زيارة عامة للقسم ، فسيمرون فقط ، وتكون لدينا فرصة للهرب .

صـــــوفـي : تعال ! فلنسرع يا فالليه !

چيــــــروم : انتظرا ! ... يجب أن نتوقع كل شيء . إذا كان التفتيش بأمر صادر من لجنة الأمن ، وإذا كان ذلك الرجل - بايو هذا - قد أبلغ عنا ، فلا ركن ، ولا جدار سيترك بلا تفتيش . عندئذ لا شيء يمكن عمله . شيء واحد يبقى أمامنا ... خذا .

(من ثنية في رباط عنقه العريض ، يخرج كيسا صغيرا يفتحه ويقسّم ما فيه) هذا السم أكيد المفعول . لقد أتاني من " كاباني " ... هذا نصيبك يا فالليه وهذا نصيبك يا صوفي ... وأنا أحتفظ بنصيبي ... اذهبا !

(صوفي متأثرة ، فالليه مضطرب ، كلاهما نهب لعواطف متناقضة ، ينظران إلى چيروم الذي لا ينظر إليهما ويذهب ناحية النافذة . يخرجان من باب الحجرة ، إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد السادس

(چيروم دى كورفوازييه يلتفت ، ثم ، وعيناه مثبتتان على الباب الذى خرجا منه ، يعود ببطء إلى وسط المسرح)

چيـــــروم : **(بسخرية مريرة)** إنهما عاشقان . إلى أى هياج عنيف دفعت الغيرة وقرب الموت بأعز أصدقائى ! إنه قد لا يتردد فى قتلى لكى يسلبنى زوجتى ... أما هى ،التى كنت قبل برهة وجيزة أفضى إليها بشقائى ، فقد كانت شريكته فى الجرم ، وربما كانت تنذر النذور من أجل موتى ... ولم لا ؟ إننى العقبة التى تقف فى طريق هنائهما ! إيه حسن ، فلتطب نفساهما ! لن أظل طويلا أمثل هذه العقبة ... إننى لا أحب أن أرغم على احتجاز شخص للبقاء معى وهو يتوق إلى التخلص منى . كذلك لم أعد أحب أن أستمر مقيدا إلى هذه البشرية الوضيعة ... الوضيعة ؟ كلا السخيفة . إنها حتى لا تستحق الاحتقار ... كائن واحد كان لا يزال يمنحنى سببا للإيمان بها . ولقد انتزعها منى ... حسن ... إذا كان هذان التعيسان لا يزالان يجدان لذة فى الحياة ، فهنيئا لهما ! أما أنا ، فإننى أهب حياتى ...

(يذهب إلى مكتبه ، ومن مجلد كبير ، يسحب مخطوطات مخبأة تحت الغلاف الجلدى)

فى هذه الأوراق التى تدينهم سيعثر الجلادون على قرار إدانتى جاهزًا .

(يضع المخطوطات ظاهرة فوق المنضدة ، وسط حجرة الاستقبال)

(ثم يعود إلى النافذة المطلة على الشارع وينظر إلى الخارج)

يخرجون من المنزل الآخر .. يعبرون الشارع .. يدخلون .. وأنا مستعد .

المشهد السابع

(تسمع مجموعة من الرجال تصعد السلم فى ثقل ،
طرقات عنيفة على الباب.
چيروم ، دون عجلة ، يذهب ليفتح . يدخل مندوب وعشرة رجال مسلحين .
ملابس المندوب : " بنطلون واسع من الصوف الأسود ، سترة قصيرة مثله ، صديرية ذات ثلاثة ألوان ، باروكة يعقوبية ذات شعر قصير أسود مرسل ، قبعة حمراء ، سيف ، شاريان ضخمان "
" الرجال ليس عليهم سوى قطع من هذا الزى . كثيرون منهم دون سترة ولا صديرية ، يلبسون الصنادل ، يتسلحون بالحراب)

كرابار : لجنة الأمن ! ...

چيروم : تفضلوا !... أهذا أنت ، أيها المواطن كرابار ؟

كرابار : **(منذ البداية ، يبدى عداءه)** لم تكن تتوقع ذلك ؟

چيروم : **(بهدوء وازدراء)** إننى أتوقع كل شيء .

كرابار : **(ساخرا ومهددا)** أترى ، كيف نتلاقى ، هيه ؟

چيــــــروم : (**بهدوء وازدراء**) خاصة حينما يكون أحدنا (**ليس أنا !**) يبحث عن الآخر.

كــــــرابار : لم تخطئ أبدا ... ولكننى لم آت لكى أجـفف حلقى فى الكلام .

هل رأسك مثبت جيدا ؟

چيــــــروم : عليك أنت أن تتأكد من ذلك !

كــــــرابار : (**مخاطبا الآخرين**) هيا (**يصفر وكأنه يصفر لكلاب**)

ابحث ! ابحث !

انهب !

چيــــــروم : هذه هى الكلمة . لقد قلتها بالضبط .

كــــــرابار : ... الذى يضحك فى النهاية هو الرابح .

(الرجال يبدءون فى تفتيش الأثاث بفلظة ، ينزعون الأدراج ، يقلبونها رأسا على عقب فوق الأرضية ، ينثرون الأوراق . على الصوت ، صوفى تقبل من الحجرة المجاورة . تقترب من چيروم الذى يقف ثابتا وسط الحجرة ، موليا ظهره للمقتحمين)

چيــــــروم : (**دون أن يتحرك ، ودون أن يفتح فمه تقريبا**) خلاص ؟

صــــــوفى : (**تشير برأسها ، نعم ، دون أن تتكلم . ثم ، بصوت خفيض**)

هل هناك أمل ؟

چيــــــروم : (**بصوت خفيض**) أبدا .

صــــــوفى : (**بصوت خفيض**) من هذا ؟

چيـــــروم : **(بصوت خفيض)** كرابار . أفَّاق أمرت بالقبض عليه ، قبل عامين ، في الحي العربي ، بوصفه بائع فضة .

كـــــرابار : **(مخاطبا أحد الرجال)** تيموليون ، نظف المدفأة !

(الرجل يغرس حربته داخل المدفأة ويحركها بقوة)

قليل من القش المبلل ! ... " دوسان " ، أشعل هنا ، فإذا كان الثعلب بالداخل فسنسمع سعاله !

صـــــوفي : **(بصوت خفيض إلى چيروم)** هل يعرفون ؟

(چيروم يهز كتفيه)

كـــــرابار : **(مخاطبا رجاله)** فتشوا ! فتشوا !

چيـــــروم : **(مخاطبا كرابار)** ارحم على الأقل هذه التحف الفنية الهشة !

(أحد الرجال بعد أن سبر أغوار الجدران بحربته ، يغرسها في إحدى اللوحات الكبيرة)

(صوفي تطلق صرخة)

كـــــرابار : **(يهرول ناحية الرجل)** ها ! ها ! ... اغرسها مرة أخرى ! ...

(الرجل يغرس حربته في اللوحة من جديد)

هل تشعر بشيء ، خلفها ؟ ... أبدا ...

(يلتفت إلى صوفي)

لماذا صرخت ؟

صوفي **(تتأمله بازدراء)**

كـــــرابار : **(هائجا)** لا تتفضلين بالرد علي ؟ ... إنها تنظر إليك كالكلب ... أعوذ بالله!

... أيتها المواطنة ، سنرى إذا كنت تخفين شيئا تحت لوحتك ... ليس هذه ... بل جلدك ... سنبحث بداخلك عن البراغيث ...

(چيروم يأتى حركة ليدفع كرابار . كرابار ينحيه . يدفعه)

أما أنت ، أيها العجوز . فالزم مكانك ! ... انتظر حتى يحين دورك . إن لدى أمرا بتفتيش كل شيء ... وإننى أفتش ... ولكننا ندرك واجبنا بالنسبة لعفة الجنس الآخر ... لسنا نحن أيتها المواطنة ، الذين سننقب بين مفاتنك ... "بودان" ! **(يصيح)** ... أين تلك المرأة ؟ ... بودان !

(تظهر عند باب السلم ، بودان ، فتاة مسدلة الشعر، ذات وجه متورد وصدر ضخم)

هل كنت منهمكة فى إغراء شاب من المغرورين ؟ إياك أن أضبطك ! ... تقدمى ! اصطحبى هذه الكتكوتة إلى الحجرة المجاورة وانظرى إذا كان هناك مهاجر تحت قميصها !

(يضحكون . صوفى تأتى حركة تمرد ، ولكنها تلقى نظرة على باب الحجرة التى أغلقتها دون فاليه ، وتذهب إلى الحجرة الأخرى ، قرب الحديقة ، تتبعها بودان)

چيـــــروم : **(يحدث نفسه)** آه ! كالعادة ، سيبحثون فى كل الأماكن التى لا يوجد فيها شيء يمكن العثور عليه ، ولكن يجب إرغامهم على النظر إلى ما تحت أعينهم . **(يقترب من المنضدة التى فى وسط الحجرة ، حيث لا تزال ظاهرة**

للعيان الأوراق التى تركها دون أن يفكر أحد الرجال فى النظر إليها . يتصرف بطريقة تجنب انتباه كرابار فيجنب الأوراق ، كما لو كان يريد أن يخفيها)

كـــــرابار : (**منقضا عليه**) مكانك ! ... ناولنى هذا ! ناولنى هذا ! ...

(ينتزع منه الأوراق ، يتصفحها بسرعة ويقرأ :)

" بحث فى العبودية " ... الجمهورية المستعبدة " ...

إننى أحتفظ بذلك !

(يلوّح له بالأوراق تحت أنفه)

لابد وأنه يخفي غيرها ... " تافتا " أمسك يديه ! " فاشار " أخرج ما فى جيوبه !

(رجل يمسك بقبضة چيروم ، وهما خلفه ، بينما الآخر يفتشه ، تحت نظر كرابار)

كـــــرابار : رأسك فى يدى ، رأس الخنزير !

چيـــــروم : (**بازدراء غير مكترث**) كله !

(يدخل لازار كارنو فى ثياب عضو من لجنة الخلاص العامة . طويل ، ذو عينين زرقاوين ، جبهة عريضة ، كثيف الحاجبين ، خشن ، متغطرس ، متهكم)

المشهد الثامن

كـــــارنو : (**يتوقف لحظة عند العتبة ، ينظر بدهشة ، يتبين الأمر ، ويصيح بصوت مدو :**) أيها الأغبياء ، ماذا تفعلون هنا ؟

(الرجال يلتفتون ناحية الباب)

الرجـــــال : كارنو ! ... كارنو عضو اللجنة العليا !

كـــــارنو : (**بخطى واسعة أقبل ناحية كرابار ، فينحيه بغلظة ، ينتزع چيروم من الأيدى التى تمسك به**) " جان فوتر " اتركه .

كـــــرابار : (**ثائرا**) لقد جئت بناء على أمر !

كـــــارنو : وأنا ، أعطيه .

كـــــربار : إن واجبى أن أفتش .

كـــــارنو : إن واجبك أن تحترم المحترمين . دع هذا الرجل !

كـــــرابار : أهناك امتيازات بالنسبة لأعداء الجمهورية ؟

كـــــارنو : أيها الغبى ! إن الجمهورية تدين لهذا الرأس بأكثر مما تدين لمائة رأس حمار من نوعك . إن اكتشافاته هى التى أمدت جيوش الثورة بالأجهزة المدمرة التى جعلتها تنتصر فى معركة واتينى .

كــــــرابار : إن الانتصار ليس شهادة في الوطنية . إنني لا أطمئن إلى النسور .

كــــــارنو : هل ترى أنهم يحلقون أعلى من اللازم ؟

كــــــرابار : إنهم يتجاوزون الحدود . فلننزع أجنحتهم ! كلهم سواء !

كــــــارنو : كلهم ضفادع ! **(رجال كرابار يضحكون)** يا كرابار ، وإلى أن ينزل العالم إلى مستواك ، فإن الجمهورية في حاجة إلى قادة . وأنا واحد منهم ، اترك هذا المكان .

كــــــرابار : سأرحل ، إذا تراءى لي ذلك . إنك لست السيد ، هنا . إنني ممثل لجنة الأمن ، ولا أسمح أبدا بالسخرية ...

كــــــارنو : إن لجنة الأمن ليس من عادتها أن تمزح . الويل لمن يقاوم أوامرها !

كــــــرابار : حسن . سأرحل ، لأنني أريد ذلك . ولكن لجنة الأمن ستعلم . وإذا كانت رأسي أنا في يديك ، فإنني أقبض على رأس الآخر .

(يلوح بالأوراق التي أخذها من جيروم ، ويخرج مع رجاله وتلحق بهم بودان)

(جيروم وكارنو يبقيان وحدهما)

المشهد التاسع

كـــــارنو : ماذا أخذ ؟

چيـــــروم : قرار الاتهام .

كـــــارنو : بوصفك متهَما أو متهِما ؟

چيـــــروم : الاثنان ، أتهم في هذه الأوراق مفاسد الدستور ، والطغاة الذين يستغلونه .

كـــــارنو : إنك ترجم السماء . الحجر يسقط فوق رأسك .

چيـــــروم : أنا أعلم ذلك . إن الحقيقة قاتلة .

كـــــارنو : كورفوازييه ، إن الوقت يمضي بسرعة . كنت أعلم ذلك ، وأنا في طريقي إلى هنا . لكن الأمور تمضي أسرع مما قدرت لها . فلم أكن أتصور أنني سأجد هنا الوشاة والجواسيس .

چيـــــروم : إذن ، أليست لجنة الخلاص العامة هي التي أرسلتهم ؟

كـــــارنو : إن لجنة الخلاص العامة ليست في حاجة إلى جواسيس . يكفيها أصدقاؤك . .

چيـــــروم : هل تكلم ديني بايو ؟

كـــــارنو : نعم .

چيـــــــروم : ليس لدى إذن ما أخبرك به .

كـــــــارنو : إنك تخفى هنا أحد كلاب الجيروند .

چيـــــروم : تنتظر منى أن أسلمه ؟

كـــــــارنو : كلا . بل ألق به فى الخارج ! وليلق حتفه فى مكان آخر ! إننى لم أحضر لأحدثك عنه . فحيثما كان هذا الشقى ، وحيثما ذهب ، فإن حياته لا قيمة لها فى هذه الساعة . لقد جئت لأحدثك عن نفسك .

جـــيـــروم : ماذا تريد ؟

كـــــــارنو : كورفوازييه ، أنت تعلم أنك جعلت نفسك موضع شبهة ولم يبدأ ذلك اليوم فقط . فإن موقفك المثير للشك قبل عدة شهور ، واستنكارك الصامت لتصرفات اللجنة ، وامتناعك عن التصويت ، جعل منك عدوا . لم يجدوا مشقة فى استشفاف مشاعرك الخفية . إن ما استطاع أن ينقذك إنما هى الخدمات التى أسديتها للوطن وتدخل " بريور " و " جان بون " وأنا ، نحن الراغبين فى إنقاذ رأسك من أجل الدفاع الوطنى . ولكن اليوم ، قد فاض الكيل. إن ما أثارته أقوالك الطائشة فى جلسة المجلس ، وخروجك المتعجل قد فجر غيظ اللجنة . فلقد وقع هناك منذ قليل مشهد عنيف . والموقف أصبح فوق طاقتنا . إن الأغلبية تريد التخلص من المقاومة التى تلزم الصمت ، وهى أكثر خطرا من التى تتكلم . وهم يخيرونك : فإما أن تؤيد صراحة القرارات الجديدة ضد المحكوم عليهم ،

وإما أن تلحق بهم . ولقد جئت لكي أبلغك بأن تذهب هذا المساء ، إلى المجلس وتصعد المنصة وتعلن تأييدك للقرارات . هذا هو الشرط الذي وضعوه لنجاتك .

چيــــــروم : (بهدوء) وأنا أرفضه : أنا أعلم أني أثير الشك منذ عام مضى . واليوم أيضا ، أبديت اضطرابا لم يكن جديرا بي . ولكن منذ ذلك الحين فإن ظروفا معينة ، لا فائدة من ذكرها ، أعادت إلى وضوح الرؤية واطمئنان النفس . وسأكون سعيدا في النهاية أن أمارس مسئولياتي .

كـــــارنو : وما هي ؟

چيــــــروم : سأندد بالأحكام الجائرة وبدكتاتورية الدماء .

كـــــارنو : لن تفعل ذلك أبدا . إنك لا تملك الحق في ذلك ، ولا القدرة أيضا .

چيــــــروم : إنني أملك حق ضميري ، والقدرة على أن أضحي بنفسي من أجله .

كـــــارنو : أيها المجنون ، إنك لا تدرك إطلاقا أننا لا نستطيع في هذه الساعة أن نهاجم اللجنة ، دون أن نهدم ما أنجزناه وهو الجمهورية .

چيــــــروم : إن إنجازاتنا كانت إقامة حقوق الإنسان الحر .

كـــــارنو : لكي يكون الإنسان حرا ، يجب أولا أن نحميه من أولئك الذين يستعبدونه .

إن حقوق الفرد لا تُعدُّ شيئا دون قوة الدولة .

چيــــــروم : إنها لا تعد شيئا إذا ضحينا بها في سبيل قوة الدولة .

كـــــــارنو : إنها ليست شيئا الآن . ولكنها ستكون . فلنتعلم كيف نضحى بالحاضر فى سبيل المستقبل .

چيـــــــروم : إننا إذْ نضحى فى سبيل المستقبل بالحقيقة ، والحب ، وكل فضائل الإنسان ، واحترام الذات ، فإننا نضحى بالمستقبل . إن العدالة لا تنبت فى تربة الرذيلة .

كـــــــارنو : لنتكلم بصراحة ، يا كورفوازييه ! نحن رجال علم . وكلانا يعلم قسوة قوانين الطبيعة . فهى لا تهتم بالعاطفة على الإطلاق . وفضائل الإنسان تركلها بقدميها ، لكى تحقق غاياتها . إن الفضيلة هى الغاية ، وأنا أريد الغاية . أيا كان الثمن الذى أدفعه فى سبيلها . وهذا الثمن لست أنا الذى وضعته . ولكننى أقبله . إننى أتقزز ، مثلك ، وربما أكثر منك ، من هؤلاء الرجال ، أهل الدهاء والدماء . وأكثر منك ، يتحتم علىَّ أن أعيش معهم جنبا إلى جنب . إننى أتقزز من ألوان العنف التى يطلبون منى أن أوقع عليها كل يوم . لكننى لا أظننى قادرا على رفضها والهرب من المعركة ، لأنها تلوث يدى . فإننى أضع فى الحسبان هدف المعركة التى نخوضها . إن تقدم الإنسانية يستحق منا بعض القذارات – وإذا لزم الأمر ، بعض الجرائم .

چيـــــــروم : إننى أفهمك يا كارنو . فأنا لا أهاجم فيك خلوك من الشفقة . لأن العلم ، كما قلت أنت ، لا يهتم بالشفقة . وأنا مثلك ، لا أثق بالعاطفية . ولكننى لا أثق أيضا

بالأيدولوجيات . ولما كنت أكبر منك سنا ، فإننى لم أعد أؤمن مثلك بالتقدم البشرى . إننى رجل علم إلى درجة لا أستطيع معها أن أؤمن دون تحفظات بإحدى نظرياتنا (**لأن الأمر لا يعدو أكثر من ذلك**) ومهما بلغ إطراؤها لعبقرية الإنسان وأمله الحار ، فإننى لن أجعل منها فى حياتى إله فوق هيكل ، يتغذى على رائحة دماء القرابين . فما من شيء مقدس فى نظرى سوى الحياة ، الحياة الحاضرة .

كـــــارنو : وتسلمهم حياتك ؟

جـــيـــروم : إننى أرفض ، فى سبيلها ، تسليم حياة الآخرين .

كـــــارنو : إن حياتهم ، على أية حال ، ضائعة .

چيــــروم : أما حياتى فليست كذلك على الإطلاق ، إذا كانت تضع فى مواجهة عصر دنىء حافل بالجبناء والطغاة ، روحا طاهرة حرة .

كـــــارنو : إننى لا أكترث لروحك ! لكننى أتمسك بحياتك . إننى فى حاجة إلى عقلك .

كورفوازييه ، إننا فى حاجة إلى نشاطك ، إلى عبقريتك . إن الدولة تطالب بهما . وأنت مجند . وليس من حقك الهروب . إنك تسلب الأمة ثمارا هى من حقها .

چيــــروم : إننى آسف لقطع سلسلة الأعمال التى بدأتها . إن حب الحقيقة هو الوحيد الذى لا يخدع . إن البحث الصبور المخلص فى سبيلها هو العرض الوحيد الذى يمكن أن

يدوم . ولكننا تعلمنا ، في هذه السنين الأخيرة ، أن علينا دائما أن نكون على استعداد ، بين يوم وليلة ، لأن نزهد في كل ما نملك : الثروة ، والشرف ، والسعادة ، والحب ، والعمل ، والحياة . وأنا على استعداد .

كـارنو : أيها الأناني ! إنك لا تفكر إلا في نفسك ، وأنت تهب نفسك ! ... أنا أيضا مستعد بالنسبة لنفسي . ولكنني لست كذلك بالنسبة لك . إنني لن أذعن لذلك .
كورفوازييه ! ... باسم الاحترام القديم والمشاركة في العمل الذين يربطان بيننا ! ... اقبل شروط الخلاص والنجاة التي أحملها إليك .

چيروم : لا أستطيع .
(يبتعد)

كـارنو : **(يهز كتفيه)** كلام نظريات ! ... غباء وعناد !
(ينتظر لحظة ، ثم يتقدم بضع خطوات نحو چيروم ، ويقدم إليه أوراقا)
خذ ! أمسك !

چيروم : **(يتناول الأوراق)** ما هذا ؟

كـارنو : كنت متأكداً من ذلك مقدما ! إنني أعرف عناد علماء الرياضة ... هيا ، ضعها في جيبك ! ... جوازان للسفر ! باسمين مستعارين ، لك ولزوجك . ولكن ليس هناك يوم واحد يمكن تضييعه ! غادر باريس هذا المساء ! في

الحال ، إذا أمكن . إن مكانيكما محجوزان في العربة العامة ، من باريس إلى ديجون، ومن هناك إلى سان كلود . وداعا . لا يجب أن يراكما أى إنسان بعد الآن ! .

چيـــــروم : (**متأثرا**) كارنو ! ... (**يشد على يده**) ... ولكن فيم يفيد الهروب ؟ سيقبض علينا في الحال ... هل نفلت من مخبرى اللجنة وحقد روبسبيير ؟

كــــارنو : إنه على علم بالموضوع .

چيـــروم : من ؟ هو ؟

كــــارنو : المنزه عن الهوى والفساد . أجل . إن المبادرة جاءت من جانبى . ولكن على الرغم من أنه تظاهر بجهله التام ، فإننى جئت بموافقته الصامتة . إن موتك يحزننا يا كورفوازييه . إن الجمهورية لا تحب أن تحمل جثتك فوق ذراعيها . إنها بالغة الثقل . اخدمنا واحملها عنا ! إن اللجنة تغمض عينيها . ولكن لا ترغمنا على إعادة فتحهما ! لا تعرض نفسك للخطر ! فلن يغفروا لك ذلك أبدا .

(يخرج)

المشهد العاشر

(چيروم دى كورفوازييه يجلس إلى مكتبه مفكرا . باب حجرة صوفى يفتح بحيطة ، صوفى تظهر . تنظر إلى الحجرة الخالية وزوجها الذى يوليها ظهره)

صـــــوفـى : **(بصوت خفيض)** انصرفوا ؟

چيـــــروم : **(دون أن يلتفت)** نعـم .

صـــــوفـى : وماذا قال لك كارنو ؟

چيـــــروم : لا شيء . **(يلتفت)** لا نضيع دقائقنا فى كلام لا يفيد ! فهى محسوبة علينا .

لننظر مـاذا يجـب أن نقـول . اقـتربى يا صــوفى . إن ما سنتحدث فيه الآن لا يجب أن يسمعه رجل الجانب الآخر . **(يشير إلى الباب الذى خرج منه فالليه)** هذا الرجل أنت تحبينه ... لا تردِّى ! إننى أعرف . إن صراحتك أكبر من قدرتك على إخفاء ذلك . **(بعد برهة)** مع أنها كانت ضئيلة جدا لأنك لم تعترفى لى بهذا الحب **(تأتى من جديد حركة ، يوقفها)** ولكننى لا ألومك على شيء . فإذا كنت لم تستطيعى ذلك فإن أية امـرأة ، مكانك ،

ما كانت لتستطيع . لأننى أعرف إخلاصك وضعف القلب . إننى أرثى لك .

(صوفى واقفة أمام چيروم الجالس ، ويداها ملتصقتان بجسمها تطأطئ رأسها عند سماع هذه الكلمات الأخيرة ، كالمحطمة)

چيروم : **(يتأملها بابتسامة حزينة)** كم تحبينه !

صوفى : **(مطأطئة الرأس)** إننى أحبهُ .

(صمت قصير)

اغفر لى !

چيروم : أنت حرة .

صوفى : **(ترفع رأسها ، تمد يديها إلى چيروم)** چيروم ! أخبرنى ... ما العمل ؟

چيروم : ليس لى أن أجيبك . كل فرد يقضى فى أمر نفسه . كل يجيب لنفسه .

صوفى : ولكنك سوف تحتقرنى !

چيروم : كلا . إننى لا أشعر بحقد ولا باحتقار لأى شىء . الخطأ ليس خطأ أحد .

الخطأ هو خطأ الحياة .

صوفى : **(ويداها ممدودتان نحوه)** ولكن أنت ، أنت سوف تتألم .

چيروم : كلا . فى مثل سنى ، فى هذا الوقت ، لن يكون لدى الوقت ، لن يكون لدى الوقت . لا تفكرى إلا فى أمر نفسك ! اهنئى ، إن استطعت ذلك .

صـــــوفـي : (بيأس) چيروم !

(واقفة ، مستنده إلى حاجز المدفئة ، تنتحب ، ووجهها بين يديها . چيروم متـأثرًا ، ينهض ، يذهب إليـها ، ينحنى بطريقة أبوية)

صـــــوفـي : **(رافعة وجهها المغطى بالدموع)** وا أسفاه ! لقد أحب كل منا الآخر . فلماذا يمضي الحب ؟ لماذا يتغير الحب ؟ ... آسفة ! إنني أجرحك مرة أخرى ... أى صديقي ، إننى لم أكف عن الاحتفاظ لك بأصدق الود . وبدلاً من أن أسبب لك اليوم شقاء ، كان أحرى بى أن أتحمل وألزم الصمت حتي الموت ... ولكن العاطفة ، كالريح العاصفة ، أقبلت وفتحت الأبواب . استولت علي ، وساقتنى . ماذا أصنع ؟ قل لي ماذا بوسعي أن أصنع ؟ هل بوسعي مقاومتها؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل هذا جميل ؟ هل هذا في مقدورنا نحن البشر ؟

(چيروم ينظر إليها برثاء . يبتسم لها ، في شفقة . ثم ، يتناول من فوق المكتب جوازى السفر ، اللذين تركهما كارنو ، ويقدمهما إليها)

(صوفي تأخذهما بطريقة آلية ، وتنظر إليهما ، دون أن تفهم)

چــيـــروم : سترحلان ، أنتما الاثنان ، هذا المساء . هذه الأوراق تفتح لكما أبواب باريس وطرق فرنسا حتى الحدود السويسرية. لقد عمل حساب كل شيء . التأشيرات سليمة ، والأماكن محجوزة . سيكون من السهل عليكما

أن تجعلا ملابسكما وملامحكما مطابقة للمواصفات المدونة . اذهبي وأخبري فاليه ، استعدا بسرعة ! لا ينبغي أن يأتي هذا المساء وهو مازال هنا. اذهبي ! أنقذى حياته، وأنقذى سعادتك !

صوفى : **(وهي فريسة لاضطراب بالغ)** صديقي ! ... هل تريد ذلك ؟ هل تريد ذلك؟

... كلا ! هذا مستحيل .

چيروم : **(هادئا)** يجب إنقاذ فاليه . ألا تريدين ذلك ؟

صوفى : **(متأثرة)** بلى أريد ذلك .

چيروم : اذهبي إذن بصحبته ! فإنه لن يرحل بمفرده . ولا ينبغي لك ذلك . إنني أعهد بكل منكما إلى الآخر . لا تتأخرا ! ارحلا !

صوفى : **(تنحنى أمام چيروم دى كورفوازييه ، تأخذ يده وتقبلها . چيروم يريد تخليص يده . صوفى تنتصب ، ولكن دون أن تترك يد زوجها ، يلبثان واقفين ، كل فى مواجهة الآخر ، وكل منهما ينظر إلى الآخر)**

أنت إنسان طيب ! ... ولا أستطيع أن أقبل ذلك .

چيروم : تستطيعين ذلك صراحة ، كل شيء بيننا صريح .

صوفى : لا أستطيع أن أتركك .

چيروم : لقد تركنى قلبك . صوفى ، لا نحاول أن نخادع أنفسنا ! إن قلبك مع الآخر .

صوفى : ما أشد ألمى إذ أتصور أن هذا القلب ، كنت قد وهبته لك ، وأننى أستعيده منك اليوم ! ... إنى لا أريد ! ... يا لألمى !

إن قلبي ليس ملكا لي ! ... كل شيء يفر مني ، حتى نفسي ! ... إنني أشعر بوطأة مرور الزمن . بالأمس كنت لك ، كنت قد وعدتك بأن أحمل أتراحك وأفراحك حتى النهاية . ثم أتخلى عنك ، وسط الطريق ، لكي آخذ على كاهلي عبء حب يبدأ من جديد؟ ... آه ! ما دام يبدأ ، فسينتهي أيضا ! ... هل سيتوافر لي من الإيمان ما يكفي لكي أقيم حياة جديدة ؟ أين أجد ثقتي في نفسي وفي الحياة ؟ ما أشد ألمي !...

چيـــــروم : إن الحياة ، التي تموت كل مساء وتبعث كل صباح ، سرعان ما ستقدم لك النسيان والأمل . لا تفكري بعد ذلك ! إن الوقت يمضي حثيثا .

(يدفع صوفي برقة ناحية باب الحجرة التي أغلقت على فاليه . يضع لها جوازي السفر في يدها)

صـــــوفي : **(التي أخذت الجوازين وتنظر إليهما آليا . وراحت في تفكير عميق)**

ولكن هذين الجوازين ، كيف حصلت عليهما ؟

چيـــــروم : ما أهمية ذلك ؟

صـــــوفي : من أين حصلت عليهما ؟

چيـــــروم : كارنو أعطاهما لي .

صـــــوفي لماذا ؟ ... لماذا أعطاهما لك ؟ إنهما من أجلك ، أنت وأنا . لنا نحن الاثنين. كان علينا إذن أن نرحل ؟ ... هناك خطر يتهددك ! ... أنت في خطر ! ...

چيـــــروم : **(محاولا تغيير مجرى تفكيرها)** كلا ، كلا ... لا خطر على الإطلاق .

صـــــوفى : إذا لم يكن هناك خطر فلماذا جاء يحمل إليك وسائل هروبنا ؟

چيـــــروم : هيا ؟ لا تكونى مجنونة ! لا تختلقى هموما لا وجود لها ! كفانا همومنا الحقيقية . لا تفكرى إلا فى إنقاذ من تحبين !

صـــــوفى : من أحب ؟ ... كورفوازييه ، إننى أحمل اسمك ، إننى لازلت زوجتك . وإلى أن يفصم الرباط الذى يربطنا ، فإننى أطالب بحقى ، حقى كزوجة ، والقانون الذى احترمناه فيما بيننا دائما كالحقيقة المطلقة ... أنت مدين لى به . تكلم ولا تخف شيئا .

چيـــــروم : **(بعد صمت قصير)** لقد أبلغ عنا . لقد سلمنا بايو . إنهم يعلمون من نخفى عندنا . وسيأتون فى الليل للقبض على فالليه .

صـــــوفى : وعليك .

چيـــــروم : إن صداقة كارنو ستكون كفيلة بحمايتى . كفى كلاما ! استعدى للرحيل !

ارتدى ملابس ثقيلة . اجمعى الحاجيات التى لا يمكن الاستغناء عنها . إننى ذاهب لآتى بفالليه .

(يهم بفتح الباب ، عندما يظهر فالليه ، زائغا ، وملابسه فى فوضى)

المشهد الحادى عشر

فـــاليـــه : **(يلقى نظرة حوله)** انصرفوا ؟

چيـــــروم : نعم . لكنهم سيعودون .

فـــاليـــه : **(قلقا)** متى ؟

چيـــــروم : لست أدرى .

فـــاليـــه : **(يجوب الحجرة ، بخطى واسعة قلقة ، ينظر من النافذة ، ينصت للباب ، دون أن يكف عن السير)** أين الفرار ؟ أين الملجأ ؟

چيـــــروم : أريد أن أتحدث إليك .

فـــاليـــه : **(الأداء نفسه دون أن ينصت)** لن أعود أبدا إلى المخبأ الصغير الذى حبستنى فيه. إننى لا أستطيع أن أبقى هكذا ممنوعا من الحركة ! كنت هناك ، متمددا، محشورا وكأننى فى نعشى . وكنت أسمعهم وهم يسيرون داخل الحجرة .

ولقد احتكوا بالجدار الذى كنت مختبئا فيه ، وأنا أكاد أختنق دون أن أستطيع إتيان حركة أدافع بها عن نفسى ... لا أستطيع أن أتحمل ذلك ! ... لن أعود أبدا .

چيـــــروم : (**جلس ، هادئا**) لن تعود . اسمع ما سأقوله لك .

فـــاليــــه : تقول إنهم سيعودون ؟

چيـــــروم : (**هادئا**) لدينا وقت لكى نتحدث .

(يشـيـر إليـه بالجلوس . فـاليـه يجلس ، ولكنه ، وهو يتابع كلام كورفوازييه يرصد فى قلق الضوضاء التى فى الخارج)

چيـــــروم : (**هادئا**) لقد أقنعت زوجتى بالابتعاد عن باريس ، لفترة من الوقت . إن صحتها ، منذ الشتاء ، متوعكة . ستذهب لقضاء شهرين ببلدتها " سون " ، جهة من أعمال " كلوني " . كان ينبغى أن أصحبها . لكن الشئون العامة لا تسمح لى بذلك ...

صبــــوفى : (**هادئة**) إنهم يصعدون إلى الطابق الذى فوقنا .

(فاليه يعود إلى الجلوس)

(فاليه نهض من فوق كرسيه ، عندما سمع خطوات تصعد السلم)

چيـــــروم : (**يواصل وكأنه لم يقاطع**) ... إننى لا أستطيع مصاحبتها . هاهو ذا جواز سفرى . ستذهب أنت بدلا عنى .

(**مذهولا**) أنا !

فـــاليــــه : (**الأداء نفسه**) وهكذا ، وأنت تقوم برعايتها ، ستمر من

چيـــــروم : خلال الشبكة التى نُصبت لصيدك . وما إن تصلا عند أهلها بوصفكما اثنين من سكان "كلونى" ، حتى تصبح قريبا من الحدود . والباقى يخصك .

(فاليه نهض ، يأخذ جواز السفر الذى يقدمه إليه كورفوازييه ، يطويه ويفضه ، وهو من الانفعال بحيث لا يستطيع الكلام)

(وفى خلال ما فات صوفى تنصت ، تفكر ، تنظر إلى الرجلين ، ثم ، بلا ضوضاء ، تمزق جواز سفرها وتلقى به فى نار المدفأة . تنهض وتذهب ناحية فاليه)

صـــــوفى : **(مخاطبة چيروم ، الذى يشير إليها بالسكوت)** كلا ، يا صديقى ، دعنى أتكلم، لا يجب أن تخفى شيئا . **(مخاطبة فاليه ، برقة حازمة)** كلود ، إن زوجى يعلم بشعورنا . فلقد اعترفت له . وهو من الشهامة والنبل بحيث ترك لى حرية الذهاب معك .

ولقد اتخذت قرارى . إننى وقد أصبحت حرة ، سأظل بجانب زوجى . لقد وهبته نفسى ، بملء حريتى ، إلى الأبد . وهو لم يفقد أبدا من قيمته فى نظرى . وإننى لا أستطيع أن أسترد نفسى منه دون أن أفقد من قيمتى . إن النفس الكريمة لا تتنكر لذاتها أبدا . لقد أردت أن أقاسمه محنة حياته . وما أردته لازلت أريده **(تذهب إلى زوجها وتقدم له يدها)**

چيـــــروم : **(متأثرا)** لم يعد من حقى أن أستبقيك . فقد أجرُّك معى فى الضياع الذى يتهددنى .

صـــــوفى : **(بسرعة وبصوت خفيض)** اسكت ! لا يجب أن يعرف !

فــــاليــــه : **(بمرارة)** آه ! إنك لم تحبينى أبدا !

صـــــوفـى : إننى أحبك ، يا فاليه . وسأظل أحبك . ولكننا إذا لم نكن قادرين على ألا نتألم من الحب ، فإننا قادرون على ألا نكون لعبة للحب .

فـــاليـــه : (بمرارة) إنك لم تحبى فى حياتك أحدا ! إنك لا تحبين سوى كبريائك .

صـــــوفـى : (برقة) صديقى ، لو لم يكن بى هذا الكبرياء ، كما تقول ، ذلك الكبرياء التعيس المجروح ، فهل كنت ستحبنى إلى هذه الدرجة ؟ هل كنت ستحبنى طويلا ، لو كنت ضعيفة ، ضائعة ، نهبا للعاطفة التى تزول وتنقضى ، جاحدة لعهدى ؟ وهل كنا سننعم بالسعادة ؟ كنا سنعيش فى فزع السعادة التى تنتهى ، والحب الذى ينوى وحينما نسأم ونمل ، نعود وحيدين ذابلين .

فـــاليـــه : (عنيفا) لا يهم ! فسأكون قد حصلت عليك !

صـــــوفـى : (بابتسامة حزينة) وستكون قد حطمتنى... هيا ، يجب إنقاذك ، يا عصفورى المسكين الذى وقع فريسة ! بالنسبة لبعضهم ، فأنت فى هذه الساعة فريسة . كفى كلاما ! ولنفكر فى سبل الهرب !

فـــاليـــه : إننى لا أريد أن أرحل ! لا أرحل دونك !

صـــــوفـى : لقد أحرقت جواز سفرى . ولم أعد أستطيع الرحيل .

فـــاليـــه : على الأقل ، ليس هذه الليلة ! أريد أن أقضى هذه الليلة تحت سقف دارك .

چيـــــروم : إنهم يعلمــون أنني آويك عندي . قــبل منتــصف الليل سيقبض عليك .

فـــاالليـــه : كلا ! إنك تخدعني ! إنك تكذب !

چيـــــروم : ستتأكد من ذلك . إن من الممكن أن يصلوا بين دقيقة وأخرى .

فـــاالليـــه : هذا خطأ ! (**ينصت**) إنني أسمعهم ! ... كلا ... لن أرحل أبدا ، سأبقى .

چيـــــروم : (**هادئا**) ابق إذن ! هل أنت مستعد لأن تموت ؟

فـــاالليـــه : (**وقد هزته رعدة**) أموت ! ... كلا ! كلا ! لا أريد ! ... أموت ! ... ياللفظاعة !

چيـــــروم : (**هادئا**) يُقبض عليك بعد ساعة ، ويحكم عليك صباح الغد ، وفى المساء تعدم بالمقصلة ...

فـــاالليـــه : (خارجا عن طوره) مساء غد ، فى تلك الساعة ، أصبح كومة من اللحم ، تلقى فى العربة ويقذف بها فى جب الموتى ... أنا ! ... أبدا ! ... لا أريد !

... أنقذونى ! ...

(يبدو كالتائه ويرتمى عند قوائم كرسى خال ، وتظل يداه متعلقتين بمسند الكرسى)

جـــيـــروم : تهيأ إذن للرحيل .

(نهض ، وكذلك زوجته ، يجمع بعض الأشياء ، ملابس وغذاء ، التى ستكون بالنسبة لفالليه متاع سفر . فالليه ينهض ببطء ، يتنفس بشدة مطأطئ الرأس ،لا يجرؤ

على النظر إلى صديقيه الذين يروحان ويجيئان داخل الحجرة ، يواليهما ظهره وهو واقف معتمد على مسند الكرسى ووجهه ناحية الصالة)

فــاليـــه : إننى أشعر بالخجل ...

صـــوفى : (**تذهب إليه وتلقى بمعطف فوق كتفه**) سننقذك أيها الصديق !

فــاليـــه : إننى أشعر بالخجل ...

صـــوفى : (**تلبسه وكأنها أمه**) كلا . لا تخجل أبدا ! إننى أحب أن تكون لديك الرغبة فى الحياة . إننى سعيدة إذ أرى أن الحياة لازالت غالية عندك .

فــاليـــه : إننى أبغضها ، وأريدها . إننى لا أستطيع ، لا أستطيع أن أذعن لفقدها ... أوه أيتها الآلهة ! ماذا حدث ؟ إن المهانة تحطمنى ... صوفى ، إننى لكى ألحق بك ، تحديت ألف موت ، إننى لم أرتعد بتاتا إلا خشية ألا أراك مرة أخرى .

والآن ، والآن ! ... لم أعد أستطيع أن أتحمل فكرة الموت... كلا ، لاتنظرى إلى بعينين تملؤهما الشفقة ! أى نفور أوحى إليك به !

صـــوفى : (**بصوت خفيض**) أيها الصديق ، إننى لم أحبك قط كما أحبك الآن !

فــاليـــه : آه ! إن رؤيتى لك هى التى سلبتنى حميتى لأننى أدركت من جديد قيمة الحياة التى كنت قد زهدت فيها ، لم أعد أريد أن أتخلى عنها .

(وهو منهار)
إننى جبان ، إننى خائف .

چيـــــروم : **(يقبل نحوه بحنان)** لا تعذب نفسك ! لا تتهم ضعفك ! إننا نعلم يا صديقى ، أنه مـا من إنسـان أعظم منك شـهامـة . ولكن هذا الرجل الشـهم هو إنسـان . لقـد استهلكت قواك حتى المستحيل . فقد واصلت خمسة أشهر كاملة ، كفاحا يفوق طاقة البشر . وحط عليك الإرهاق على حين فجأة ، مثل الحجر . فلمست الأرض . ولكن وأنت تناضل . انسحب من الميدان . فأنت تستطيع ذلك ، مرفوع الهامة. يجب أن تفعل ذلك . غادر باريس ! اخرج من فرنسا ! اهرب من أعدائك ! اذهب واستعد قواك لمعارك جديدة .

فـــاليـــه : **(مستعيدا قوته شيئا فشيئا بفعل هذا الكلام ، ينهض ويتهيأ للرحيل)**
ولكنكما ستلحقان بى ؟

چيـــــروم : إننى لست مخلداً .

فـــاليـــه : ولكن أنت يا صوفى ... ما قولك ؟ ربما ذات يوم ؟ ...
(يتوقف فجأة وهو يلقى بنظرة خاطفة على كورفوازييه ، ينحنى كى يقبل طويلا يدى صوفى ، يتوجه ناحية الباب ، فى لحظة الخروج ، يلتفت ، يرى كورفوازييه الذى يمد له يده ، يتردد لحظة ، يأخذ يده ، يلقى نظرة أخيرة على صوفى)
وداعا !
(يخرج)

المشهد الثانى عشر

(چيروم دى كورفوازييه وصوفى بمكتان وحدهما . وقد حل الليل تماما .

چيروم لا يزال ينظر إلى الباب الذى خرج منه فالليه .

صوفى ، وهى تقترب من النافذة ، تنظر من خلال الستائر)

چيروم : (**بطيبة**) أعتقد أن الولد الطيب قد قدَّر قصر أيامى .

(يتوجه ناحية المدفأة ويشعل لهبا)

صوفى : **(تترك مكانها الذى تراقب منه ، تقبل نحو المدفأة ، بسخرية يشوبها ود وكآبة)**

لكنه لم يدرك قدْر أيامى .

(تلتفت إلى زوجها وتمد له يديها . يتناولها وينظر إليها بحنان)

چيروم : ألست نادمة على شىء ؟

صوفى : هل أمر القبض أكيد ؟

چيروم : ليست هناك أية فرصة للهرب .

صوفى : إذن كل شىء على ما يرام .

(تخلص يديها ، يجلسان ، حول النار التي تخمد !)

جـيـــروم : سهرتنا الأخيرة .

صـــــوفي : إنني أشعر بارتياح . لم أعد مشغولة باتخاذ أى قرار ، لم يعد على أن أخوض أية معارك . لم أعد أرغب في شيء ، لم يعد هناك إلا أن أستسلم للأشياء التي تريد بدلا عنا ، لجدول الليل .

(چيروم يقترب منها ويتأملها بود صادق . تضع رأسها فوق كتف زوجها . وهي جالسة بالقرب منه ، سيقانهما تتلامس وأيديهما ثابتة فوق سيقانهما : يحلمان ويبتسمان ، وهما ينظران إلى النار . كل الحوار الآتي تقريبا يقال بصوت خفيض)

صـــــوفي : **(بحنان وهدوء)** زوجي الطيب العـزيز ، يا من كنت تضحي بنفسك في سبيلي ، بكل هذه البساطة !

چيـــــروم : ليس من التضحية في شيء أن نريد سعادة من نحب .

صـــــوفي : إنني سعيدة الآن .

چيـــــروم : تريدين أن تواسيني .

صـــــوفي : **(هادئة ، بطيئة ولكن عند الكلام الأخير تنتابها رعدة خفيفة)**

كلا ، يا صديقي ، إنني أقول الحقيقة . لقد تركت أشجاني على الشاطئ الآخر الذى تركناه . آه ! آه ما أعظم ارتياحي إذ أراها تبتعد ، ورأسي فوق كتفك ! ابق ! لا تتحرك ! وهذا الجحيم البشرى ، ونزواته ومخاوفه ! .

چيـــــروم : لم يسأم منها بعد صديقنا فالليه .

صـــــوفى : (الأداء نفسه ، وابتسامة خفيفة على شفتيها) الشاب المسكين ! ... نعم ، كم كان متلهفا للخوض فيها من جديد ! ... هل تظن أنه سينجح فى الهرب ؟

چيـــــروم : أتعشم ذلك .

صـــــوفى : ياللسعادة ! ... لكننى أخشى عليه من الحزن حينما يعلم بمصيرنا .

چيـــــروم : ستكون الحياة هى الأقوى .

صـــــوفى : نعم ! أظن ذلك ... مسكين يا فالليه !

چيـــــروم : هل تذكرين ، يا صوفى ، أمسياتنا الطويلة ، هنا فى هذه الحجرة ؟ أنا جالس قرب المنضدة ، أقرأ ، وأنت تنظرين إلىَّ وأنا أعمل ، وأنا أنظر إليك وأنت تحلمين ، وكلانا كان يحلم : لأن كل شىء ، الأفكار ، الأعمال ، العلم ، الحب ، كلها حلم ، وكلٌ بدوره ، يقدم لصاحبه أحلامه ، وغالبا ، عندما كانت تصادفنى المصاعب ، كنت ألجأ إلى فكرك الصافى ، يا ناصحتى الطيبة ...

صـــــوفى : إننى أذكر كل شىء ، منذ أول مساء دخلت فيه وأنا شابة هذا المنزل القديم .

كنا متزوجين حديثا ومع أنك كنت محاطا بالمجد ، فقد كنت خائفا منى ، لأننى كنت شابة ، ولأنك لم تعد كذلك . حينئذ ، كنا وحدنا ، فاقتربت منى وقلت لى بصوت خفيض : " اغفرى لى أنى أحبك " .

چيـــــروم : هل غفرت لي ؟

صـــــوفي : لقد سرى خلال قلبي عرفان ، عثرت عليه من جديد ، هذا المساء ، هذا المساء الأخير . اغفر لي ، أنت ، أني نسيته .

(تقدم جبهتها لچيروم الذي يقبلها)

چيـــــروم : أنا أيضا يا صوفي ، كنت قد نسيت نفسي ، كنت قد نسيت واجبي من الشجاعة والصراحة . في أية حال من الضعف كنت لا أزال هذا المساء عندما عدت ! إن الشعور بأني فقدتك هو الذي أعاد إلى قوة قراري .

صـــــوفي : كنا قد ضللنا - كلانا - في متاهة هذا العالم المعذب ... تباركت هذه الساعة الأخيرة التي جعلت كلينا يعثر على صاحبه ، وعلى نفسه !

چيـــــروم : والآن لتسدل الستارة . لقد وصلنا ... اسمعي ! في الشارع الخالي ، خطوات القادمين ...

صـــــوفي : (**وقد استيقظ قلقها**) وكل مشروعاتنا الكبرى ، وكل آمالنا الخائبة ، وكل أعمالنا المحطمة ، كل ما يموت معنا ...

چيـــــروم : (**منصتا**) إنهم يصعدون السلم ...

صـــــوفي : (**بقلق**) لو أننا على الأقل تركنا من بعدنا ، طفلا ! ... لماذا ، لماذا وهبت لنا الحياة ؟

چيـــــروم : (**حازما**) لكي نقهرها .

(صمت . ينهضان . صوفي ، معتمدة على چيروم ، تنظر إليه وتبتسم ، راضية - لا ينفصلان حتى النهاية ،

يقفان متقابلين ، رأس صوفى على كتف چيروم ، ينظر كل منهما إلى الآخر . لا يعيران انتباها حتى للباب الذى يفتح)

(تسمع أصوات مقبلة)

صــــــوفى : (باكتئاب باسم) نقهرها ... وداعا ، يا صديقى " الغار قطف ... "

(يطرق الباب بعنف)

چيـــــــروم : (بحنان بالغ) وهذه الجميلة ستذهب لجمعه ... "

صــــــوفى : (وهى تشير فوق المنضدة إلى غصن زنبقة متروك منذ مشهد البداية)

كلا ، بل أعطنى هذا العنقود النضير الذى يموت ، هذه الزنبقة .

(كورفوازييه يعطيها الغصن المزدهر . تطبع عليه قبلة)

(الباب يفتح ... تدخل مجموعة من الرجال المسلحين)

النهايـــة

المترجم فى سطور

حماده إبراهيم محمد إسماعيل

دكتوراه الدولة من جامعة السوربون

رئيس قسم اللغة الفرنسية بمركز اللغات والترجمة بأكاديمية الفنون ، مؤلف ومترجم وناقد مسرحي .

فى مجال الترجمة ترجم الأعمال الكاملة للكاتب المسرحى الفرنسى أوجين بونسكو (٣٤ مسرحية) ، والأعمال المسرحية الكاملة للكاتب الفرنسي ألفريد جارِّى ، وعشر مسرحيات لجان تارديو وبعض مسرحيات الإيطاليين إدواردو دى فيليبو وداريو فو . كما شارك فى ترجمة ومراجعة موسوعة وصف مصر .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقي جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضري
٥-	ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكي
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسي للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسي سميث	أشرف رفيق عفيفي
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوي
١٨-	الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولي و بدوي عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجي	ماجدة العناني
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد علي الناصري
٢٣-	تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشري الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة في التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه – كلود كاين	عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣-	التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدي أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد علي
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستي	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسي التدعيمي	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسي سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحي
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	علي يوسف علي
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود علي مكي
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطي
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبري محمد عبد الغني
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعي
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدي أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسي العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلي
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومي

٧٥- فن التراجم والسير الذاتية — أندريه موروا — أحمد درويش
٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي — مجموعة من المؤلفين — عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٣) — رينيه ويليك — مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية — رونالد روبرتسون — أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف — بوريس أوسبنسكي — سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع» — ألكسندر بوشكين — مكارم الغمري
٨١- الجماعات المتخيلة — بندكت أندرسن — محمد طارق الشرقاوي
٨٢- مسرح ميجيل — ميجيل دي أونامونو — محمود السيد علي
٨٣- مختارات شعرية — غوتفريد بن — خالد المعالي
٨٤- موسوعة الأدب والنقد (جـ١) — مجموعة من المؤلفين — عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية) — صلاح زكي أقطاي — عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل (رواية) — جمال مير صادقي — أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧- نون والقلم (رواية) — جلال آل أحمد — ماجدة العناني
٨٨- الابتلاء بالتغرب — جلال آل أحمد — إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩- الطريق الثالث — أنتوني جيدنز — أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠- وسم السيف وقصص أخرى — بورخيس وآخرون — محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق — باربرا لاسوتسكا - بشونباك — محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر — كارلوس ميجيل — نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة — مايك فيذرستون وسكوت لاش — عبد الوهاب علوب
٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحبة — صمويل بيكيت — فوزية العشماوي
٩٥- مختارات من المسرح الإسباني — أنطونيو بويرو باييخو — سري محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى — نخبة — إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١) — فرنان برودل — بشير السباعي
٩٨- الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني — مجموعة من المؤلفين — أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠) — ديفيد روبنسون — إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة — بول هيرست وجراهام تومبسون — إبراهيم فتحي
١٠١- النص الروائي: تقنيات ومناهج — بيرنار فاليط — رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح — عبد الكبير الخطيبي — عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣- قبر ابن عربي يليه آياء (شعر) — عبد الوهاب المؤدب — محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجني (مسرحية) — برتولت بريشت — عبد الغفار مكاوي
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع — جيرارجينيت — عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسي — ماريا خيسوس روبييرامثي — أشرف علي دعدور
١٠٧- صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر — نخبة من الشعراء — محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي — مجموعة من المؤلفين — محمود علي مكي
١٠٩- حروب المياه — جون بولوك وعادل درويش — هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي — حسنة بيجوم — مني قطان
١١١- المرأة والجريمة — فرانسس هيدسون — ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ — أرلين علوي ماكليود — إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية في مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	فولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر	جوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد فاجنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير في البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥	[illegible] تيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦	[illegible] (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧	[illegible]	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسي
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مي التلمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامي الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومي
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	في عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكري محمد عياد
١٦٨-	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمي
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجاني
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغي	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧- ليل أفريقي (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائي (شعر)	سنائي الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فرديناند دوسوسير	جوناثان كالر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد علي الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتازار	علي إبراهيم منوفي
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية في الكون	بارى باركر	علي يوسف علي
٢٢١- شعرية كفافي	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم في مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر | خوسيه ماريا ديث بوركي | السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد | نورمان كيجان | أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر | فرانسواز جاكوب | مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) | خايمي سالوم بيدال | جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات | توم ستونير | مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي | أرثر هيرمان | طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام في السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزي (جـ١) | مولانا جلال الدين الرومي | إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦- الولاية | ميشيل شودكيفيتش | أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادي | روبين فيدين | عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير | تقرير لمنظمة الأنكتاد | ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي | جيلا رامراز - رايوخ | نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كاي حافظ | صلاح محجوب إدريس
٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية) | ج . م. كوتزي | ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | صبري محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) | ليفي بروفنسال | بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية) | لاورا إسكيبيل | نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات | إليزابيتا أديس وآخرون | توفيق علي منصور
٢٤٦- مختارات قصصية | جابرييل جارثيا ماركيث | علي إبراهيم منوفي
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر | والتر أرمبرست | محمد طارق الشرقاوي
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) | أنطونيو جالا | عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر) | دراجو شتامبوك | رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم | دومنيك فينك | ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢) | جوردون مارشال | بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | علي بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيمينوفا | حسن بيومي
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة | ديف روبنسون وجودي جروفز | إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون | ديف روبنسون وجودي جروفز | إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت | ديف روبنسون وكريس جارات | إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة | وليم كلي رايت | محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر | سير أنجوس فريزر | عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور | نخبة | فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣) | جوردون مارشال | بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود | زكي نجيب محمود | إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) | إدواردو مندوثا | محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن | جون جريبين | علي يوسف علي
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة | هوراس وشلي | لويس عوض

٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم علي
٢٦٧- فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكي
٢٦٨- ديوان شمس تبريزي (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سي. باترسون	شوقي جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية في مصر	سي. سي. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي في مصر	جوان كول	عنان الشهاوي
٢٧٤- السيدة باربارا (رواية)	رومولو جايجوس	محمود علي مكي
٢٧٥- ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمساني
٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزي
٢٧٨- البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوي
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	علي عبد الرءوف البمبي
٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة خواجة حسن نظامي الدهلوي	حسن نظامي الدهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمي	أنتوني كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائي	ديفيد لودج	ماهر البطوطي
٢٨٩- ديوان منوچهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢- تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربي	روجر ألن	مجدي توفيق وآخرون
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦- مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي	ماجدة محمد أنور
٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٩٩- ثورة في التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (جـ١)	لويس عوض	جمال الجزيري وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (جـ٢)	لويس عوض	جمال الجزيري و محمد الجندي
٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا   جين هوب وبورن فان لون   إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس   ريوس   إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)   كروزيو مالابارته   صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ   جان فرانسوا ليوتار   نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور   ديفيد بابينو وهوارد سلينا   محمود مكي
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة   ستيف جونز وبورين فان لو   ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ   أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت   جمال الجزيري
٣١٠- أقدم لك: يونج   ماجي هايد ومايكل ماكجنس   محيي الدين مزيد
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي   ر.ج كولنجوود   فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود   وليم ديبويس   أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)   خايير بيان   محمد عبدالله الجعيدي
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم   جانيس مينيك   هويدا السباعي
٣١٥- جرامشي في العالم العربي   ميشيل برونديتو والطاهر لبيب   كاميليا صبحي
٣١٦- محاكمة سقراط   أي. ف. ستون   نسيم مجلي
٣١٧- بلا غد   س. شير لايموفا- س. زنيكين   أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة   مجموعة من المؤلفين   أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا   جايتري اسبيفاك وكرستوفر نوريس   حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج   مؤلف مجهول   محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)   ليفي برو فنسال   بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي   دبليو يوجين كليانباور   خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا   تراث يوناني قديم   هانم محمد فوزي
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)   أشرف أسدي   محمود علاوي
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)   فيليب بوسان   كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة   يورجين هابرماس   حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)   نخبة   توفيق علي منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)   نور الدين عبد الرحمن الجامي   عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)   تد هيوز   محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت   مارفن شبرد   سامي صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى   ستيفن جراي   سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى   نخبة   علي إبراهيم منوفي
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥   نبيل مطر   بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل   أرثر كلارك   مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية   ناتالي ساروت   فتحي العشري
٣٣٦- متون الأهرام   نصوص مصرية قديمة   حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء   جوزايا رويس   أحمد الأنصاري
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى   نخبة   جلال الحفناوي
٣٣٩- تاريخ الأدب في إيران (جـ٣)   إدوارد براون   محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط   بيرش بيربروجلو   فخري لبيب

٣٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاشق الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٢٧٩- ملك في الحديقة (رواية)	سنثيل باث	جمال عبدالرحمن
٢٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٢٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٢٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد علي بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	جون دن	بهاء چاهين
٢٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. في. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٢٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبي
٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٩٣- في قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٢٩٤- القوى الأربع الأساسية في الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٢٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٢٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٢٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتي شين	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٩- أقدم لك: كامي	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زيادون ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان في القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامي عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضي	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفي بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلي
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعي	محمود علاوي
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باي إنكلان	ثريا شلبي
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافي
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللي	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابري
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودي بورهام	عصام حجازي
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجي رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلي النعماني	جلال الحفناوي
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابي (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوي
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتي روي	فخري لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتي
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علماني
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلري	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوي وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيري
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيري
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورين فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزي وأوسكار زاريت	محيي الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي
٤٩٥- اللوبي	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري
٤٩٦- الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولي	مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط	نادية العلي	مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد علي بدوي
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠- في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكي	طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء في الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال
٥٠٧- سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبدالباقي جلبنارلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدوني	عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومي عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطي دوجلاس	فدوى مالطي دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان في علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبري محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٥٢٠- الولع الفرنسي بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	علي إبراهيم منوفي
٥٢٣- الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٥٢٤- الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٥٢٥- موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيي الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيري
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكي والماركسية	طارق علي وفلْ إيفانز	جمال الجزيري
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال في شعره الأردي	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصري
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبين وبورين فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	علي عبد الرءوف البمبي
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسي	سير رويرت هاى	يوسف الشاروني
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدري عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وجودي جروتز	محيي الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس ورووي آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدي
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتي
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	علي عبدالتواب علي وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبري السوربوني	مجدي عبدالحافظ وعلي كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أماني فوزي
٥٩٥- الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولي	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي علي قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	فرداد مهرين	محمود علاوي
٦٠٠- الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢- ليوتار نحو فلسفة ما بعد حداثية	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافي	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق علي منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكي (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦- قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدني

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافي	أجنر فوج	شوقي جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	علي إبراهيم منوفي
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيري إيجلتون	فخري صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسيني	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التي وقعت في بغداد من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٩	أليس بسيريني	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولي	عايدة الباجوري
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعي
٦٢١-	النوبة المعبر الحضاري	وليم ي. أدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أي تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازي
٦٢٣-	نوادر جحا الإيراني	سعيد قانعي	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السري	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق علي منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدي محمود المليجي
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسي
٦٣٠-	سيرتي الذاتية	أحمد بللو	صبري محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا	دولورس براموں	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روي ماكليد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوي
٦٣٥-	التثبيت والتكيف في مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعي
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن وربن	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعي
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشي
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدري عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادي	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد ر.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحي العشري
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جي دي موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوي
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبري التهامي
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبري التهامي
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالدييار	صبري التهامي
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وانا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	ألفن جولدنر	علي ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشي	ليلى الجبالي
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلي
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١-	قل لي كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	علي عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوي
٦٧٤-	ديوان الإمام الخميني	آية الله العظمى الخميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مجـ١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مجـ٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مجـ١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨-	تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مجـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق علي منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستانلي فش	أحمد الشيمي
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكري	صبري محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبري محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كذا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادي	ماجدة العناني
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحي
٦٨٩-	اللف (مسرحية)	تاديوش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش في فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسي وأوسكار زاريت	حمدي الجابري
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعي (المحرقة)	حاييم برشيت وآخرون	جمال الجزيري
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدي الجابري
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودي جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودي جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسي	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيري
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو فرجاس	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوي
٧٠٣-	تاريخ الأدب في إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربي
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومي	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالي	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هانشباي وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادي رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٣-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٤-	ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين في الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغني

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
-٧٢٢	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافي أحمد القطوري
-٧٢٣	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمني	أحمد ثابت
-٧٢٤	اليسار الفرويدي	بول روبنسون	عبده الريس
-٧٢٥	الاضطراب النفسي	جون فيتكس	مي مقلد
-٧٢٦	الموريسكيون في المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
-٧٢٧	حلم البحر (رواية)	باجين	وحيد السعيد
-٧٢٨	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس أليه	أميرة جمعة
-٧٢٩	الثورة الإسلامية في إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
-٧٣٠	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتي	عزت عامر
-٧٣١	النوع الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدري عمارة
-٧٣٢	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
-٧٣٣	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
-٧٣٤	بونابرت في الشرق الإسلامي	احمد يوسف	أمل الصبان
-٧٣٥	فن السيرة في العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكي
-٧٣٦	التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوي
-٧٣٧	الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق علي منصور
-٧٣٨	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دي جورج	محمد عواد
-٧٣٩	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دي جورج	محمد عواد
-٧٤٠	خطابات القوة	باري هندس	مرفت ياقوت
-٧٤١	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
-٧٤٢	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسي
-٧٤٣	الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقي جلال
-٧٤٤	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
-٧٤٥	المآثر السلطانية	بيك الدنبلي	محمد أبو زيد
-٧٤٦	تاريخ التحليل الاقتصادي (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمي
-٧٤٧	الاستعارة في لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
-٧٤٨	تدمير النظام العالمي	فرانسيس بويل	سمير كريم
-٧٤٩	إيكولوجيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسي جمال الدين
-٧٥٠	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
-٧٥١	الإسراء والمعراج في تراث الشعر الفارسي	نخبة	علاء السباعي
-٧٥٢	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلي	نمر عاروري
-٧٥٣	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
-٧٥٤	الشرق والغرب	أنّا ماري شيمل	عبدالسلام حيدر
-٧٥٥	تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكي	علي إبراهيم منوفي
-٧٥٦	ذات العيون الساحرة	إنريكي خارديبل بونثيلا	خالد محمد عباس
-٧٥٧	تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الرويي
-٧٥٨	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
-٧٥٩	النثر الأردي	مولوي سيد محمد	جلال الحفناوي
-٧٦٠	الدين والتصور الشعبي للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة ( )	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢- المسلم عدواً و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣- الحياة في مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥- ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦- الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧- الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨- حوار الثقافات	محمود فهمي حجازى	محمود فهمي حجازى
٧٦٩- أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١- السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامي
٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحي
٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحي عبدالهادي
٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥- مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧- الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨- صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشي
٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١- الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢- المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣- العولة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجي
٧٨٤- الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦- المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧- العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨- سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجي
٧٨٩- الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠- الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١- العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتي
٧٩٢- دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥- مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦- آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزيني
٧٩٧- الرؤية في ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨- الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن

٧٩٩- سلم السنوات	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولي	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة في الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعي
٨٠٣- التغير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجي
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحي حقي: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسي	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسي	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تأمل العالم الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولي	فريد الزاهي
٨١٣- لم أخرج من ليلي (رواية)	آني إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العسر الأمريكى	فيليب روجيه	بدر الدين عرودكي
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفي جمعة
٨١٨- الحرفيين والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسي جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسي جمال الدين
٨٢٠- ميراث الترجمة هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعي (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- ميراث الترجمة عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- ميراث الترجمة عصر النهضة فى إيطاليا (جـ٢)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح البحر والمستوطنون والذين يخشون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركي	محمد علي فرج
٨٢٨- ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغاني	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- ميراث الترجمة تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو پولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمي
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
-٨٣٧	عناكب في المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمي عبدالسلام
-٨٣٨	في تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكي	ليلى صبري
-٨٣٩	أقدم لك. النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيري
-٨٤٠	الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
-٨٤١	هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
-٨٤٢	منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
-٨٤٣	من روائع القصيد الفارسي	نخبة	محمد علاء الدين منصور
-٨٤٤	دراسات في الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
-٨٤٥	غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
-٨٤٦	الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
-٨٤٧	الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
-٨٤٨	ميراث الترجمة. تاريخ الدولة العربية	يوليوس فلهوزن	عبد الهادي أبو ريدة
-٨٤٩	سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
-٨٥٠	الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
-٨٥١	ميراث الترجمة: الطب التجريبي	كلود برنار	يوسف مراد
-٨٥٢	العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمي
-٨٥٣	العمارة في الأندلس عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
-٨٥٤	العمارة في الأندلس عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
-٨٥٥	فهم الاستعارة في الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
-٨٥٦	القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانشسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
-٨٥٧	نادجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامري
-٨٥٨	جوهر الترجمة عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومي قنديل
-٨٥٩	السياسة في الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
-٨٦٠	مصر وأوروبا	القاضي فان بملن	لطيفة سالم
-٨٦١	الإسلام والمسلمون في أمريكا	جين سميث	محمد الخولي
-٨٦٢	بيغاء الكاكادو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
-٨٦٣	لقاء بالشعراء	علي أكبر دلفي	محمد علاء الدين منصور
-٨٦٤	أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعي
-٨٦٥	فكرة الثقافة	تيري إيجلتون	شوقي جلال
-٨٦٦	رسائل خمس في الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
-٨٦٧	المهمة الاستوائية	ديفيد مايلو	صبري محمد حسن
-٨٦٨	الشعر الفارسي المعاصر	ساعد باقري ومحمد رضا محمدي	محمد علاء الدين منصور
-٨٦٩	تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقي جلال
-٨٧٠	عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٥٤٠٩ / ٢٠٠٥